ناعوم تشومسكي

قراصنة وأباطرة

الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي

الترجمة

قراصنة وأباطرة

الارهاب الدولي في العالم الحقيقي

نوعام تشومسكي

قراصنة وأباطرة

الارهاب الدولي في العالم الحقيقي

قراصنة وأباطرة

نوعام تشومسكي

ترجمة: قسم الترجمة في دار حوران.

الطبعة العربية الأولى ١٩٩٦

دار حوران للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع.

سوريا ـ دمشق ـ ص.ب.:٣٢١٠٥

أشرفية صحنايا

المقدمة

يروي القديس اوغسطين قصة قرصان وقع في أسر الاسكندر الكبير، الذي سأله "كيف يجرؤ على ازعاج البحر". كيف تجرؤ على ازعاج العالم بأسره؟ فأجاب القرصان: "لأنني أفعل ذلك بسفينة صغيرة فحسب، أدعى لصاً، وانت، الذي يفعل ذلك باسطول ضخم، تدعى امبراطورا".

جواب القرصان كان "أنيقاً وممتازاً" يقول القديس اوغسطين . فهو يلتقط بدقة معينة العلاقة الراهنة بين الولايات المتحدة ومختلف اللاعبين الصغار على مسرح الارهاب الدولي: ليبيا، فصائل من منظمة التحرير الفلسطينية، وغيرهما. وبشكل أكثر عمومية، فقصة القديس اوغسطين تلقي الضوء على معنى مفهوم الارهاب الدولي في الاستعمال الغربي المعاصر، وتصل إلى قلب السعار الذي يثار حول أحداث مختارة من الارهاب بشكل منسق حالياً، وبدرجة عالية من الكلبية، كغطاء للعنف الغربي.

ومصطلح "الارهاب" دخل الاستعمال في نهاية القرن الثامن عشر،

ليشير بشكل رئيسي إلى أعمال العنف التي تقوم بها الحكومات والمصمَّمة لتأمين الخضوع الشعبي. وببساطة،فذلك المفهوم، قليل الفائدة للذين يمارسون إرهاب الدولة، والذين عبر إمساكهم بزمام السلطة، فهم في موقع يمكنهم من السيطرة على نمط التفكير والتعبير. وعليه، فالمعنى الأساسي تم التخلي عنه، ومصطلح "الارهاب" اصبح يطلق اساساً على "الارهاب بالتجزئة" للافراد والمجموعات [1] وبينما كان المصطلح ذات مرة يطلق على الاباطرة الذين يزعجون رعاياهم بالذات والعالم، فإنه الآن اصبح مقتصراً على اللصوص الذين يزعجون الأقوياء.

وتحريراً لأنفسنا من نظام التعبئة العقائدية، فإننا سنستعمل مصطلح "الارهاب" للدلالة على التهديد بالعنف أو استعماله للتخويف أو الاكراه (عموما لأهداف سياسية)، سواءً منه ارهاب الجملة الخاص بالأباطرة، أو ارهاب التجزئة الخاص باللصوص.

وقول القرصان المأثور يفسر بشكل جزئي فحسب مفهوم "الارهاب الدولي" كما تطور حديثاً. ومن الضروري إضافة ملمح آخر: العمل الارهابي يكتسب الشرعية فقط عندما يقوم به "الطرف الآخر"، وليس نحن. تأمل، على سبيل المثال، حملة العلاقات العامة حول "الارهاب الدولي" التي اطلقتها إدارة ريغان في بداية العام ١٩٨١ . والنص الرئيسي كان كتاباً لكلير ستيرلنغ [٢]، قدم برهاناً عبقرياً على أن الإرهاب الدولي هو أداة "بوحي سوفياتي، ترمي إلى زعزعة المجتمع الديمقراطي الغربي". والبرهان هو أن الاعمال الارهابية الكبيرة محصورة في الدول الديمقراطية الغربية، وليست "موجهة ضد الاتحاد السوفياتي أو الدول التابعة له والدائرة في فلكه." وهذا التبصر النافذ قد أعجب كثيراً منظرين آخرين للارهاب، خاصة والتر لاكور، الذي كتب أن ستيرلنغ قد قدمت "اثباتاً وفيراً" على أن

الإرهاب يحصل "بشكل كلي تقريباً في البلدان الديمقراطية أو شبه الديمقراطية" [٣].

إن اطروحة ستيرلنغ صحيحة، وفي الحقيقة فإنها صحيحة بالتعريف، استناداً إلى الطريقة التي استخدم بها الامبراطور وبطانته الموالية مصطلح "الارهاب". ولما كانت تلك الاعمال التي يقوم بها "الجانب الآخر" فقط يمكن اعتبارها ارهاباً، فإنه يترتب عليه أن ستيرلنغ كانت مصيبة، مهما كانت الحقائق. وفي العالم الحقيقي، القصة مختلفة تماما. فالضحايا الرئيسيون للإرهاب الدولي [٤] في العقود العدة الأخيرة كانوا الكوبيين، سكان اميركا الوسطى، ولبنان، ولكن بحسب التعريف ليس بينهم من يدخل في الحساب. عندما تقصف اسرائيل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وتقتل العديد من المدنيين ـ غالبا بدون التظاهر حتى بـ"الانتقام" ـ او ترسل جنودها إلى القرى اللبنانية في عمليات "ضد الارهاب" حيث يقتلون ويدمرون، أو تختطف سفنا وتودع المئات من الرهائن في معسكرات الاعتقال في ظروف رهيبة، فإن هذا ليس "ارهاباً". وفي الحقيقة، فإن اصوات الاحتجاج النادرة تدان بشكل صارخ من قبل الموالين للخط الحزبي على انها "معادية للسامية" و"تكيل بمكيالين"، كما يكشف عن ذلك تقاعسها عن اللحاق بركب جوقة الإطراء على "البلد الذي يهتم بأرواح البشر" [٥]، الذي "اهدافه الاخلاقية السامية[٦]"، هي محط الرهبة والثناء اللذين لا حدود لهما، البلد الذي، بحسب المصفقين الأميركيين له "يلتزم بقانون أسمى، كما يشرحه الصحفيون نيابة عنه" (والتر جودمان) [٧].

وبشكل مثيل، فإنه ليس ارهاباً عندما تعمل قوات شبه عسكرية من قواعد اميركية وتدربها وكالة الاستخبارات المركزية، تقصف فنادق كوبية، تغرق قوارب صيد الاسماك وتهاجم سفناً روسية في الموانئ الكوبية، تسمم

المحاصيل والحيوانات، تحاول اغتيال كاسترو، وهكذا، في مهمات كانت تجري اسبوعياً تقريباً في ذروتها [٨]. هذه وأعمال شبيهة لا حصر لها من جانب الامبراطور وعملائه ليست موضوعاً للمؤتمرات أو المجلدات العلمية، أو للتعليقات المكروبة، والمماحكات في وسائط الاعلام أو مجلات الرأي.

المعايير بالنسبة إلى الامبراطور وبلاطه فريدة من ناحيتين مترابطتين جداً. أولاً، اعمالهم الارهابية مستثناة من القانون، كما أشير أعلاه، وثانياً، بينما الهجمات الارهابية ضدهم ينظر إليها بمنتهى الخطورة، وحتى تستدعي العنف "دفاعاً عن الذات ضد هجمات مستقبلية" كما سنرى، فإن هجمات مماثلة أو أشد خطورة ضد الآخرين لا تستحق الرد الانتقامي أو العمل الاستباقي، وإذا حركت رد فعل كهذا، فلن تكون ثمة نهاية للغضب الهستيري هنا.

وفي الحقيقة، فإن أهمية أعمال إرهابية كهذه ضئيلة إلى حد أنه يكاد لا يجري الاعلان عنها، وبالتأكيد قلما يتذكرها أحد.

ولنفترض، مثلا، أن قوة ليبية محمولة بحراً هاجمت ثلاث سفن أميركية في ميناء حيفا الاسرائيلي، وأغرقت واحدة منها وألحقت ضرراً بالاخريين، مستعملة صواريخ من صنع المانيا الشرقية. لا حاجة لي للتعليق على ما عساه يكون رد الفعل. وبالالتفات إلى العالم الحقيقي، "ففي الخامس من حزيران/ يونيو [١٩٨٦]" اوردت الصحافة البريطانية تقريرا بأن "قوة جنوب افريقية محمولة بحراً هاجمت ثلاث سفن روسية في ميناء ناميب في جنوب انغولا، فاغرقت واحدة منها"، مستعملة "صواريخ سكورپيون [غبريئيل] من صنع اسرائيلي" [٩].

ولو رد الاتحاد السوفياتي على هذا الهجوم الارهابي ضد النقل البحري التجاري كما كانت الولايات المتحدة سترد في مثل هذه الظروف - ربما

بقصف ناري قد يدمر جوهانسبرغ، قياسا بمعيار الرد العملي "الانتقامي" للولايات المتحدة واسرائيل - فمن الممكن جداً للولايات المتحدة أن تفكر بضربة نووية "انتقاماً" شرعياً من الشيطان الشيوعي. ومرة أخرى، ففي العالم الحقيقي، الاتحاد السوفياتي لم يرد، والاحداث اعتبرت غير ذات اهمية إلى حد أنها بالكاد ورد ذكرها في الصحافة الأميركية(١٠).

ولنفترض أن كوبا هاجمت فنزويلا في نهاية العام ١٩٧٦ دفاعاً عن الذات ضد هجوم ارهابي، وبقصد اقامة "نظام جديد" هناك تشكله عناصر تحت سيطرتها، وقتلت ٢٠٠ اميركي يشغّلون نظاماً للدفاع الجوي، وقصفت بغزارة السفارة الأميركية في كراكاس وأخيراً احتلت السفارة لبضعة ايام اثناء اجتياحها لكراكاس انتهاكاً لاتفاق وقف اطلاق النار (١١). ماذا عساه يكون رد فعل الولايات المتحدة؟ والسؤال اكاديمي، لأن الدلالة الاولى على وجود عسكري كوبي قرب فنزويلا قد يثير هجوماً نووياً ضد هافانا. وبالعودة مرة اخرى إلى العالم الحقيقي، ففي عام ١٩٨٢ هاجمت اسرائيل لبنان تحت الذريعة (المفبركة كلياً) لحماية الجليل ضد هجوم ارهابي، وبقصد إقامة "نظام جديد" هناك تشكله عناصر تحت سيطرتها، وقتلت ٢٠٠ روسي كانوا يشغلون نظام دفاع جوي (سوري)، وقصفت بغزارة السفارة الروسية في بيروت، وأخيرا احتلت السفارة لمدة يومين اثناء احتلال بيروت الغربية انتهاكاً لاتفاق وقف اطلاق النار (١٢). وهذه الحقائق ورد ذكرها بشكل عابر هنا، بينما السياق والخلفية المفصلية جرى تجاهلهما أو نفيهما (كما سنرى). ولحسن الحظ، لم يكن هناك رد فعل سوفياتي، وإلا لما كنا هنا اليوم لنناقش المسألة.

في العالم الحقيقي نحن نفترض بشكل عادي أن الإتحاد السوفياتي وغيره من الأعداء الرسميين، الذين في غالبيتهم لا يملكون وسائل الدفاع،

سيتحملون بصمت الإستفزازات وأعمال العنف التي تستدعي رد الفعل الغاضب لفظياً أو عسكرياً، لو كان الامبراطور وبلاطه هم الضحايا.

إن النفاق المذهل الذي يتبدّى من هذه الحالات وغيرها مما لا يحصى، وبعضها سيجري بحثه أدناه، لا ينحصر في مسألة الارهاب الدولي. وفي سياق قضية مختلفة، لنتأمل اتفاقات الحرب العالمية الثانية التي وزعت السيطرة على أجزاء من أوروبا وآسيا لعدد من القوى الحليفة ودعت إلى الانسحاب في مواعيد محددة. لقد ثار غضب شديد على سلوك السوفييت في أوروبا الشرقية (وفي الحقيقة كان مثيراً للغضب) الذي اتخذ نمطاً قريباً جدا من سلوك الولايات المتحدة في المناطق التي حددت للسيطرة الغربية في اتفاقات زمن الحرب (ايطاليا، اليونان، كوريا الجنوبية، الخ)، وكذلك على الانسحاب السوفياتي المتأخر من شمال إيران بينما انتهكت الولايات المتحدة اتفاقاتها من زمن الحرب للإنسحاب من البرتغال، ايسلندا، غرينلاند، الخ، على أساس ان "الإعتبارات العسكرية " تجعل مثل هكذا انسحاب "غير مستصوب"، كما ادعى رؤساء هيئة الاركان المشتركة ضد الاتفاق بالرأي الذي توصلت اليه وزارة الخارجية. لم يكن هناك - كما لا يوجد اليوم - غضب من حقيقة أن عمليات التجسس الالمانية الغربية، والموجهة ضد الاتحاد السوفياتي، وضعت تحت سيطرة اينهارد غيهلين، الذي ادار عمليات شبيهة لصالح النازيين في اوروبا الشرقية، أو أن وكالة الاستخبارات المركزية كانت ترسل العملاء والإمدادات لمساعدة جيوش شجعها هتلر على الحرب في أوروبا الشرقية واوكرانيا حتى بداية الخمسينات كجزء من "استراتيجية الصد" التي اصبحت رسمية في مجلس الأمن القومي - ٦٨ (نيسان/ابريل ١٩٥٠) [١٣] . ان دعماً سوفياتياً لجيوش شجعها هتلر وتقاتل في جبال الروكي في عام ١٩٥٢ من شأنه أن يستجر

رد فعل مغاير.

والأمثلة كثيرة. ولعل اسوأها سمعة هو المثال الذي يقدم عادة على انه الدليل القاطع بأن الشيوعيين لا يمكن الاعتماد عليهم بالوفاء بالاتفاقات: معاهدة باريس للسلام ١٩٧٣ فيما يتعلق بفيتنام وما جرى في اعقابها. والحقيقة هي إن الولايات المتحدة اعلنت فوراً رفضها لكل شرط في قصاصة ورق أجبرت على توقيعها، ومضت تفعل ذلك، بينما وسائط الاعلام، في استعراض للعبودية يتعدى المألوف، قبلت الصيغة الاميركية للمعاهدة (التي تنتهك كل عناصرها الرئيسية) وكأنها النص الحقيقي، بحيث اصبحت الانتهاكات الأميركية "متوافقة" مع المعاهدة بينما ردود الفعل الشيوعية على هذه الانتهاكات تثبت الخداع المتأصل. وهذا المثال يقدم الآن بشكل منتظم لتبرير رفض الولايات المتحدة لتسوية سياسية متعاقد عليها في أميركا الوسطى، الامر الذي يظهر الفائدة من نظام دعاوي جيد الادارة [١٤].

وكما أشير أعلاه، فأن "الارهاب الدولي" (بالمفهوم الغربي المحدد) قد وضع في بؤرة الاهتمام المركزية لإدارة ريغان عندما تسلمت السلطة في ١٩٨١ [١٥]. وليس من الصعب الاستدلال على الاسباب، مع انها كانت ولا تزال ـ غير قابلة للتعبير عنها في النظام العقائدي.

فالإدارة كانت ملتزمة بثلاث سياسات مترابطة، وكلها جرى انجازها بنجاح كبير:

١) نقل الموارد من الفقراء إلى الأغنياء؛

٢) زيادة ضخمة لقطاع الدولة في الاقتصاد بالطريقة التقليدية الأميركية، عبر نظام البنتاغون، الذي هو وسيلة لإجبار الجمهور على تمويل

الصناعات التكنولوجية المتقدمة عبر سوق مكفولة من الدولة لخلق حالة هدر تكنولوجية عالية وبذلك فهي تسهم في برامج الدعم العام، الربح الخاص، الامر الذي يسمى "المبادرة الحرة"؛

٣) زيادة ملموسة في التدخل الأميركي، أعمال التخريب، والارهاب الدولي (بالمعنى الحقيقي للتعبير). ومثل هذه السياسات لا يمكن تقديمها للجمهور بالمصطلحات المقصودة منها. ويمكن تجسيدها فقط إذا اصبحت عامة السكان مرعوبة فعلاً من وحوش علينا حماية انفسنا منها.

والوسيلة المثالية هي الاستغاثة بالتهديد الذي اسماه الرئيس "مؤامرة الوحدانية التي لا تعرف الرحمة" المصممة على احتلال العالم - في هذه الحالة الرئيس كندي، عندما طرح برنامجاً مثيلاً [١٦] - و"امبراطورية الشر" لدى ريغان. لكن مواجهة امبراطورية الشر يمكن أن تكون امراً محفوفاً بالخطر. فمن الأكثر أمناً أن تحارب اعداء لا دفاعات لديهم تصفهم بانهم عملاء امبراطورية الشر، وهو خيار يتطابق جيداً مع البند الثالث في برنامج عمل ريغان، الذي تمت متابعته لأسباب مستقلة: لضمان "الاستقرار" و"النظام" في ممتلكاتنا الكونية. وإرهاب قراصنة مختارين بدقة، أو اعداء مثل نيكاراغوا أو فلاحي السلفادور الذين يجرؤون على الدفاع عن أنفسهم إزاء هجومنا الارهابي، هو هدف أكثر سهولة، وإذا توفر نظام دعاية يعمل بنجاعة، يمكن استغلاله لاستحثاث الشعور بالخوف الحقيقي والتعبئة في اوساط السكان المحليين.

إنه في هذا السياق حل "الارهاب الدولي" محل حقوق الإنسان التي شكلت "روح سياستنا الخارجية في الثمانينات". حقوق الانسان التي وصلت هذه المرتبة العالية كجزء من الحملة لتغيير اتجاه التحسن الملحوظ في المناخ الفكري والاخلاقي خلال الستينات الذي اصطلح على تسميته "دوامة

فييتنام"، وللتغلب على "أزمة الديمقراطية" المفزعة التي تفجرت في نفس السياق عندما تنظمت عناصر واسعة من عامة السكان من أجل العمَل السياسي، مهددة بذلك نظام قرار النخبة، ومصادقة الجمهور، الذي يسمى "ديمقراطية" في وسترن نيوسبيك (١٧) [الكلام الغربي الجديد].

وفيما يلي، سألتفت الى الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، مركزاً الانتباه بشكل اساسي على منطقة البحر المتوسط، وقد تم اختيار "الارهاب الشرق اوسطي/ البحر متوسطي" كقضية اولى في عام ١٩٨٥ ، بالنسبة الى المحررين والمذيعين - خاصة الأميركيين - كما يظهر في استقصاء لرأيهم أجرته الاسوشييتد برس، وقد جرى الاستقصاء قبل الهجمات الارهابية في كانون اول/ديسمبر على مطاري روما وفيينا، التي كان من شأنها أن تزيل اية شكوك متبقية (١٨). ففي الاشهر الاولى من عام ١٩٨٦ وصل القلق من الارهاب الشرق أوسطي/بحر متوسطي إلى درجة الحمّى، وتوجَّ بقصف الولايات المتحدة لليبيا في نيسان/ابريل. وفي الرواية الرسمية أن هذه العملية العقابية الجريئة التي استهدفت الممارس الرئيسي للارهاب الدولي قد حققت هدفها.القذافي وسواه من المجرمين الرئيسيين يرتعدون في الدشم المحصنة، وقد تم تدجينهم على أيدي الحامي النبيل لحقوق الانسان وكرامته. ولكن على الرغم من هذا الانتصار الكبير على قوى الظلام، فقضية الارهاب الصادر عن العالم الاسلامي والرد الملائم عليه من قبل الديمقراطيات التي تدافع عن القيم الحضارية تبقى مسألة رئيسية تثير الاهتمام والنقاش، كما يتضح من العديد من الكتب والمؤتمرات، المقالات والافتتاحيات، التعليقات التلفزيونية، وغيرها. وبمدى ما يمكن الوصول إلى جمهور كبير أو نخبوي فالنقاش يلحظ حصراً المبادئ التي جرى تبيانها: الاهتمام ينحصر في ارهاب اللص، وليس الامبراطور وعملائه، عليهم وليس علينا. ولكنني لن

أراعي هذه اللياقات، على أية حال.

الفصل الأول مكرّس لإطار المفاهيم التي تطرح بها هذه وغيرها من القضايا المتعلقة في النظام العقائدي السائد. الفصل الثاني يوفر انموذجاً ـ انموذجاً فقط ـ من الارهاب الشرق أوسطي في العالم الحقيقي، مع بعض المناقشات لأسلوب الاعتذاريين الذي يوظف لضمان تقدمه دون معوقات . وفي الفصل الثالث، سأعود إلى الدور الذي تلعبه ليبيا في النظام العقائدي.

حواشي المقدمة:

١) "الاصول والاسباب الاساسية للارهاب الدولي"، سكرتارية الامم المتحدة، أعيدت طباعته في م. شريف بسيوني (محرر)، الارهاب الدولي والجرائم السياسية (تشارلز توماس ١٩٧٥).

٢) شبكة الارهاب (هولت راينهارت وونستون، ١٩٨١).

٣) للمراجع والمناقشات، انظر كتابي "نحو حرب باردة جديدة" (بانتيون، ١٩٨٢ ، ص ٤٧ فما بعد). والفصل الخاص بي في تشومسكي، يوناتان ستيل وجون حيتينغز، "القوى الكبرى في صدام" (بنغوين، ١٩٨٢ طبعة منقحة، ١٩٨٤). ولمناقشة مستفيضة وتوثيق للموضوع، انظر ادوارد س. هيرمان، "شبكة الارهاب الحقيقية" (سوث إند، ١٩٨٢).

٤) انا استثني هنا العدوان المباشر، كما في حالة الهجوم الأميركي على جنوب فيتنام ومن ثم على كل الهند - الصينية، اجتياح الاتحاد السوفياتي لأفغانستان، الاجتياح المدعوم أميركيا لكل من تيمور ولبنان عبر عملائها في أندونيسيا واسرائيل...الخ.

٥) واشنطن بوست، ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٨٥ .

٦) تايم، ١١ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٢ .

٧) نيويورك تايمز، ٧ شباط/فبراير ١٩٨٤ .

٨) انظر المراجع في حاشية ٣ .

٩) ايكونومست، ١٤ حزيران/يونيو فكتوريا برتين، الغارديان (لندن) ٦ حزيران/يونيو، انتوني روبنسون، الفاينتشال تايمز ٧ حزيران/يونيو ١٩٨٦ ، من جوهانسبورغ. والتقرير نقلته ايضا وكالة الانباء البريطانية العالمية. والسفينة التي اغرقت قد تكون كوبية. وانظر ايضا، اسرائيلي فورن افيرز ، تموز/يوليو ١٩٨٦ .

١٠) ليس هناك أي ذكر لذلك في نيويورك تايمز، وول ستريت جورنال، كريتشان ساينس مونيتور، الاسبوعيات الاخبارية وغيرها من الصحف المسجلة في لائحة المجلات. الواشنطن بوست نشرت مادة من ١٢٠ كلمة مصدرها موسكو على الصفحة ١٧ ، في ٨ تموز/يونيو، تخبر فيها عن الإدانة السوفياتية للهجوم الافريقي الجنوبي.

١١) من أجل خلفية، في تشرين أول/اكتوبر ١٩٧٦ ، دُمرت طائرة كوبية بقنبلة في الجو، وقتل فيها ٧٣ بمن فيهم كل الفريق الاولمبي الكوبي، حامل الميدالية الذهبية في المبارزة ("تذكر" مذبحة ميونخ" احدى لحظات الذروة في الارهاب الفلسطيني). والعمل الارهابي تم اقتفاؤه إلى اورلاندو بوش، لعله الشخصية القيادية في الارهاب الدولي، والذي جرى تدريبه على ايدي وكالة الاستخبارات المركزية سوية مع رفاقه، في سياق الحرب الارهابية ضد كوبا، وكانت له صلات وثيقة مع، (كما كان على لائحة مرتب)، البوليس السري في تشيلي وفنزويلا، الذين، بدورهم "عذبوا على أيدي وكالة الاستخبارات المركزية ويقيمون معها صلات وثيقة اليوم" (هيرمان، شبكة الارهاب الحقيقية، ٦٣).

- ١٢ - حول الاجتياح الاسرائيلي للبنان، انظر الفصل الثاني والمراجع المذكورة فيه. والرقم هو حوالي ٢٠٠ روسي قتلوا "وكانوا يعملون في منطقة قوات الدفاع الجوي السوري"، خلال الهجوم الاسرائيلي (غير المتوقع أو الناجم عن استفزاز على القوات السورية في لبنان... حول هذه الأحداث، انظر كتابي "المثلث المصيري" (سوث اند، ١٩٨٣).

- ١٣ - حول العالم الحقيقي انظر غبريئل كولكو، "سياسة الحرب" (راندوم هاوس، ١٩٦٨)، الوصف الكلاسيكي الذي لم يتم تجاوزه، رغم العديد من الدراسات الهامة اللاحقة. تشومسكي، "نحو حرب باردة جديدة"، وكذلك "جزر المد" (سوث اند ١٩٨٥) والمصادر المذكورة؛ وكذلك ملفين ليفلر، احترام الاتفاقيات: يالطا وتجارب الحرب الباردة المبكرة"، انترناشيول سيكيورتي، صيف ١٩٨٦ واستنتاج ليفلر، أنه "في الحقيقة فنمط الاحترام السوفياتي [إلى يالطا، بوتسدام، وغيرهما من اتفاقيات زمن الحرب] لا يختلف نوعياً عن النمط الامريكي ". ويجب ملاحظة انه في اليونان وجنوب كوريا في نهاية الأربعينات وقعت المجازر الجماعية في العمليات التي نظمتها الولايات المتحدة كجزء من برنامج عالمي لتدمير القوى المعادية للفاشية، وغالباً ما كانت

في صالح المتعاونين النازيين واليابانيين، انظر "جزر المدّ" فصل ٤٢٤).

- ١٤ - انظر "نحو حرب باردة جديدة"، الفصل ٣ وكذلك مقدمتي لكتاب: مورس مورلي وجيمس بتراس، "إدارة ريغان ونيكاراغوا" (سلسلة الكتيبات، مؤسسة للتحليل الاعلامي نيويورك) سيصدر قريباً.

- ١٥ - لقد تمّ وضع الأساس في الولايات المتحدة وفي سلسلة من المؤتمرات لمنظرين مستقبليين في الارهاب نظمتها اسرائيل، التي لها مصلحة واضحة في هذه العملية الدعاوية. وفي تعليق على المؤتمر الثاني حول الارهاب الذي نظمته اسرائيل وعقد في واشنطن، لاحظ وولف بليتسر أن التركيز على الارهاب العربي والحماس الذي ابداه العديد من المتحدثين المرموقين لصالح الارهاب والعدوان الاسرائيليين (خاصة اجتياحها للبنان عام ١٩٨٢) وفرا "دفعة كبيرة واضحة لحملة الاعلام الاسرائيلي في الولايات المتحدة كما يعترف بذلك كل من له علاقة بالأمر" (وولف بليتسر، جروزاليم بوست ٢٩ حزيران/يونيو، ١٩٨٤؛ وكلمة "هسبراه" (العبرية) تعني "شرح" وهي المصطلح المتعارف على استعماله في الدعاية الاسرائيلية للتعبير عن الفرضية أنه مادام موقف اسرائيل صحيح بهذه الدرجة من الوضوح في جميع القضايا، فالضرورة تقتضي فقط "شرح" الأمور وليس انتاج شيء سوقي كالدعاية. وللمزيد من الاحكام التي جرى التعبير عنها بالمؤتمر؛ انظر فصل ٣ حاشية ٢٠.

- ١٦ - برنامج كندي كان محصوراً في البندين، الثاني والثالث، من برنامج عمل ريغان؛ الأول، والذي جرى اقراره بدعم من الديمقراطيين في الكونغرس يشكل انتهاكاً مباشراً لإرادة الجمهور، ويعكس التراجع النسبي في القوة خلال السنوات الفاصلة. لم يعد ممكناً متابعة "مجتمعات في الداخل وبرامج ضخمة في الخارج"، حسب كلام مستشار كندي والتر هيلر، ولذلك يجب العزوف عن الأول. وبالنسبة إلى مواقف الجمهور، انظر "جزر المدّ" الفصل ٥ وكذلك توماس فيرغيسون ويوئيل روجرز، "اتلانتك منثلي"، آيار/مايو ١٩٨٦ وعن العلاقة بين برامج ريغان وبرامج الفترة الأخيرة في إدارة كارتر، التي وسعها الريغانيون، انظر "نحو حرب باردة جديدة"، الفصل السابع، و "جزر المدّ" الفصلان ٤ و ٥ ، وانظر أيضاً يهو شوع كوهين ويوئيل روجرز، "عدم التساوي والتدخل" (سوث إند ١٩٨٦).

ـ ١٧ ـ بالنسبة لهذه الأمور، انظر "نحو حرب باردة جديدة"، خاصة الفصلان ١ و ٢ وبرنامج حقوق الانسان، الذي هو إلى حد كبير مبادرة من الكونغرس تعكس التغير في وعي الجمهور، وهو ليس بدون أهمية، على الرغم من استغلاله لأغراض دعاوية وتطبيقه المنافق، اللذين على الدوام تحاشيا الأعمال الوحشية التي قامت بها الدول العميلة. على العكس تماماً من الادعاء العادي، وللحقائق في الموضوع، انظر تشومسكي وادوارد هيرمان، "الاقتصاد السياسي لحقوق الانسان" (سوث اند ١٩٧٩) خاصة المجلد الأول.

ـ ١٨ ـ وورلد برس ريفيو، شباط ١٩٨٦.

التحكم بالفكر

حالة الشرق الأوسط

من منظور مقارن، تبدو الولايات المتحدة غير عادية إن لم تكن فريدة في غياب الكوابح على حرية التعبير. وهي غير عادية أيضاً في مدى نجاعة الأساليب التي توظف لكبح حرية التفكير. وهاتان الظاهرتان مترابطتان. والمنظِّرون الديمقراطيون الليبراليون قد لاحظوا منذ مدة طويلة أنه في مجتمع حيث يسمع صوت الشعب، فعلى مجموعات النخبة ضمان أن يقول ذلك الصوت الأشياء الصحيحة. وبقدر ما تنحسر قدرة الدولة على استعمال العنف في الدفاع عن مصالح مجموعات النخبة التي تهيمن عليها (الدولة)، بقدر ما تزداد الضرورة لإبتداع اليات "فبركة الموافقة"، حسب وولتر لبمان، منذ أكثر من ستين عاماً، أو "هندسة الموافقة" حسب المصطلح المفضل لدى ادوارد بيرنايس، أحد الآباء المؤسسين لصناعة العلاقات العامة الاميركية[1].

كتب هارولد لاسويل في موسوعة العلوم الاجتماعية في عام ١٩٣٣ أنه علينا ألاَّ نخضع "للدوغمائيين الديمقراطيين القائلين بأن الناس هم الحكام الأفضل فيما يتعلق بمصالحهم". علينا ايجاد السبل لكي يصادقوا على القرارات التي يتخذها قادتهم ذوو البصيرة الأبعد، وهو درس تعلمته النخب المهيمنة منذ زمن طويل. ونشوء صناعة العلاقات العامة أمر ذو دلالة هامة، وحيث الطاعة تضمن بالعنف، فقد يميل الحكام إلى الفهم "السلوكي":

يكفي أن يطيع الشعب، وما يفكر به لا يهم كثيراً، أما حيث تنقص الدولة وسائل الضغط، فمنَ المهم لها أن تسيطر على ما يفكر به الناس أيضاً.

والموقف مشترك بين المثقفين عبر الطيف السياسي، وعلى العموم فهم يحافظون عليه عندما يتحولون عبر هذا الطيف حسب املاءات الأوضاع. وقد عبر الواعظ الأخلاقي والمعلق السياسي المحترم جداً راينهولد نيبوهر،عن صيغة كهذه عندما كتب عام ١٩٦٢ ـ من منظور مسيحي يساري ـ أنه أخذاً بالاعتبار "غباء الانسان العادي"، فإنه من مسؤولية "المراقب الفطن" أن يوفر "الوهم الضروري"، الذي يزوِّد بالإيمان الواجب غرسه في عقول الأقل موهبة[٢]. والعقيدة معروفة في الصيغة اللينينية، كما في علم الاجتماع الاميركي، والشروح الليبرالية عموماً. تأمل قصف ليبيا في نيسان/ ابريل ١٩٨٦ حيث نقرأ دون أن نفاجأ أنه كان نجاحاً في العلاقات العامة بالولايات المتحدة. أنه "يؤدي دوراً ايجابياً" حيث " يقوي الرئيس ريغان في تعامله مع الكونغرس" فيما يتعلق بقضايا مثل الموازنة العسكرية والدعم للكونترا في نيكاراغوا، "وهذا النوع من حملات التثقيف للجمهور هو الجوهر في حرفة سياسة الدولة"، بحسب د.ايفريت لاد، أحد الاكاديميين البارزين المختصين في قضايا الرأي العام، الذي أضاف أن الرئيس: "يجب أن ينخرط في هندسة الموافقة الديمقراطية"، مستعملاً الايحاء الاورويلي السائد في العلاقات العامة والدوائر الاكاديمية للإشارة إلى الأساليب المستعملة في زعزعة مشاركة ديمقراطية ذات معنى في صياغة السياسة العامة[٣].

إن مشكلة "هندسة الموافقة الديمقراطية" تثور بشكل حاد خصوصاً عندما تكون سياسة الدولة غير قابلة للدفاع عنها، وتصبح خطرة بمدى خطورة القضايا. ولا شك في خطورة القضايا التي تثور في الشرق الأوسط، خاصة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، الذي في العادة ـ وعن جدارة

ـ يعتبر "الصندوق الحساس" الأكثر قابلية لاشعال حرب نووية نهائية بسبب انخراط الدول الكبرى في الصراعات الاقليمية، الأمر الذي أصبح قريباً جداً في الماضي وسيتكرر. وفوق ذلك، فسياسة الولايات المتحدة قد أسهمت مادياً في الحفاظ على حالة من المواجهة العسكرية وهي قائمة على افتراضات عنصرية كامنة لا يمكن قبولها إذا جرى التصريح بها علناً. هناك أيضاًفارق ملحوظ بين المواقف الشعبية، التي على العموم تدعم اقامة دولة فلسطينية عندما يطرح السؤال في الاستفتاءات، وبين سياسة الدولة، التي تمنع بوضوح هذا الخيار. مع أن هذا الفارق يبقى ذا أهمية ضئيلة مادامت العناصر الأنشط سياسياً والأكثر قدرة على التعبير من بين السكان تلتزم النظام اللائق. ولضمان هذه النتيجة، فمن الضروري القيام بما يسميه المؤرخون الاميركيون "الهندسة التاريخية" عندما قدّموا مواهبهم لإدارة ويلسون خلال الحرب العالمية الأولى، وهي احدى الممارسات المبكرة لتنظيم "فبركة الموافقة". وهناك عدد من السبل لتحقيق هذه النتيجة.

وأحد الأساليب هو ابتداع شكل ملائم من "نيوسبيك" حيث المصطلحات المفصلية لها معنى فني، معزول عن معناها العادي. تأمل، على سبيل المثال، مصطلح "مسار السلام"، في معناه الفني، كما يستعمل في وسائط الاعلام الجماهيرية والثقافة عامة في الولايات المتحدة، يشير إلى مقترحات للسلام تقدمت بها الحكومة الاميركية. وعليه، فالحقيقة البدهية أن الولايات المتحدة ملتزمة بالسلام، وهي نتيجة مفيدة. والناس الذين يفكرون بأسلوب سوي يأملون أن ينضم الأردن إلى مسار السلام، أي أن يقبل بالاملاءات الاميركية. والسؤال الكبير هو فيما إذا كانت منظمة التحرير ستوافق على الانضمام إلى مسار السلام، أو تمنح الإذن بالدخول إلى هذا الاحتفال المهيب. وعنوان مراجعة لـ "مسار السلام" كتبها بيرنارد غفيرتسمان في صحيفة نيويورك تايمز هو

كالتالي: "هل الفلسطينيون مستعدون للسعي إلى السلام"؟[٤] في المعنى العادي لمصطلح "سلام"، فالجواب بالطبع "نعم" ، الجميع يسعون إلى السلام بشروطهم؛ هتلر، على سبيل المثال، بالتأكيد سعى إلى السلام في ١٩٣٩ ولكن بشروطه الخاصة. أما في نظام التحكم بالفكر، السؤال يعني شيئاً آخر: هل الفلسطينيون مستعدون لقبول شروط الولايات المتحدة للسلام؟ وهذه الشروط يصدف أنها تحرمهم من حق المصير الوطني، إلا أن عدم الرغبة لقبول هذه النتيجة تدل على أن الفلسطينيين لا يسعون إلى السلام، كما يجري تعريفه في نيوسبيك اصطلاحياً.

لاحظ أنه ليس ضرورياً لغفير تسمان أن يسأل ما إذا كانت الولايات المتحدة واسرائيل "مستعدتين للسعي إلى السلام". فبالنسبة إلى الولايات المتحدة هذا صحيح بحد ذاته. ومصطلحات ما يسمى، "صحافة مسؤولة" (أورويلية أخرى) تستتبع أن يكون الشيء نفسه صحيحاً بالنسبة لدولة تابعة حسنة السلوك.

ويؤكد غفير تسمان أيضاً أن منظمة التحرير الفلسطينية قد رفضت على الدوام "أي كلام عن سلام متعاقد عليه مع اسرائيل". وذلك عار عن الصحة، ولكنه صحيح في عالم "الوهم الضروري" الذي تمّ بناؤه على يد صحيفة ريكورد، التي، سوية مع صحف مسؤولة أخرى، إما أنها أخفت الحقائق المتعلقة بالأمر أو حولتها إلى ثقب أورويل للذاكرة المفيد.

طبعاً هناك مقترحات سلام عربية، بما فيها مقترحات لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولكنها ليست جزءاً من "مسار السلام". وهكذا، وبمراجعة "لعقدين من السعي وراء السلام في الشرق الأوسط"، ويستثني مراسل التايمز في القدس، توماس فريدمان، مقترحات العرب (بمن فيهم منظمة التحرير) الرئيسة للسلام؛ ولا تسجّل مقترحات اسرائيلية لأنه لم تقدم مقترحات جدية، وهذه حقيقة لا يجري بحثها لأسباب واضحة[٥].

فما هي طبيعة "المسار السياسي" الرسمي، والمقترحات العربية التي جرى استثناؤها منه؟ وقبل الاجابة على السؤال، علينا أن نوضح مصطلحاً آخر في نيوسبيك: "الرفض". ففي الاستعمال الاوروليّ، يشير هذا المصطلح إلى موقف العرب الذي ينفي حق اليهود الاسرائيليين في تقرير مصيرهم الوطني، أو الذي يرفض قبول "حق اسرائيل بالوجود"، وهو مفهوم مستحدث وعبقري مصمم لمنع الفلسطينيين من الدخول في "مسار السلام" بالتدليل على "تطرف" أولئك الذين يرفضون الرضوخ للعدل، الذي يرون أنه يسلبهم وطنهم، والذي يصر على المنظور التقليدي ـ المنظور الذي تمَّ تبنيه في النظام الايديولوجي المهيمن في الولايات المتحدة، كما بالممارسة الدولية السائدة فيما يتعلق بكل دولة عدا اسرائيل ـ أنه بينما يعترف بالدول في إطار النظام الدولي، فإن "حقها بالوجود" ليس كذلك.

هناك عناصر في العالم العربي ينطبق عليها مصطلح "رافضة": ليبيا، أقلية جبهة الرفض في منظمة التحرير الفلسطينية وغيرهما. ولكن يجب ألا يغيب عن الملاحظة أنه في نيوسبيك الرسمي، فالمصطلح يستعمل بالمعنى العنصري حصراً.

ولو تركنا الافتراضات العنصرية جانباً، فإننا نلاحظ أن هناك مجموعتين تدعيان الحق في تقرير المصير في فلسطين السابقة: السكان المحليون، الذين كانوا دائماً أغلبية كبيرة قبل اقامة دولة اسرائيل، والمستوطنون اليهود الذين ازاحوهم، وأحياناً بدرجة كبيرة من العنف. ومن المفترض، أن تكون للسكان الأصليين حقوق موازية لتلك التي يتمتع بها المهاجرون اليهود (وقد يجادل البعض أن هذا لا يكفي، ولكنني أضع هذه المسألة جانباً). وإذا كان الأمر كذلك، فإن مصطلح "الرفض" يجب استعماله للإشارة إلى نفي حق تقرير المصير الوطني لإحدى هاتين الجماعتين الوطنيتين المتنافستين أو الأخرى، ولكن المصطلح لا يمكن استعماله في معناه غير العنصري داخل

النظام العقائدي الاميركي، وإلاَّ بدا حالاً أن الولايات المتحدة واسرائيل، تقودان معسكر الرفض، وهو تبصر في العالم الحقيقي لا يمكن تحمله.

وبعد هذه التوضيحات، يمكننا الانتقال إلى السؤال: ما هو "مسار السلام"؟

إن "مسار السلام" الرسمي هو رفضي بوضوح، وذلك يضم الولايات المتحدة كما التكتلين السياسيين الرئيسيين في اسرائيل. ورفضهم بالحقيقة متطرف إلى حد أنه لا يسمح للفلسطينيين بحق اختيار ممثليهم في المفاوضات النهائية حول مصيرهم ـ كما أنهم محرومون من الانتخابات البلدية أو اية أشكال ديمقراطية أخرى تحت الاحتلال العسكري الاسرائيلي. هل هناك على جدول الأعمال مقترح سلام غير رافض (بالمعنى غير العنصري للمصطلح)؟ في النظام العقائدي الاميركي، الجواب بالطبع "لا"، بشكل بدهي. وفي العالم الحقيقي، الامور مختلفة. والشروط الاساسية لهذا المقترح معروفة، وهي تعكس اجماعاً دولياً واسعاً: فهي تضم دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى جانب اسرائيل والمبدأ "أنه من الجوهري ضمان أمن وسيادة جميع الدول في المنطقة بما فيها اسرائيل".

وهذه الكلمات مقتطفة من خطاب ليونيد بريجنيف أمام مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي في شباط/فبراير ١٩٨١ معبراً عن الموقف السوفياتي، التقليدي. وصحيفة نيويورك تايمز أوردت مقتطفات من خطاب بريجنيف وحذفت هذه المقاطع المفصلية؛ والحذف في برافدا من بيان ريغان بعد القمة أثار الكثير من الغضب المبرَّر.وفي نيسان/ابريل ١٩٨١ وافقت منظمة التحرير بالاجماع على بيان بريجنيف، ولكن هذه الحقيقة لم توردها التايمز. العقيدة الرسمية تتشبث بأن الاتحاد السوفياتي، كما هو الحال دائماً، يهمه فقط أن يسبب المشاكل ويسد طريق السلام، وهكذا يدعم الرفض

والتطرف العربيين. ووسائط الاعلام تؤدي الدور الموكل إليها كما يجب.

ويمكن للمرء أن يورد أمثلة اخرى. ففي تشرين أول/اكتوبر ١٩٧٧ ، صدر بيان مشترك عن كارتر وبريجنيف، دعا إلى "انهاء حالة الحرب واقامة علاقات سلمية طبيعية"، بين اسرائيل وجيرانها. وقد وافقت منظمة التحرير الفلسطينية على ذلك، إلا أنه تمّ سحبه من قبل كارتر بعد ردّ فعل غاضب من قبل اسرائيل واللوبي التابع لها في اميركا. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٧٦ قدم الأردن وسوريا ومصر اقتراحاًلتسوية على أساس دولتين إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بما يتفق مع الاجماع الدولي. وقد وافقت منظمة التحرير الفلسطينية على الاقتراح؛ وبحسب الرئيس الاسرائيلي حاييم هيرتسوغ (المندوب في الأمم المتحدة آنذاك)، فإنه (الاقتراح) قد "أعدته" منظمة التحرير الفلسطينية. وقد استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضده(٦).

الكثير من هذا قد أزيل من التاريخ، من الصحافة والعلم، والمبادرة العربية لعام ١٩٧٦ لا يرد ذكرها حتى في المراجعة الدقيقة بالعادة التي يقدمها سيث تلمان في كتابه "الولايات المتحدة والشرق الأوسط" (انديانا ١٩٨٢). ولكنها مذكورة في كتاب ستيفن شبيغل "الصراع العربي - الاسرائيلي الآخر" (شيكاغو ١٩٨٥ ، ٣٠٦) وهو عمل علمي يحظى بمزيد من الاطراء، مع بعض التعليقات الجديرة بالتنويه. ويقول شبيغل أن الولايات المتحدة "استخدمت الفيتو ضد القرار المؤيد للفلسطينيين" من أجل "التدليل على أن الولايات المتحدة كانت راغبة في سماع تطلعات الفلسطينيين ولكنها لن ترضخ للمطالب التي تهدد اسرائيل". إن الالتزام الاميركي/ الاسرائيلي بالرفض لا يمكن أن يكون أكثر وضوحاً، ومع ذلك يجري تقبله على أنه لائق تماماً في الولايات المتحدة، جنباً إلى جنب مع المبدأ بأن المطالب التي تهدد الفلسطينيين هي شرعية تماماً، وفي الواقع تستحق الثناء:

شروط "مسار السلام" الرسمي، مثلاً. وفي المناقشات العامة، هناك مسألة عقائدية بأن الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تتزحزح أبداً عن رفضها التوصل إلى تفاهم مع اسرائيل بأي شكل كان، فيما خلا السادات بعد رحلته إلى القدس عام ١٩٧٧ . . والحقائق ليس من شأنها أن تشكل احراجاً، أو حتى مضايقة، لنظام يعمل جيداًفي "هندسة التاريخ".

إن ردّ اسرائيل في عام ١٩٧٦ على اقتراح السلام الذي تقدمت به منظمة التحرير الفلسطينية و "دول المواجهة" كان قصف لبنان (دون التظاهر بـ "الانتقام"، عدا في مجلس الأمن)، وقتل ما يزيد على ٥٠ انسانا، والاعلان أن اسرائيل لن تتعامل مع أي فلسطيني في أي شأن سياسي. تلك كانت حكومة العمال الحمائمية برئاسة يتسحاق رابين، الذي، في مذكراته، يحدد نمطين من "التطرف": واحد هو الخاص بحكومة بيغن، والآخر هو اقتراح "المتطرفين الفلسطينيين (أساساً منظمة التحرير)" وبالتحديد، "إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة في الضفة الغربية وقطاع غزة"؛ وحده أسلوب رفض حزب العمل يحيد عن "التطرف" وهو موقف يشارك به المعلقون الاميركيون(٧).

ونلحظ عرَضاً زوجاً آخر من مفاهيم نيوسبيك: "متطرف" و "معتدل"، والأخير يشير لأولئك الذين يقبلون موقف الولايات المتحدة، أما الأول فلأولئك الذين لا يفعلون. وهكذا فالموقف الاميركي هو معتدل بشكل بديهي، كما هو الحال بالنسبة إلى الائتلاف العمالي الاسرائيلي (بشكل عام)، لأن خطابه يميل للاقتراب من خطاب الولايات المتحدة. وهكذا يتكيف رابين مع الممارسة المصادق عليها في استعماله للمصطلحين "معتدل" و "متطرف"، وبالمثل، وفي مراجعة مكربة بشكل مناسب لـ "التطرف" وتصاعده، يضم فريدمان تحت هذا العنوان أولئك الداعين إلى

تسوية غير عنصرية بما يتلاءم مع الاجماع الدولي، بينما القادة الغربيون لمعسكر الرفض، الذين هم أيضاً في مقدمة قيادة عمليات الارهاب، هم "المعتدلون"، كما يمكن للمرء أن يضيف، بشكل بديهي. وفريدمان يقول أن "المتطرفين كانوا دائماًأفضل حالاً في استغلال وسائط الاعلام". وهو على حق تماماً؛ فاسرائيل والولايات المتحدة أظهرتا براعة لا مثيل لها في هذا الفن، كما تدل مقالاته وتقاريره الاخبارية بالذات - مما يقود المرء إلى التساؤل ما إذا لم يكن من الواجب تسميته "مراسل اسرائيل في التايمز"[٨]. إن صيغته المريحة للتاريخ واطار المفاهيم في تقاريره، كما جرى التدليل عليهما أعلاه مباشرة، يوفران قليلاً من الأمثلة العديدة لنجاح المتطرفين في "استغلال وسائط الاعلام" - باستعمال المصطلح هنا في معناه غير الاورولي.

وبتبني اطار المفاهيم هذا، المصمم لاستثناء أي فهم ممكن للحقائق والقضايا، تتبع التايمز ممارسة أنماط اسرائيلية مثل رابين، ممن يحققون مرتبة "معتدلين" بفضل تكيفهم العام مع مطالب حكومة الولايات المتحدة. وبشكل موازٍ فمن الطبيعي جدّاً عندما يراجع فريدمان "عقدان من السعي وراء السلام في الشرق الأوسط"، فإن المقترحات الرئيسية التي ترفضها الولايات المتحدة واسرائيل تحذف، على أنها غير صالحة للسجل التاريخي.

في هذا الاثناء يمتدح محررو التايمز القادة الاسرائيليين على "سلوكهم العملي الصحي" بينما تُشجب منظمة التحرير الفلسطينية لوقوفها في طريق السلام[٩].

وبالصدفة، فمن الثوابت في النظام الايديولوجي أن وسائط الاعلام تنتقد اسرائيل والولايات المتحدة كثيراً وأنها مستعدة للذهاب بعيداًفي تحملها للمتطرفين العرب. وحقيقة أن مثل هذه التصريحات يمكن لها أن تصدر دون أن تثير السخرية هي مؤشر واحد على النجاح غير العادي لنظام التعبئة العقائدية.

وبالعودة إلى "المتطرفين"، ففي نيسان - آيار/ابريل - مايو ١٩٨٤ أصدر

ياسر عرفات سلسلة من التصريحات تدعو إلى مفاوضات تؤدي إلى اعتراف متبادل. الصحافة الوطنية رفضت نشر الحقائق؛ التايمز منعت حتى نشر الرسائل التي تشير إليها، بينما استمرت في شجب عرفات "المتطرف" لكونه يسد الطريق على تسوية سلمية[١٠].

هذه وأمثلة أخرى كثيرة تدل على وجود مقترحات غير رافضة تحظى بدعم واسع؛ وفي الحقيقة، فإنها تحظى بنسب متفاوتة بدعم غالبية اوروبا، الاتحاد السوفياتي، دول عدم الانحياز الدول العربية الرئيسية والتيار الأساسي في منظمة التحرير الفلسطينية، وغالبية الرأي العام الاميركي (احتكاماً إلى العدد القليل من الاستفتاءات القائمة). ولكنها ليست جزءاً من مسار السلام لأن الولايات المتحدة تعارضها. والأمثلة المذكورة مستثناة من مراجعة التايمز لكتاب "عقدان من السعي وراء السلام" ومن الادبيات الصحفية وحتى العلمية بشكل عام إلى حد كبير.

هناك أحداث أخرى غير مؤهلة لأن تكون جزءاً من مسار السلام. وهكذا فمراجعة التايمز لا تذكر ما تقدم به أنور السادات من معاهدة سلام شامل على أساس الحدود المعترف بها دولياً ـ الأمر الذي يتطابق مع الخطاب الاميركي الرسمي في حينه ـ في شباط/فبراير ١٩٧١ والذي رفضته اسرائيل بدعم اميركي.

لاحظ أن هذا المقترح رافض في أنه لم يقدم شيئاً للفلسطينيين. وفي مذكراته يوضح هنري كيسنجر سياسته في حينه: "حتى يظهر بعض الدول العربية الرغبة للانفصال عن السوفيت، أو أن السوفيت اصبحوا مستعدين للتنصل من برنامج الحد الأقصى العربي، فليس لدينا سبب لتعديل سياستنا" القائمة على "المأزق". الاتحاد السوفياتي كان متطرفاً، بالمعنى الفني، لأنه يدعم ما صدف أن كان الموقف الرسمي (لكن ليس العملي) في السياسة

الاميركية. وكيسنجر كان بالطبع على حق عندما أشار إلى أن دولاً عربية مثل السعودية رفضت "الانفصال عن السوفيت" لكنه لم يلاحظ، ولعله غير واع كما يبدو، إلى أن ذلك بمثابة عدم امكانية منطقية لأنها (السعودية) لم تقم حتى علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي ولم تفعل ذلك قط. والنظام المثير للاعجاب الخاص بوسائط الاعلام والثقافة يتكشف من خلال الحقيقة أن هذه التصريحات المذهلة تمرُّ بلا تعليق، مثلما أن أحداً من المعلقين المسؤولين لم يعبر عن الحقيقة بأن جهل كيسنجر المبارك واصراره على مواجهة عسكرية كان العامل الرئيسي الذي قاد إلى حرب ١٩٧٣[١١].

لقد شطب اقتراح السادات من سجل التاريخ، والرواية الرسمية هي أن السادات كان سفاحاً عربياً نموذجياً، همه الوحيد أن يقتل يهوداً، ولكنه اكتشف خطأه فقط بعد محاولته الفاشلة لتدمير اسرائيل عام ١٩٧٣ ، وتحت الوصاية الرؤوفة لكل من كيسنجر وكارتر أصبح رجل سلام. وهكذا في مرثية من صفحتين في التايمز بعد اغتيال السادات لم تخف الصحيفة الحقائق فحسب وإنما نفتها بشكل واضح معلنة أنه إلى حين رحلته إلى القدس عام ١٩٧٧ ، لم يكن السادات راغباً "بقبول وجود اسرائيل كدولة ذات سيادة"[١٢].

نيوزويك رفضت حتى طباعة كتاب يصحح التسليف الصريح في هذه المسألة، كتبه المحرر فيها، جورج ويل، مع أن دائرة الأبحاث اعترفت بالحقائق على انفراد. وهذه الممارسة عادية.

المصطلحان "ارهاب" و "انتقام" لهما معنى خاص في نيوسبيك الاميركي، "الارهاب" يشير إلى الأعمال الارهابية التي ينفذها القراصنة، خاصة العرب. الأعمال الارهابية التي ينفذها الأباطرة وعملاؤهم تسمى "انتقاماً" أو ربما "ضربات استباقية شرعية هدفها تفادي الارهاب"، بمعزل عن الحقائق، كما ستجري مناقشتها بالفصل التالي.

المصطلح "رهينة" - مثله مثل "ارهاب"، "معتدل"، "ديمقراطي"، وغيرها من المصطلحات في اللغو السياسي - له أيضاً معنى اورولي فني في النظام العقائدي السائد. وفي المعنى الوارد في القاموس لهذه الكلمات، فإن شعب نيكاراغوا يحتجز الآن كرهينة في عملية ارهابية ضخمة موجهة من مراكز الارهاب الدولي في واشنطن وميامي. وهدف هذه الحملة من الارهاب الدولي هو احداث تغييرات في سلوك حكومة نيكاراغوا: بشكل أساس، وضع نهاية للبرامج التي توجه الموارد إلى الغالبية من الفقراء والعودة إلى السياسات "المعتدلة" و "الديمقراطية" التي تعطي الأفضلية لمصالح رجال الأعمال الاميركيين وشركائهم المحليين. وبالامكان اثارة قضية قوية بأن ذلك هو السبب المركزي للحرب الارهابية التي تقودها الولايات المتحدة ضد نيكاراغوا، ولكنها قضية ليست مرفوضة فحسب، وإنما غير مطروحة للمناقشة في النظام الاميركي للتحكم بالفكر[١٣]. وهذه ممارسة ارهابية سادية بشكل خاص ليس فقط بسبب الحجم والهدف الواضح، ولكن أيضاً بسبب الوسائل المستخدمة، والتي تتجاوز كثيراً الممارسات العادية في الارهاب بالتجزئة الذي تثيرأفعاله رعباً كهذا في الأوساط المتحضرة: ليون كلينغوفر وناتاشا سمبسون قتلا على أيدي ارهاربيين، ولكنهما لم يتعرضا أولاً للتعذيب الوحشي، تقطيع الأوصال، الاغتصاب، وغير ذلك من الممارسات العادية لدى الارهابيين الذين تدربهم وتدعمهم الولايات المتحدة، كما يوضح ذلك بشكل جلي السجل الذي يتم تجاهله بالعادة هنا. وسياسة الولايات المتحدة هي ضمان استمرار الهجمات الارهابية حتى تخضع الحكومة أو تسقط، بينما ندماء الامبراطور يعظون بكلمات رقيقة حول "الديمقراطية" و "حقوق الانسان".

ولكن في الاستعمال الاورولي، المصطلح "ارهاب" و "رهينة"

محصوران في طبقة محددة من أعمال الارهاب: ليس الارهاب بالجملة الذي يقوم به الامبراطور وإنما الارهاب بالتجزئة الذي يقوم به القراصنة، والموجه ضد أولئك الذين يعتبرون الارهاب واحتجاز الرهائن على نطاق واسع امتيازاً لهم. وفي الشرق الأوسط، القرصنة الاسرائيلية، احتجاز الرهائن، الهجمات الارهابية على قرى لا تملك وسائل الدفاع.. إلخ لا تقع في اطار مفهوم الارهاب، كما جرى توليفه في النظام العقائدي.

إن سجل الخداع حول الارهاب، الذي سأنصرف إليه في الفصل التالي، طويل إلى حد أنه لا يمكن اعطاء أكثر من نماذج منه هنا. أنه ذو دلالة كبيرة جدّاً فيما يتعلق بعمل الدعاية الغربية وطبيعة الثقافة الغربية. والنقطة ذات الصلة هنا أن تاريخاً لائقاً وشكلاً ملائماً من نيوسبيك قد جرى توليفهما بحيث يقع الارهاب في دائرة الفلسطينيين، بينما الاسرائيليون يقومون بـ "الرد الانتقامي" أو أحياناً "الاستباق" الشرعي، وبين الفينة والأخرى يردون بقساوة مؤسفة، كما تفعل كل دولة في ظروف صعبة كهذه. والنظام العقائدي مصمم لضمان أن تكون هذه الاستنتاجات صحيحة بشكل بديهي، بغض النظر عن الحقائق ـ التي إمّا أنه لا يرد ذكرها، أو يرد بشكل يتوافق مع الضرورات العقائدية أو ـ أحياناً ـ تذكر بأمانة ولكنها تلقى في ثقب الذاكرة. وأخذاً بالاعتبار أن اسرائيل دولة موالية وعميلة مفيدة جداً، تخدم كـ "ذخر استراتيجي" في الشرق الأوسط ومستعدة لتولي مهام قريبة من الإبادة العنصرية في غواتيمالا، عندما يمنع الكونغرس الإدارة الاميركية من المشاركة الكاملة كما ترغب في هذه الممارسة الضرورية، يصبح صحيحاً، بغض النظر عن الحقائق أن اسرائيل متفانية في خدمة القيم الأخلاقية العليا و "طهارة السلاح"، بينما الفلسطينيون هم ذروة التطرف، الارهاب والبربرية. والايحاء بأنه قد يكون هناك شيء من التناسق في الحقوق والممارسة الارهابية مرفوض بحنق في التيار العام ـ أو أنه سيكون كذلك

لو أمكن اسماع الكلمات - على أنه لا سامية، بالكاد مستورة. وأي تقويم عقلاني، يعطي صورة دقيقة وتحليلاً لحجم وأهداف ارهاب الامبراطور والقرصان، أمر مستثنى مسبقاً، وفي الحقيقة، فبالكاد يكون مفهوماً ويبقى بعيداً جدّاً عن الاورثوذوكسية المستلهمة.

وخدمات اسرائيل للولايات المتحدة كـ "ذخر استراتيجي" في الشرق الأوسط وغيره تساعد على توضيح التفاني في الولايات المتحدة، منذ تولي كيسنجر صنع السياسة في الشرق الأوسط في بداية السبعينات، للحفاظ على المواجهة العسكرية و "المأزق" الكيسنجري[١٤]. فلو سمحت الولايات المتحدة بتسوية سلمية انسجاماً مع الاجماع الدولي، فإن من شأن اسرائيل أن تنخرط تدريجياً في المنطقة وتفقد الولايات المتحدة الخدمات الثمينة لدولة مرتزقة، قادرة عسكرياً ومتقدمة تقنياً، دولة منبوذة تعتمد كلياً على الولايات المتحدة لبقائها العسكري والاقتصادي، ومن هنا فهي موثوقة وجاهزة للخدمة عند الحاجة.

وعناصر مما يسمى "اللوبي الاسرائيلي" لها مصلحة بالحفاظ على المواجهة العسكرية، كما اكتشف الصحفي الاسرائيلي داني روبنشتاين من صحيفة دافار العمالية أثناء زيارة إلى الولايات المتحدة في ١٩٨٣[١٥]. وفي لقاءات مع ممثلين عن المنظمات اليهودية الرئيسية (بني بريث، انتي ديفاميشن ليج، الكونغرس اليهودي العالمي، هداسا، وحاخامات من كل الطوائف...إلخ) اكتشف روبنشتاين أن طروحاته حول الوضع الراهن في اسرائيل أثارت عداءً كبيراً لأنه أكد الحقيقة بأن اسرائيل لا تواجه أخطاراً عسكرية بقدر ما هي "سياسية واجتماعية ودمار أخلاقي" بسبب الاستحواذ على المناطق المحتلة. "هذا لايهمني" قال له أحد النشطاء؛ "لا أستطيع أن أفعل شيئاً بمثل هكذا حجة"، والنقطة التي اكتشفها روبنشناين

في العديد من هذه الحوارات الساخنة هي كالتالي:

"بحسب غالبية الناس في المؤسسة اليهودية الشيء الأهم هو التوكيد المرة تلو الأخرى على الخطر الخارجي الذي تواجهه اسرائيل.. المؤسسة اليهودية في الولايات المتحدة تحتاج اسرائيل كضحية لهجوم عربي وحشي فحسب .لأنه فقط لاسرائيل كهذه يمكن الحصول على الدعم، على المتبرعين والمال. كيف يمكن جباية الأموال لمحاربة خطر ديمغرافي؟ من سيدفع حتى ولو دولاراً واحداً لمحاربة ما أسميه "خطر الضمّ"؟ الجميع يعلمون الحصيلة الرسمية للتبرعات التي يجمعها النداء اليهودي الموحد في اميركا، حيث يستخدم اسم اسرائيل، ولكن نصف المبلغ لا يذهب إلى اسرائيل وإنما للمؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة. هل يوجد رياء أكثر من ذلك؟"

ويتابع روبنشتاين ليلاحظ بأن النداء الموحد

"الذي يدار كعملى مالي فعال وحازم له لغة مشتركة مع المواقف الصقرية في اسرائيل، ومن جهة أخرى فإن محاولة التواصل مع العرب، السعي إلى اعتراف متبادل مع الفلسطينيين الموقف المعتدل والحمائمي، كلها تعمل ضد عملية جمع التبرعات. وهي لا تقلص المبالغ التي تحوَّل إلى اسرائيل فحسب ، وإنما الأقرب إلى النقطة الجوهرية إنها تقلص المبالغ المتوفرة لتمويل نشاطات الجاليات اليهودية".

المراقبون للنشاط العادي الذي تقوم به شرطة الفكر التابعة للوبي الاسرائيلي المتحفزة لالتقاط أدق الاشارات من الايحاء عن التصالح والتسوية السياسية ذات المغزى، وتهديم تلك الهرطقة بمقالات عاصفة ورسائل إلى الصحافة، نشر مواد مفبركة تشهيرية حول الهراطقة، إلخ، يعرفون تماماً ماذا كان روبنشتاين يواجه.

وملاحظات روبنشتاين تعيد إلى ذاكرتنا مصطلحاً اوروليا آخر: مصطلح "الداعمين لاسرائيل"، الذي يستعمل تقليدياً للاشارة إلى أولئك الذين لا يزعجهم "الدمار السياسي، الاجتماعي والأخلاقي" في اسرائيل (وعلى المدى البعيد ربما دمارها المادي أيضاً)، وبالفعل يسهمون بتلك النتائج عبر الدعم "الشوفيني الأعمى وضيق الأفق" الذي يقدمونه "لمظهر اسرائيل المتعنت القاسي"، الأمر الذي حذر منه الحمائم في اسرائيل مراراً[١٦].

وفي نفس السياق يمكن لنا ملاحظة الطريقة المثيرة للاهتمام التي يجري بها تعريف "الصهيونية" راهناً - بشكل ضمني طبعاً - من قبل أولئك الذين يتخذون لأنفسهم دور الوصي على نقاء العقيدة. فآرائي الخاصة مثلاً، تدان عادة على أنها "مناهضة بعنف للصهيونية" من قبل أناس يعرفون هذه الآراء جيداً، كما جرى التعبير عنها تكراراً وبوضوح: بأن اسرائيل بحدودها المعترف بها دولياً يجب أن تمنح حقوق أية دولة في النظام الدولي، لا أكثر ولا أقل. وأن الهياكل المؤسساتية التمييزية التي، قانونا وممارسة، تحدد موقعاً خاصة لفئة من المواطنين (يهود، بيض ،مسيحيين إلخ) وتمنحهم حقوقاً تحجبها عن الآخرين، يجب تفكيكها.ولن أطرح، هنا السؤال ما يجب تسميته "صهيونية" بشكل صحيح، وإنما الإشارة فقط الى ما يترتب على تحديد هذه الآراء بأنها "مناهضة بعنف للصهيونية": الصهيونية هي العقيدة بأن اسرائيل يجب أن تمنح حقوقاً تتجاوز تلك التي تتمتع بها أية دولة أخرى؛ وأنها يجب أن تحتفظ بالسيطرة على المناطق المحتلة، مانعة بذلك أي شكل ذي معنى لحق تقرير المصير للفلسطينين، وأنها يجب أن تبقى دولة قائمة على مبدأ التمييز ضد المواطنين غير اليهود. ومما يلفت الانتباه بشكل خاص، ملاحظة أن "الداعمين لاسرائيل" يصرُّون على صحة قرار الأمم المتحدة السيء الصيت حول الصهيونية والعنصرية.

ويجب ملاحظة أن هذه المسائل ليست مجردة أو نظرية. فمشكلة التمييز حادة في اسرائيل، حيث على سبيل المثال، أكثر من ٩٠٪ من الأرض تقع، قانونياً، تحت سيطرة منظمة مكرسة لمصالح "أشخاص من أصل أو عرق أو ديانة يهودية، بحيث أن المواطنين غير اليهود مستثنون بشكل محكم. أن الالتزام بممارسات التمييز عميق إلى حد أن المسألة لا يمكن حتى طرحها في البرلمان، حيث صدرت قوانين جديدة تمنع تقديم أي مشروع قرار "يتعارض مع وجود دولة اسرائيل كدولة للشعب اليهودي"، وليس لمواطنيها فحسب. وهكذا فالتشريع يشطب، كغير شرعي، أي اعتراض برلماني لطبيعة الدولة التمييزية بشكل أساسي، ويمنع بشكل محكم الأحزاب السياسية الملتزمة بالمبدأ الديمقراطي المتعارف عليه بأن الدولة هي دولة مواطنيها[١٧]. ومن الملفت أن الصحافة الاسرائيلية وغالبية الرأي المثقف يبدوان وكأنهما لم يلحظا شيئاً غريباً في حقيقة أن هذا التشريع الجديد تواكب مع مشروع قرار "ضد العنصرية" (والأصوات الأربعة المعترضة، بالحقيقة كانت ضد هذا الجانب من الاجراء). والعنوان الرئيسي في الجيروزاليم بوست ورد كالتالي: "الكنيست تحظر مشاريع القوانين العنصرية والمناهضة للصهيونية" ـ وبدون سخرية، فالمصطلح "صهيوني" يجري تفسيره كما في التشريع الجديد. وقراء الجيروزاليم بوست كما يبدو لم يجدوا هنا أيضاً شيئاً يستحق الملاحظة في هذا السياق كما لم يسبق لهم أن وجدوا أية صعوبة في ملاءمة الطبيعة غير الديمقراطية أساساً لصيغتهم الصهيونية مع التهليل الحماسي للطبيعة الديمقراطية للدولة التي تتجسد فيها.

وليس أقل لفتاً للنظر ذلك الاستعمال العبقري لمصطلح "لاسامية"، مثلاً، للاشارة إلى أولئك الذين يظهرون "معارضة الحمقى للامبريالية" (صنف من اللاسامية) من خلال الاعتراض على دور اسرائيل في العالم الثالث خدمة

لقوة الولايات المتحدة - في غواتيمالا مثلاً - أو إلى الفلسطينيين الذين يرفضون فهم أن مشكلتهم يمكن التغلب عليها "بالتوطين وبعض التعويضات"؛ وإذا اعترض من تبقى من سكان قرية الدوايمة، حيث ذبح المئات على يد الجيش الاسرائيلي في عملية تطهير الأرض عام ١٩٤٨ ، أو سكان قطاع غزة الشبيه بسويتو، فإن ذلك يثبت أنهم يستلهمون "اللاسامية"[١٨]. وعلى المرء أن ينحدر إلى الأعماق السفلى للحوليات الستالينية ليجد شيئاً مثيلاً، لكن أمثلة موازية في الأحاديث المثقفة في الولايات المتحدة بالنسبة لاسرائيل ليست نادرة وتمر بدون ملاحظة هنا، مع أن الحمائم الاسرائيليين لم يفشلوا في حدس وإدانة الأسلوب الستاليني.

والوسيلة المركزية في نظام "غسل الدماغ في ظل الحرية"، الذي تطور بشكل يدعو إلى الاعجاب في الولايات المتحدة، هي تشجيع الحوار في قضايا السياسة ولكن في اطار الافتراضات المسبقة التي تتضمن العقائد الأساسية في خط الحزب. وكلما كان الحوار أكثر حيوية كلما تغلغلت هذه الافتراضات بشكل أكثر نجاعة. بينما المشاركون والمتفرجون تعتريهم الرهبة والمداهنة الذاتية لشجاعتهم وللحريات الرائعة التي يجري التمسك بها في مجتمعهم.

وهكذا، ففي حالة حرب فيتنام، سمحت المؤسسات الايديولوجية بالنقاش بين "الصقور" و "الحمائم"؛ وفي الحقيقة فالنقاش لم يسمح به فحسب، وإنما تم تشجيعه أيضاً في ١٩٦٨ ، عندما انقلبت قطاعات واسعة من دوائر العمال الاميركية ضد الحرب لكونها مكلفة جدّاً وضارة بمصالحهم. الصقور ذهبوا إلى أنه بالحزم والمثابرة يمكن للولايات المتحدة أن تنجح في "حمايتها لجنوب فيتنام ضد العدوان الشيوعي"، ورد الحمائم بوضع علامة استفهام حول امكانية تحقيق أهداف هذا الجهد النبيل، أو استنكروا الافراط في استعمال القوة والعنف في هذا السبيل، أو أنهم ندبوا

على "الأخطاء" و "سوء الفهم" اللذين قادانا في فرط تبريرنا الأخلاقي أو "النزعة النزيهة لفعل الخير" (المؤرخ في جامعة هارفارد جون كنغ فيربانك، عمدة قسم الدراسات الاميركية الآسيوية والأكاديمي الحمائمي المرموق)، و "الجهود المتخبطة لفعل الخير" (انثوني لويس، ربما الحمامة الأولى في وسائط الاعلام). أو أحياناً، على الأطراف الخارجية للنظام العقائدي، طرحوا السؤال ما إذا كانت شمال فيتنام أو الفيتكونغ بالفعل مدانين بالعدوان، وأوحوا بأنه ربما كان الاتهام مبالغاًفيه.

والحقيقة المركزية والأكثر وضوحاً فيما يتعلق بالحرب، وبما يكفي من البساطة، هي أن الولايات المتحدة لم تكن "تدافع" عن جنوب فيتنام وإنما تهاجمها، وبالتأكيد منذ ١٩٦٢ عندما أرسل الرئيس كندي سلاح الجو الاميركي للمشاركة في القصف المكثف وحرق الغابات المصمم للمساعدة على دفع ملايين الناس إلى معسكرات التحشيد، حيث يصبحون تحت "الحماية" من رجال العصابات الفيتناميين الجنوبيين الذين كانوا يقدمون لهم الدعم برغبتهم (كما اعترفت حكومة الولايات المتحدة بشكل سرّي)، بعد أن نسفت الولايات المتحدة كل امكانية لتسوية سياسية ونصبت حكومة عميلة سفاحة، كانت إلى حينه قد قتلت ربما ١٠٠،٠٠٠ فيتنامي جنوبي. وعلى مدى الحرب، كان الهجوم الاميركي الرئيسي موجهاً ضد جنوب فيتنام، وقد نجح حتى نهاية الستينات، في تدمير المقاومة الفيتنامية الجنوبية بينما وسع الحرب إلى بقية الهند الصينية. وعندما يهاجم الاتحاد السوفياتي افغانستان فإننا نفهم أن هذا عدوان، ولكن عندما تهاجم الولايات المتحدة جنوب فيتنام يكون ذلك دفاعاً ـ دفاعاً ضد "عدوان داخلي"، كما أعلن ادلاي ستيفنسون في الأمم المتحدة في عام ١٩٦٤ ، في الوقت الذي كانت حكومته تخطط سرّاً لتوسيع رقعةالعدوان وتكثيفه. وكون الولايات المتحدة

كانت منخرطة في هجوم ضد جنوب فيتنام لم ينكره نظام الدعاية؛ ولكن الفكرة لم يكن بالإمكان التعبير عنها أو تصورها. فالمرء لا يجد اشارة لحدث مثل "الهجوم الاميركي ضد جنوب فيتنام" في وسائط الاعلام أو الثقافة السائدة، أو حتى في غالبية منشورات حركة السلام[١٩].

ليس هناك مثال صارخ عن القوة غير العادية لنظام السيطرة على الفكر الاميركي أكثر من النقاش الذي جرى حول العدوان الفيتنامي الشمالي وما إذا كان للولايات المتحدة في اطار القانون الدولي الحق في محاربته ضمن "دفاع ذاتي جماعي ضد هجوم مسلح". مجلدات علمية كتبت تدافع عن، اوتعارض ، المواقف. وبمصطلحات أقل رفعة، جرت متابعة النقاش على الحلبة الشعبية التي افتتحتها حركة السلام. والنقاش كان انعكاساً فخماً لنظام السيطرة على الفكر، كما كان اسهاماً لصالحه أيضاً، لأنه ما دام النقاش مركزاً على سؤال ما إذا كان الفيتناميون مذنبين بالعدوان في فيتنام، فلا يمكن أن يكون هناك بحث فيما إذا كان العدوان الاميركي ضد جنوب فيتنام هو في الحقيقة كما هو بالظاهر. وكأحد الذين شاركوا في هذا النقاش بوعي كامل لما كان يجري، يمكنني فقط أن اعترف أن معارضي عنف الدولة كانوا في مصيدة، حيث وقعوا في شرك نظام دعاية ذي نجاعة هائلة. فقد كان على منتقدي الحرب الاميركية في فيتنام أن يصبحوا خبراء في تعقيدات قضايا الهند الصينية؛ الأمر الذي لا يمت للموضوع بصلة، لأن القضية التي يجري تحاشيها دائماً اميركية، تماماً مثلما لسنا بحاجة للتخصص في شؤون افغانستان لمعارضة العدوان السوفياتي هناك. وكان من الضروري على الدوام دخول حلبة النقاش بالشروط التي تضعها الدولة ورأي النخبة الذي يخدمها باخلاص، وقد يفهم المرء أنه بعمله هذا يسهم أكثر في نظام التعبئة العقائدية. والبديل هو قول الحقيقة، الأمر الذي يكون بمثابة الكلام بلغة أجنبية ما.

وهذا يصح إلى حد كبير على النقاش الجاري حول اميركا الوسطى. فالحرب الارهابية الاميركية في السلفادور ليست موضوعاً للبحث بين الناس المحترمين؛ فهي ليست قائمة. أما جهود الولايات المتحدة لإحتواء نيكاراغوا فأمر مسموح به في النقاش لكن ضمن حدود ضيقة، يمكننا أن نسأل ما إذا كان صحيحاً استعمال القوة "لإستئصال السرطان" ومنع الساندينيين من تصدير "ثورتهم بلا حدود" (بناء خيالي من نظام الدعاية، معروف أنه مفبرك على يد صحفيين وغيرهم من المعلقين الذين يكررون باذعان كالببغاءات اتهامات الحكومة). ولكننا لا نستطيع مناقشة الحقيقة أن "السرطان" الذي يجب استئصاله قد ينشر "العدوى" في كل المنطقة وما وراءها. وهكذا ففي الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٨٦ ، عندما كان النقاش يشتد حول أصوات الكونغرس المرتقبة بشأن مساعدة الجيش الاميركي بالوكالة (كما وصفه سرّاً أكثر المتحمسين من مؤيديه) الذي يهاجم نيكاراغوا من قواعد في هندوراس وكوستاريكا، نشرت الصحافة الوطنية (نيويورك تايمز والواشنطن بوست) ليس أقل من ٨٥ وجهة نظر لمحررين ومساهمين مدعووين حول سياسة الولايات المتحدة إزاء نيكاراغوا. وجميع الـ ٨٥ انتقدوا الساندينيين، بدءاً بنقد مرير (للغالبية العظمى) وانتهاءً بنقد معتدل. وهذا ما يسمى "نقاش شعبي" في الولايات المتحدة. والحقيقة التي لا مراء فيها، بأن الحكومة الساندينية قد أنجزت اصلاحات اجتماعية بنجاح، وفي الواقع بشكل ملحوظ خلال السنوات الأولى، قبل أن تحبط حرب الولايات المتحدة هذه الجهود، لم يرد ذكرها تقريباً؛ في ٨٥ تعليقاً، كانت هناك جملتان تشيران إلى أنه كانت هناك اصلاحات اجتماعية كهذه. والحقيقة ـ التي لم تكن سرّاً كبيراً ـ بإن ذلك هو السبب الرئيسي للهجوم الاميركي، كانت طبعاً ، غير واردة الذكر ابداً وفي الواقع غير واردة في التفكير.

المنافحون المزعومون عن الساندينيين شجبوا بشدة (دون ذكر الأسماء لضمان ألاّ تكون لديهم الفرصة للرد، مهما كانت امكانية كهذه ضئيلة) ولكن أحداً من هؤلاء المجرمين لم يسمح له بالتعبير عن آرائه. ومن الصعوبة بمكان تصور أن تسمح الصحافة الوطنية بالتعبير عن استنتاجات وكالة التنمية الخيرية ـ اوكسفام ـ بأن نيكاراغوا كانت "متميزة" بين ٧٦ دولة نامية تعمل فيها (الوكالة) بالتزام القيادة السياسية "بتحسين أوضاع الشعب وتشجيع مشاركته النشطة في مسار التنمية" ، وأنه من بين الدول الأربع في اميركا الوسطى حيث تعمل اوكسفام، "فقط في نيكاراغوا بذلت جهود ملموسة لمعالجة الفوارق في ملكية الأرض، وتقديم الخدمات الصحية، التربوية والخدمات الزراعية، لعائلات الفلاحين الفقراء"، مع أن حرب الكونترا قضت على هذه التهديدات وجعلت اوكسفام تحول جهودها من مشاريع التنمية إلى معونات الحرب. ولا يمكن تصور أن تسمح الصحافة الوطنية بمناقشة الحقيقة بأن جهود الولايات المتحدة المكرسة لاستئصال "السرطان" تقع حصراً في اطار حرفتها التاريخية، تماماً كما الثقافة المحترمة يجب أن تتظاهر بأنها لا تعي مثل هذه الحقائق غير المقبولة. النقاش يمكن ان يجري حول الأسلوب اللائق لمحاربة هذه الحامية الآثمة لامبراطورية الشر، ولكن لا يجوز له أن يتجاوز الحدود المسموح بها في المنبر الوطني[٢٠].

وكما في حالة الهند الصينية، نرى هنا، في المجال المسموح، من التعبير عن الرأي، النجاح الملحوظ في "غسل الدماغ في ظل الحرية"، وكذلك وكما يجب على كل رجل شريف أن يفهم بسهولة، انعكاس العقلية الاستبدادية في ظروف حيث موارد عنف الدولة ليست متوفرة بما يضمن الطاعة الصارمة[٢١].

في الدكتاتورية أو "الديمقراطية" التي تسيرها العسكرتارية، الخط الحزبي

واضح، مكشوف وبيِّن، إما أنه معلن من قبل وزارة الحقيقة أو مبيَّن بطرق أخرى. ويجب أن يطاع جماهيرياً؛ لأن ثمن عدم الطاعة يمكن أن يتراوح بين السجن والنفي في ظروف رهيبة، كما هو الحال في الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الشرقية الدائرة في فلكه، وبين التعذيب الشنيع، الاغتصاب، بتر الأعضاء أو المجازر الجماعية، كما في دولة تابعة للولايات المتحدة مثل السلفادور. وفي مجتمع حر، لاتتوفر هذه الوسائل وتستعمل اساليب أكثر مكراً لضمان التحكم بالفكر. وخط الحزب لا يباح به، وإنما هو مفترض مسبقاً، وهؤلاء الذين لا يقبلون به لا يسجنون أو يرمون في حفائر بعد التعذيب والتشويه الجسدي، وإنما تتم وقاية السكان من هرطقاتهم.

وداخل التيار العام، هناك بالكاد امكانية لفهم كلماتهم بالمناسبات النادرة، عندما يمكن أن يسمع حديث غريب كهذا. في العصور المتوسطة، عندما كانت معايير الاستقامة والأمانة الفكرية أعلى بكثير، كانوا يرون من الواجب أخذ الهرطقات على محمل الجد، فهمها ومحاربتها بجدال عقلاني. أما اليوم فيكفي أن يشار إليها. وهناك بطارية كاملة من المفاهيم قد تمَّ تلفيقها ـ مثل "التكافؤ الأخلاقي"، أو "ماركسي"، أو "جذري" ـ لتعريف الهرطقة، وبالتالي نبذها دون مزيد من الجدل والتعليق.

وهذه العقائد الخطيرة تصبح حتى "أورثوذوكسيات جديدة"(٢٢) يجب محاربتها (وبدقة أكثر، تعريفها ونبذها، لأن الانشغال الفكري الأكثر جدية بها يعتبر غير لائق) من قبل الأقلية المشتبكة التي تهيمن على التعبير الجماهيري إلى حد قريب من الكمال ـ ولكن لسوء الحظ في نظرهم، ليس تماماً. وفي الغالب يجري تجاهل الهرطقة ببساطة، بينما يحتدم النقاش على قضايا ضيقة وعموماً هامشية بين أولئك الذين يقبلون عقائد الايمان، ونموذجياً بدون تفكير أو وعي.

والشيء نفسه صحيح إلى حد كبير عندما نلتفت إلى موضوعنا الراهن، الشرق الأوسط. ويمكننا مناقشة ما إذا كان يجب السماح للفلسطينيين بدخول "مسار السلام"، ولكن يجب ألاّ يسمح لنا أن نفهم بأن الولايات المتحدة واسرائيل تقودان معسكر الرفض وكانتا على الدوام تسدان الطريق على "مسار سلام" أصيل، وغالباً بعنف وفير. وفيما يتعلق بالارهاب، فالحدود المسموح بها للمناقشة يعينها بوضوح شاؤول بَخَش، أستاذ التاريخ في جامعة جورج مايسون، الذي يوضح بأن علينا الامتناع عن "التبسيط المفرط" الذي يتحاشى أية محاولة "لفحص الجذور الاجتماعية والايديولوجية للأصولية الاسلامية والشرق أوسطية "التي تثير "مشاكل عسيرة ولكنها حقيقية"؛ علينا أن نسعى لفهم ماذا يقود الارهابيين لمواصلة طرقهم الشريرة.[٢٣] والنقاش حول الارهاب، إذن، قد تم ترسيم حدوده بدقة: فمن طرف، لدينا أولئك الذين يرون به ببساطة، مؤامرة من صنع امبراطورية الشر ووكلائها؛ وعلى الطرف الآخر، نجد أولئك المفكرين الأكثر توازناً وذكاءً، الذين يتحاشون هذا "التبسيط المفرط" يبحثون عن الجذور المحلية للارهاب الاسلامي والعربي. وفكرة أنه قد تكون هناك مصادر أخرى للارهاب في الشرق الأوسط ـ وبأن الامبراطور وعملاءَه قد تكون لهم أيضاً يد في هذه الدراما ـ مستثناة مسبقاً؛ إنها لاتُنفى وإنما لا تدور بخلد، وهذا نصر حقيقي للنظام العقائدي الذي يتجاوز بكثير انجازات الدول الاستبدادية في حماية الجمهور من الأفكار غير اللائقة.

لاحظ أنه على طول الخط، كانت اسهامات "المعتدلين" ،الحمائم الليبرالية، هي التي ضمنت لنظام التعبئة العقائدية القيام بدوره على وجه سليم، عبر الصلابة في وضع حدود الأفكار التي يمكن التفكير بها.

هنري دافيد ثورو، الذي أوضح في مكان ما أنه لايضيع وقتاً في قراءة

الصحف، كتب في مجلته يقول:

" لا حاجة لقانون بكبح التصريح للصحافة فهي قانون كاف، وربما أكثر من ذلك، لنفسها. وبالفعل، فالمجتمع قد توحد حول ما يجب التلفظ به من الأشياء، واتفق على برنامج وعلى تحريم أولئك الذين يخرجون عنه، وليس واحداً بالألف يجرؤ على التلفظ بشيء آخر".

إن تصريحه ليس دقيقاً تماماً، يلاحظ جون دولان: "ليس الأمر أن الناس تنقصهم الشجاعة للتعبير عن الأفكار خارج المدى المسموح به: وإنما هو نقص القدرة للتفكير بهكذا أفكار"[٢٤] وهذه هي النقطة الأساسية، المحرك الدافع لدى "مهندسي التوافق الديمقراطي".

في صحيفة نيويورك تايمز، يشير والتر رايش من معهد وودرو ويلسون الدولي، إلى اختطاف اكيلي لاورو، مطالباً بتطبيق معايير صارمة من العدالة على الأشخاص الذين "اقترفوا قتلاً ارهابياً، سواء العملاء أو المخططون لهذه الأعمال: "وتنفيذ عقوبات أخف على أرضية أن الارهابي يؤمن بأنه محروم، مناضل مضطهد من أجل الحرية، ينسف الأساس الذي يقوم عليه العدل بقبول ادعاء الارهابيين بأن مفاهيم للعدل والحقوق وعذاباتهم فقط، هي الشرعية... فالفلسطينيون - وغيرهم من المجموعات الكثيرة التي تستخدم الارهاب لإشباع المظالم - عليهم دفن الارهاب وايجاد سبل أخرى، لا مفر من كونها تنطوي على حلول وسط، لتحقيق أهدافهم. والديمقراطيات الغربية يجب أن ترفض الحجة بأن أي عذر - حتى ذلك الذي ينطوي على خلفية الحرمان - يستطيع أن "يخفف" المسؤولية عن الارهاب ضد الأبرياء. كلمات نبيلة، كان من الممكن حملها على محمل الجد لو أن الحكم بتنفيذ عقوبة صارمة يطبق أيضاً على الذات، على الامبراطور وعملائه؛ وإلا، فهذه القيود الصارمة لا تقل جدارة عن الجمل

السامية التي ينتجها مجلس السلم العالمي وغيره من منظمات الواجهة الشيوعية فيما يتعلق بفظائع المقاومة الافغانية. ويوضح مارك هيلر، نائب مدير معهد يافي للدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب، أن "الارهاب الذي تتبناه الدولة هو حرب على مستوى متدن، وضحاياها، بمن فيهم الولايات المتحدة، من حقهم إذن أن يردوا بكل الوسائل المتوفرة لديهم" وعليه، يترتب على ذلك، بأن ضحايا آخرين لـ "حرب على مستوى متدن" وكذلك لـ "ارهاب تتبناه الدولة" من "حقهم أن يردوا بكل الوسائل المتوفرة لديهم": السلفادوريون، النيكاراغويون، الفلسطينيون، اللبنانيون، وعدد لا يحصى من ضحايا الامبرطور وعملائه الآخرين في أجزاء واسعة من العالم[٢٥].

ولكن، لا رايش ولا هيلر، ولا غالبية قرائهم، قادرون على فهم هذه النتائج ولا هي قابلة للتعبير عنها في نيويورك تايمز. وفي الحقيقة، لو كان لأحد أن يستخلص النتائج المنطقية من مقولات رايش وهيلر ويعبر عنها بوضوح، لأمكنه محاكمتها على التحريض بالعنف ضد القادة السياسيين في الولايات المتحدة وحلفائها.

والأصوات الأكثر تشككاً في الولايات المتحدة تتفق أن "دعم العقيد القذافي المكشوف للارهاب هو شر مستطير، وليس هناك من سبب لترك القتلة يمرون دون عقاب إذا كنت تعرف المبدع (هكذا) ولا يمكن أن يكون عاملاً حاسماً كون الرد سيقتل بعض المدنيين الأبرياء، وإلا فالدول السفاحة لن تخشى الرد بالمثل"[٢٦]. وهذا المبدأ يمنح أعداداً كبيرة من الناس في أنحاء العالم الحق باغتيال الرئيس ريغان وقصف واشنطن حتى وأن كان "الرد سيقتل بعض المدنيين الأبرياء" .وليس من المحتمل أن توجد أكثر من نسبة ضئيلة من المثقفين الاميركيين قادرة على فهم هذه الحقائق البسيطة،

والتي بالكاد يمكن التعبير عنها في النظام العقائدي. وطالما ظل ذلك صحيحاً ـ في القضايا التي ذكرتها وغيرها كثير ـ فإننا نخدع أنفسنا إذا اعتقدنا بأننا نشارك في مؤسسة سياسية ديمقراطية، إلا بالمعنى الاورولي للغو المثقف.

هناك نقاش معذِّب في وسائل الاعلام حول ما إذا كان لائقاًالسماح للقراصنة واللصوص بالتعبير عن مطالبهم ومفاهيمهم؛ن. بي. سي. مثلاً شجبت بشدة لأنها نشرت مقابلة مع رجل متهم بالتخطيط لخطف اكيلي لاورو، وخدمت بذلك مصالح الارهابيين بمنحهم حرية التعبير دون نقض، وهو افتراق مخز من التماثل المطلوب في مجتمع حر يعمل بشكل صحيح.

هل على وسائط الاعلام أن تسمح لرونالد ريغان، جورج شولتس، مناحم بيغن، شمعون بيرس، واصوات أخرى للامبراطور وبلاطه بالكلام دون نقض، يدافعون عن "الحرب على مستوى متدن" و"الانتقام" أو "الاستباق"؟ هل تكون وسائط الاعلام بذلك تسمح لقادة الارهاب بالتعبير الحر، وهكذا تخدم كوكالة للارهاب بالجملة؟ السؤال لا يمكن طرحه، وإذا أثير فمصيره فقط النبذ بفظاظة وفزع. الفصول اللاحقة تعنى باظهار أن رد الفعل هذا يعكس نجاح التعبئة العقائدية، وليس فهم العالم الحقيقي.

الرقابة الحرفية بالكاد موجودة في الولايات المتحدة، ولكن التحكم بالفكر هو صناعة مزدهرة، وفي الحقيقة صناعة لا غنى عنها في مجتمع قائم على مبدأ قرار النخبة، مصادقة الجمهور أواذعانه.

حواشي الفصل الأول

- ١ - حول الموضوعات التي نوقشت هنا، انظر "نحو حرب باردة جديدة" خاصة الفصلين ٢٢١ .

- ٢ - اقتطفها ريتشارد فوكس، رينهولد نيبوهر (بانثيون ١٩٨٥) ١٣٨ .

- ٣ - جون ديلين، كريتشان ساينس مونيتور، ٢٢ نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

- ٤ - نيويورك تايمز، ٢ حزيران/ يونيو ١٩٨٥ .

- ٥ - نيويورك تايمز، ١٧ آذار/مارس ١٩٨٥ .

- ٦ - انظر "نحو حرب باردة جديدة" ٢٦٧ ، ٣٠٠ ، ٤٦١؛ حاشية ٦٧ ، ١٨٩ .

- ٧ - رابين، مذكرات رابين (ليتل، براون، ١٩٧٩ ، ٣٣٢). وحفاظاً على هذا الموقف المعتدل، يعتقد رابين أن "لاجئي قطاع غزة والضفة الغربية" يجب نقلهم إلى شرق نهر الأردن. انظر "نحو حرب باردة جديدة" ٢٣٤ ، لمقتطفات معبرة. وحول المفهوم الصهيوني العتيق "ترانسفير" (طرد) السكان المحليين كحل للمشكلة ونماذجه الراهنة (مثلاً العنصري الحاخام كهانا أو الاشتراكي الديمقراطي الاميركي ميخائيل والتزر، الذي يقترح بأن أولئك "الهامشيين في الأمة" - أي المواطنين العرب في اسرائيل - يجب أن "يساعدوا" على الرحيل)، انظر "المثلث المصيري". الجملة "هامشيون في الأمة" تزيح الستار عن التناقض الرئيسي بين المبادىء الديمقراطية المتعارف عليها والتيار المركزي الصهيوني، وتحقيقها في اسرائيل. انظر "نحو حرب باردة جديدة" و "المثلث المصيري" كمناقشة لهذه المسألة التي لا يرد ذكرها تقريباً في الولايات المتحدة.

- ٨ - فريدمان وفَّر تقارير خطيرة ومهنية من لبنان خلال حرب ١٩٨٢ وأحياناً يفعل ذلك من اسرائيل أيضاً؛ انظر مثلاً تقريره عن قطاع غزة، ٥ نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

- ٩ - فريدمان، نيويورك تايمز ماجازين، ٧ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٤؛ نيويورك تايمز، ١٧ آذار/مارس ١٩٨٥؛ افتتاحية نيويورك تايمز، ٢١ آذار/مارس ١٩٨٥؛ وكثير من

التعليقات الأخرى والتقارير الاخبارية.

- ١٠ - انظر الفصل الثاني، حاشية ٨٥ والنص، لمزيد من التفاصيل ومن أجل نقاش أوسع لـ "مسار السلام" و "الرفض" في المعنى غير الاورولي لهذه المصطلحات - اي في العالم الحقيقي - والجهود الناجحة لنظام التعبئة العقائدية من أجل شطب الحقائق من التاريخ، انظر "المثلث المصيري". ولمعلومات أحدث، المراجع في فصل ٢ حاشية ٨٥ .

- ١١ - لمناقشة أوسع، انظر مراجعتي لمذكرات كيسنجر، التي أعيدت طباعتها في "نحو حرب باردة جديدة.

- ١٢ - ايريك بيس، نيويورك تايمز، ٧ تشرين اول/اكتوبر ١٩٨١ .

- ١٣ - للمناقشة، انظر "جزر المدّ" ومقالي في "نيو رايت إن اميركا". العدد "سايكو هستوري ريفيو" (لورنس فريدمان، (محرر)، سيصدر لاحقاً) وتوماس، و، والكر (تحرير)، ريغان في مواجهة الساندينيين، (وست فيو، سيصدر لاحقاً)؛ وكذلك مقدمتي لكتاب مورلي وبتراس، مصدر سبق ذكره، والحاجة لإخفاء حقائق عادية هي السبب الرئيسي لسجل من الأكاذيب يدعو إلى الاعجاب حتى بمعايير دول عنيفة.

- ١٤ - حول هذه الأمور، بما فيها أصول مفهوم "الذخر الاستراتيجي" ومفاوضات ما بعد ١٩٧٣ التي أدت إلى كامب ديفيد، ونشاطات الولايات المتحدة المباشرة لنسف "خطة ريغان" من ايلول/سبتمبر ١٩٨٢ وكذلك "خطة شولتس" بالنسبة إلى لبنان بعد بضعة أشهر، انظر، "المثلث المصيري". فالحقيقة، التي كانت واضحة بشكل عام في حينه، تختلف تماماً عن الصيغة الرسمية التي تكررها وسائط الاعلام وغالبية الدراسات العلمية، مع أنها أحياناً يعترف بها جزئياً بعد سنين؛ انظر، مثلاً فصل ٢ حاشية ٤٧ والنص.

- ١٥ - روبنشتاين، دافار ٥ آب/أغسطس ١٩٨٣ .

- ١٦ - الجنرال (احتياط) متتياهو بيليد، "يهود اميركا؛ اكثر اسرائيلية من الاسرائيليين"، نيو اوت لوك، آيار/مايو حزيران/تموز ١٩٧٥ . انظر أيضاً العقيد (احتياط) مئير باعيل، الذي يدين "العبادة الوثنية للدولة - القلعة اليهودية من جانب الطائفة اليهودية في اميركا، محذراً أنه برفضهم قد "حولوا دولة اسرائيل إلى إله حرب مثل مارس"، تلك الدولة التي ستكون "مزيجاً معقداًمن هيكلية دولة عنصرية كجنوب افريقيا، ونسيج

اجتماعي عنيف يسيطر عليه الارهاب مثل ايرلندا الشمالية"، "اضافة اصيلة لحوليات العلوم السياسية في القرن ٢١: جنس فريد من الدولة اليهودية يكون سبباًللعار لكل يهودي أينما كان، ليس فقط في الحاضر، وإنما في المستقبل أيضاً "الصهيونية تواجه خطر السرطان"، نيو اوت لوك تشرين أول/اكتوبر ـ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٣ كانون ثاني/ يناير ١٩٨٤ .

ـ ١٧ ـ انظر "نحو حرب باردة جديدة"، ص ٢٤٧ فما بعد، لمزيد من التفاصيل وحول التشريع الجديد، انظر اريه روبنشاتين، جيروزالم بوست، ١٤ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٨٥ ومن أجل تعليق اسرائيلي حديث يقارن بين القوانين الاسرائيلية والتمييز العنصري في جنوب افريقيا، انظر اوري شوحيط، "لن يزرع أحد البندورة..." ملحق هارتس (٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٥ مترجم في "أخبار من الداخل" (القدس)، ٢٣ حزيران/يونيو ١٩٨٦) يناقش الوسائل التي تضمن التمييز ضد المواطنين العرب في اسرائيل والعرب في المناطق المحتلة بالنسبة إلى الأرض والحقوق الأخرى، والعنوان يشير إلى الترتيبات الأمنية التي تلزم عرب الضفة الغربية بالحصول على تصريح لغرس أشجار الفواكه وزراعة الخضراوات كاحدى الوسائل المستخدمة لتمكين اسرائيل من الاستيلاء على أراضي هناك على اساس ملكية لا تستوفي الشروط.

ـ ١٨ ـ بول بيرمان "مناهضة الامبريالية لدى الحمقى"، فيلج فويس، ٢٢ نيسان/ ابريل ١٩٨٦ يقتطف "مقال مستوحى" كتبه بيرنارد لويس في نيويورك ريفيو، يبسط به هذه العقيدة المريحة، ومن أجل تطبيقات عبقرية أخرى لهذا المفهوم من اللاسامية انظر "المثلث المصيري" ص ١٤ فما بعد.

ـ ١٩ ـ للمناقشة، انظر "نحو حرب باردة جديدة" وكتابي "من اجل الدولة" (بانثيون ١٩٧٣) .

ـ ٢٠ ـ لمناقشة هذه القضايا، انظر المراجع لحاشية ١٣ وتجدر الملاحظة أن المساهمين الذين يحملون آراء أكثر تفصيلاً لم يعبروا عنها في مقالات الرأي التي ظهرت في الصحافة الوطنية.

ـ ٢١ ـ لاحظ أن النقطة قيد البحث هي المدى المسموح به للتعبير في المنبر الوطني، وليس الاسهامات الفردية، التي يجب الحكم عليها من خلال ميزاتها الخاصة.

- ٢٢ - انظر، مثلاً، تيموثي جارتون آش، "اورثوذوكسيات جديدة: أنا "سبكتاثور (لندن)، ١٩ تموزميوليو ١٩٨٦ "الجدل" الساخر (حيث طرف واحد يتلقى التعبير العام على الرغم من التظاهر المتقن بالعكس" حول "التكافؤ الأخلاقي" في الولايات المتحدة يستحق مناقشة على انفراد.

- ٢٣ - نيويورك ريفيو اوف بوكس ١٤ ىب/اغسطس ١٩٨٦ .

- ٢٤ - نظام الدعاية غير الاورولي، ثوروكوارترلي، شتاء/ربيع ١٩٨٤ انظر حديثي لمجموعة من الصحفيين أعيد طبعه هنا، والنقاش اللاحق، لمزيد حول هذه المواضيع.

- ٢٥ - رايش، نيويورك تايمز، ٢٤ تموز/يوليو؛ هيلر، نيويورك تايمز ١٠ حزيران/يونيو ١٩٨٦ .

- ٢٦ - انتوني لويس، نيويورك تايمز، ٢١ نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

الارهاب الشرق أوسطي

والنظام الايديولوجي الاميركي

في ١٧ تشرين اول/اكتوبر ١٩٨٥ ألتقى الرئيس ريغان في واشنطن مع رئيس الحكومة الاسرائيلية شمعون بيرس، الذي أخبره أن اسرائيل مستعدة لاتخاذ "خطوات جريئة" في الشرق الأوسط ومد "يد السلام" إلى الأردن. "زيارة السيد بيرس جاءت في لحظة من الانسجام غير العادي بين اسرائيل واميركا"، علق دافيد شيبلر في التايمز، مقتطفاً من أقوال موظف في وزارة الخارجية وصف العلاقات مع اسرائيل بأنها "وثيقة وقوية بشكل غير عادي". وفي الحقيقة، فقد استقبل بيرس بحرارة في وسائط الاعلام الاميركية كرجل سلام، وأطرت عليه لإلتزامه الصريح "بتفضيله تحمل كلفة السلام على ثمن الحرب"، حسب كلامه. وقال الرئيس أنه والسيد بيرس بحثاً "سوط الارهاب الشرير، الذي اقتص كثيراً من الضحايا الاسرائيليين، الاميركيين والعرب وجلب المآسي على كثيرين آخرين"، وأضاف "لقد اتفقنا أن الارهاب يجب ألا يحبط الجهود لتحقيق سلام في الشرق الأوسط"[1].

والأمر يحتاج إلى مواهب جوناثان سوِفت لإنصاف هذا الأخذ والرد بين اثنين من قادة الارهاب المتقدمين في العالم، واللذين، فوق ذلك، يحملان نفس المفهوم المشترك لـ "السلام" الذي يستثني كلياً احدى

المجموعتين اللتين تدعيان الحق في تقرير المصير في فلسطين السابقة؛ السكان الأصليين. إن وادي الأردن "جزء لا يتجزأ من دولة اسرائيل" أعلن رجل السلام، شمعون بيرس، وهو يتجول في المستوطنات الاسرائيلية هناك، عام ١٩٨٥ ، الأمر الذي يتطابق مع موقفه الثابت بأن "الماضي لا يمكن تغييره والتوراة هي الوثيقة الحاسمة في تقرير مصير أرضنا وأن دولة فلسطينية "تهدد وجود اسرائيل بالذات"(٢). ومفهومه للدولة اليهودية، الذي يحظى بكثير من الاطراء هنا نظراً لاعتداله، لا يهدد، وإنما يشطب وجود الشعب الفلسطيني، ولكن هذه النتيجة تعتبر قليلة الأهمية، وفي أسوأ الأحوال، خللاً صغيراً في عالم تشوبه نواقص.

لم يتزحزح بيرس ولا غيره من القادة الاسرائيليين بوصة واحدة عن موقف الرئيس الحالي حاييم هيرتسوغ في عام ١٩٧٢ ، من أن الفلسطينيين لا يمكن لهم ابداً أن يكونوا "شركاء باي شكل في الأرض التي كانت مقدسة لشعبنا لآلاف السنين"، مع أن "الحمائم" يفضلون استثناء المناطق السكانية العربية الكثيفة في الضفة الغربية من الدولة اليهودية لتحاشي ما يسمونه تلطيفاً "المشكلة الديمغرافية". ورئيس شعبة الاستخبارات السابق - شلومو غازيت، موظف كبير في الإدارة العسكرية ما بين الأعوام ١٩٦٧ - ١٩٧٣ ، يلاحظ أن المبدأ الرئيسي كان "أنه من الضروري منع سكان المناطق (المحتلة) من المشاركة في صياغة المستقبل السياسي للمناطق كما يجب ألاّ ينظر إليهم كشركاء في التعامل مع اسرائيل"؛ وعليه، "المنع البات لأي تنظيم سياسي، لأن الكل يفهم بوضوح أنه إذا سمح بالنشاط السياسي والتنظيم، فيصبح قادته مشاركين محتملين في الأمور السياسية". وهذا الاعتبار نفسه يتطلب "تدمير كل مبادرة وكل جهد يقوم به سكان المناطق للعمل كخط للمفاوضات أو قناة إلى القيادة العربية الفلسطينية خارج

المناطق". إن سياسة اسرائيل هي "قصة نجاح"، يستخلص غازيت، لأن الأهداف التي تستمر إلى اليوم، قد تحققت. وموقف اسرائيل، بدعم من الولايات المتحدة، يبقى موقف رئيس الوزراء (الآن هو وزير الدفاع) يتسحاق رابين، عندما قدمت الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية اقتراحاً للتسوية السلمية على اساس دولتين إلى الأمم المتحدة في كانون ثاني/يناير ١٩٧٦: بأن اسرائيل سترفض أية مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية حتى وأن اعترفت باسرائيل ونبذت الارهاب، ولن تدخل في "مفاوضات سياسية مع الفلسطينيين"، منظمة التحرير الفلسطينية أو عداها[٣]. فلا بيرس ولا ريغان كانا راغبين حتى في النظر إلى المقترحات الصريحة لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ التي يعرف كلاهما أنها تحظى بدعم الغالبية العظمى من الفلسطينيين، ولها من الشرعية ما كان للمنظمة الصهيونية عام ١٩٤٧ ـ لاجراء مفاوضات تؤدي إلى الاعتراف المتبادل على أساس تسوية تقوم على دولتين، بما يتفق مع الاجماع الدولي الواسع، والذي سد طريقه في كل منعطف من قبل الولايات المتحدة واسرائيل على مدى سنين كثيرة[٤].

هذه الوقائع السياسية المفصلية توفر الاطار الضروري لأية مناقشة لـ "سوط الارهاب الشرير" الذي، بالمصطلحات العنصرية للغو الاميركي، يشير إلى الأعمال الارهابية التي يقوم بها العرب، ولكن ليس اليهود، تماماً كما "السلام" يعني التسوية التي تحترم حق تقرير المصير الوطني لليهود، ولكن ليس للفلسطينيين.

لقد وصل بيرس إلى واشنطن للتحدث عن السلام والارهاب مع شريكه بالجريمة مباشرة بعد أن أرسل قاذفاته لمهاجمة تونس، حيث قتلت ٢٠ تونسياً و ٥٥ فلسطينياً، كما أورد الصحفي الاسرائيلي امنون كابليوك من

مسرح العملية. الهدف لم يكن محمياً، "منتجع للاستراحة يضم عشرات من البيوت، أكواخ استراحة ومكاتب منظمة التحرير جنباًإلى جنب، مختلطة بطريقة يصعب حتى عن قرب التمييز بينها". الأسلحة كانت متطورة أكثر من تلك التي استعلمت في بيروت "قنابل ذكية كما يبدو، سحقت أهدافها إلى غبار. "والناس الذين كانوا في الأبنية التي قصفت مزقوا ارباً بحيث يتعذر التعرف عليهم. لقد أروني سلسلة من الصور للضحايا 'يمكنك أن تأخذها'، قيل لي. لقد تركت الصور في المكتب. ما من صحيفة في العالم يمكن أن تنشر صوراً للرعب كهذه. وذكر لي أن صبياً تونسياً كان يبيع السندويشات قرب المقرّ قد تمزق إلى أشلاء، وأبوه تعرف على الجثة من ندب في كاحله. وبعض الجرحى سحبوا من بين الأنقاض، اصحاء، كما يبدو، لم يصابوا بأذى، أخبرني دليلي، وبعد نصف ساعة انهاروا وهم يتلوَّون وماتوا ويبدو أن أحشاءَهم الداخلية قد تمزقت من قوة الانفجار".[٥].

لقد استقبلت تونس الفلسطينيين بناء على توصية ريغان بعد أن طردوا من بيروت في حملة مدعومة من الولايات المتحدة خلفت حوالي ٢٠،٠٠٠ قتيلاً ودمَّرت جزء كبير من البلد. "لقد استعلمتم مطرقة ضد ذبابة"، قيل للمراسل الاسرائيلي العسكري زئيف شيف، من قبل شخصية قيادية في البنتاغون، جنرال له معرفة بالجيش الاسرائيلي وعدة جيوش أخرى في المنطقة"، لقد ضربتم الكثير من المدنيين دون حاجة. لقد دهشنا من سلوككم تجاه المدنيين اللبنانيين"، وهو شعور يشارك به جنود اسرائيليون وضباط كبار اشمأزوا من وحشية الهجوم ومعاملة المدنيين والأسرى[٦]. ومع أن التأييد للعدوان ولفريق بيغن - شارون في اسرائيل ازداد بشكل مواز للفظائع، ووصل الذروة بعد القصف الارهابي لبيروت في شهر آب/

اغسطس[7] فأن شمعون بيرس، رجل السلام، والشخصية المحترمة في الاشتراكية الدولية، ظل صامتا إلى أن بدأت الكلفة لاسرائيل تتصاعد في أعقاب مذبحة صبرا وشاتيلا التي جرت بعد الحرب، والضربية التي اقتصتها المقاومة اللبنانية، والتي نسفت خطة اسرائيل لاقامة "نظام جديد" في لبنان تسيطر بموجبه اسرائيل على مساحة واسعة من الجنوب، والباقي يحكمه الكتائبيون، حلفاء اسرائيل، ونخب مختارة من المسلمين.

ويعلق كابليوك أنه لا يمكن أن يكون هناك شك في أن عرفات كان الهدف من هجوم تونس . وفي مكتب منظمة التحرير الذي أخذ إليه، نصبت صورة لعرفات وسط الركام وعليها تعليق: "لقد أرادوا أن يقتلوني بدل التفاوض معي".

تتمنى منظمة التحرير المفاوضات، قيل لكابليوك، "ولكن اسرائيل ترفض كل مناقشة". تصريح بسيط بالحقيقة، جرى اخفاؤه بإحكام من قبل وسائط الاعلام، بل أسوأ من ذلك، نبذ على أنه لا يمت بصلة للأمر، أخذاً بالإعتبار المنطلقات العنصرية الرائدة.

وكذلك، فلا يمكن أن يكون هناك شك في تواطؤ الولايات المتحدة بالهجوم على تونس، فالولايات المتحدة ،لم تنذر الضحايا حتى - وهم حلفاء قريبون للولايات المتحدة - بأن القتلة كانوا في الطريق. ومن يصدق الادعاء الاميركي بأن الأسطول السادس، ونظام المراقبة الاميركي واسع النطاق في المنطقة، لم يكن بمقدورهما اكتشاف الطائرات الاسرائيلية التي زودت بالوقود في الطريق فوق البحر الأبيض المتوسط، يجب أن يدعو إلى تحقيق في الكونغرس حول عدم الكفاءة الكلية للجيش الاميركي، الأمر الذي يتركنا وحلفاءنا مكشوفين تماماً أمام هجوم العدو."وتقارير اخبارية تقتبس عن مصادر حكومية تقول أن الأسطول السادس كان بلا شك على

علم بالغارة القادمة ولكنه قرر ألاّ يخبر المسؤولين التونسيين"، هكذا أوردت لوس انجلوس تايمز، مستشهدة بخدمات سلكية. ولكن ذلك التصريح الهام جدّاً بالذات لم يرد في الصحيفتين الرئيسيتين على الشاطيء الشرقي، نيويورك تايمز وواشنطن بوست، أو الصحف الاميركية الأخرى، كما أنه لم يستخدم في خدمات ما وراء البحار للاسوشيتد برس ويوناتيد برس انترناشيول، بينما أورد مراسل الايكونومست اللندنية في الشرق الأوسط، غودفري جانسين، تقريراًيضيف بأن التواطؤ السلبي كان مؤكداً بلا شك[٨].

أحد ضحايا قصف تونس كان محمود المغربي، المولود في القدس عام ١٩٦٠ ، والذي اعتقل ١٢ مرة قبل أن يبلغ ١٦ عاماً، وهو أحد مخبري لندن سنداي تايمز للتحقيق في التعذيب باسرائيل (١٩ حزيران/يونيو ١٩٧٧)، والذي "نجح بالهروب إلى الأردن بعد سنين من الوجود الهامشي المتزايد في ظل أوضاع تزداد تدهوراً بشكل ثابت للاحتلال العسكري"، وذلك بحسب ملاحظة في ذكرى وفاته، ذكرها أصدقاء يهود اسرائيليون، بعد أن رُفض نشرها تكراراً في الصحف العربية بالقدس الشرقية بأمر من الرقابة العسكرية الاسرائيلية[٩]. هذه الحقائق هي، بالطبع، لا معنى لها في الولايات المتحدة، ولو فقط بسبب أن دراسة سنداي تايمز استثنيت إلى حد كبير من الصحافة مع أنه جرت الاشارة إليها في نيو ريببلك الليبرالية، سوية مع دفاع واضح عن تعذيب العرب الذي لم يستجرَّ رد فعل شعبي[١٠].

رحبت الولايات المتحدة رسمياً بالقصف الاسرائيلي لتونس على أنه "ردٌّ شرعي" على "الهجمات الارهابية". وأكدَّ وزير الخارجية شولتس هذا الحكم في مكالمة هاتفية مع وزير الخارجية الاسرائيلي، يتسحاق شامير، يعلمه بأن الرئيس وآخرين "يكنون الكثير من التعاطف مع العمل

الاسرائيلي"، كما ورد في الصحف[11]. ومع أن الولايات المتحدة تراجعت عن دعم مكشوف كهذا بعد رد فعل كوني سلبي، لكنها تحفظت على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذي يدين "هذا العمل العدواني المسلح" الذي "يشكل انتهاكاً صارخاً لميثاق الأمم المتحدة، للقانون الدولي، واعراف السلوك". وكانت وحيدة كالعادة. ان المناخ الثقافي والفكري في الولايات المتحدة ينعكس في ادانة الامتناع عن التصويت بشدة، على أنه حالة أخرى من الموقف "المؤيد لمنظمة التحرير"، والمعادي لاسرائيل، ورفض لإنزال ضربات قاسية بارهابيين مختارين بدقة.

يمكن للمرء أن يجادل بأن القصف الاسرائيلي لا يقع تحت عنوان الارهاب الدولي لأنه حالة أكبر بكثير من جرائم العدوان، كما أكد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، أو قد يرى أنه ليس من العدالة أن ينسب إلى اسرائيل "ارهاب دولي" يصممه آخرون. وللرد على الشكوى الأخيرة، يمكننا أخذ العبرة من عقيدتها كما صاغها سفيرها بنيامين نتانياهو في مؤتمر دولي حول الارهاب، بأن العامل المميز للارهاب، "هو القتل والتشويه العمديين والمنهجيين (للمدنيين) المصمم لزرع الخوف"[12]. وبوضوح فإن الهجوم على تونس وغيره من الفظائع الاسرائيلية على مدى السنين يقع ضمن هذا المفهوم، مع أن غالبية أعمال الارهاب الدولي لا تفعل ذلك، بما فيها أكثر الهجمات اثارة للغضب ضد اسرائيل (معالوت - مذبحة ميونخ، الفظاعة على الطريق الساحلي عام ١٩٧٨ التي وفرت الذريعة للغزو لبنان، إلخ) أو حتى اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن بشكل عام، وهو بالذات موضوع المؤتمر الذي كان يحضره.

إن الهجوم على مقر عرفات لمنظمة التحرير الفلسطينية كان حسب الادعاء رداً انتقامياً على مقتل ثلاثة اسرائيليين في لارنكا، قبرص، على ايدي

مهاجمين تمَّ القبض عليهم وقدموا للمحاكمة على جريمتهم. "خبراء دبلوماسيون غربيون في شؤون منظمة التحرير الفلسطينية "يشكون في أن عرفات كان يعرف بالمهمة المخططة"، و"الاسرائيليون أيضاً أسقطوا ادعاءهم الأصلي بأن السيد عرفات كان منغمساً بالموضوع"[١٣].أما المنافحون عن الارهاب الاسرائيلي هنا، الذين يؤكدون لنا "أن الغارة الاسرائيلية على تونس كانت موجهة بدقة إلى الأشخاص المسؤولين عن النشاطات الارهابية" ، فلا يهمهم ذلك ، و"يوضحون أنه مهما كانت الحقائق فالمسؤولية الأخلاقية الأكبر عن هذه الفظاعات... كلها تقع على ياسر عرفات لأنه كان، ولايزال الأب المؤسس للعنف الفلسطيني المعاصر". وفي خطاب إلى مجموعة اللوبي الاسرائيلي (ايباك)، صرَّح المدعي العام ادوين ميس بأن الولايات المتحدة ستعتبر عرفات "مسؤولاً عن أعمال الارهاب الدولي"، بشكل عام، بغض النظر كما يبدو عن الحقائق[١٤].ولذلك فكل عمل "ضد منظمة التحرير الفلسطينية ـ وهي فئة واسعة، كما يكشف السجل التاريخي ـ هو شرعي.

إن الهجوم على تونس ينسجم مع الممارسة الاسرائيلية منذ أيام الدولة الأولى ؛ الرد الانتقامي موجه ضد أولئك القابلين للعطب، وليس أولئك الذين يرتكبون الفظاعات. وفي العرف ،تُدان منظمة التحرير الفلسطينية لأنها "بدل الهجوم المباشر على خصوم حريصين أمنياً، كاسرائيل على سبيل المثال، كان رجالها يهاجمون أهدافاًاسرائيلية ضعيفة في ايطاليا، النمسا، وغيرهما"[١٥]. وهو مؤشر آخر على طبيعتهم الدنيئة والجبانة، أما الممارسات الاسرائيلية المثيلة التي بادرت إليها اسرائيل في وقت مبكر وعلى نطاق أوسع بكثير، فإنها تمر دون ملاحظة في وسط المديح العام للبطولة الاسرائيلية، النجاعة العسكرية "وطهارة السلاح".ومفهوم "الرد الانتقامي" يثير أكثر من

سؤال، وهو الموضوع الذي سننتقل إليه مباشرة.

عندما اقترب عام ١٩٨٥ من نهايته، راجعت الصحافة سجل "سنة من الارهاب الدولي الدموي"، بما فيه أعمال القتل في لارنكا، ٢٥ أيلول/ سبتمبر واختطاف اكيلي لاروو وقتل سائح اميركي في ٧ تشرين أول/ اكتوبر . هجوم اسرائيل في ١ تشرين اول،اكتوبر لم يدرج بالقائمة، وفي مراجعتها السنوية الطويلة للارهاب، تلحظ التايمز باختصار قصف تونس ولكن كمثال على الرد الانتقامي/ وليس كإرهاب ، واصفة اياه،" كعمل يائس ذي تأثير ضئيل على العنف الفلسطيني وقد أثار صرخة من دول كثيرة". وأستاذ القانون في جامعة هارفارد، ألان ديرشوفيتس، وبينما أدان ايطاليا بالتواطؤ في الارهاب الدولي كونها أطلقت سراح الرجل " الذي حسب الإدعاء خطط للاختطاف" ، لاحظ أن الولايات المتحدة "كانت بالتأكيد ستسلم أي ارهابي اسرائيلي قام بعمل عنيف ضد مواطني دولة أخرى" - اريئيل شارون، يتسحاق شامير، ومناحم بيغن، على سبيل المثال. وهذا التصريح ظهر في نفس اليوم الذي استقبل به شمعون بيرس بحفاوة في واشنطن مباشرة بعد قصف تونس حيث جرى الاطراء عليه لالتزامه بالسلام،" الأمر الذي يعتبر طبيعياً تماماًفي المناخ الثقافي السائد."[١٦]

إن تفوهات ريغان عن الارهاب ترد وتناقش بجدية واضحة داخل التيار العام، ولكن قلة من النقاد أشاروا إلى نفاق أولئك الذين يشجبون بعنف الارهاب الدولي، بينما يرسلون جيوشهم العميلة لتقتل، تشوه، تعذب وتدمر في نيكاراغوا - الامر الذي قلما يلاحظ عادة لأن هذه الأعمال تعتبر نجاحاًعظيماً- وتذبح عشرات الآلاف في السلفادور في جهد حازم وناجح للحؤول دون التهديد الخطر بقيام ديمقراطية ذات معنى هناك، مع أن ريغان، الذي ظهر متأخراً على المسرح، لا يستطيع الادعاء بأنه "من بين الأباء

المؤسسين للارهاب المعاصر في أميركا الوسطى" في واشنطن. وخلال فترة قصيرة بعد حديث ريغان - بيرس عن السلام والأرهاب، عادت مجموعة من ١٢٠ طبيباً وممرضة وغيرهم من المختصين بالشؤون الصحية من عملية تحقيق في نيكاراغوا، يدعمها اتحاد الصحة العامة الأميركي ومنظمة الصحة العالمية، وقدمت تقريراً عن تدمير العيادات والمستشفيات، قتل المختصين في شؤون الصحة، نهب الصيدليات الريفية، مما أدّى إلى نقص خطير بالأدوية، وقطع برنامج التطعيم ضد شلل الأطفال، وهذا جزء بسيط من حملة العنف التي نظمت في مراكز الارهاب الدولي في واشنطن وميامي؛(١٧)مراسلو التايمز في نيكاراغوا يضاهون أترابهم بالبرافدا في أفغانستان بحماسهم لكشف، أو فحص ، الأدلة الكثيرة على فظاعات الكونترا، وهذا التقرير، مثله مثل تقارير أخرى كثيرة، جرى اهماله في "جريدة السجل".

الغارة على تونس أثمرت درجة من النفاق لا يسهل دائماً التقاطها. لنفترض أن نيكاراغوا قامت بقصف على واشنطن يستهدف ريغان، شولتس وغيرهم من الارهابيين الدوليين، وقتلت "بالصدفة" حوالي ١٠٠،٠٠٠ شخص. وهذا يكون مبرَّراً تماماًبالمعايير الاميركية إذا كانت بالفعل نسبة ٢٥ إلى ١ مقبولة، كما في مبادلة لارنكا - تونس، مع أننا يمكن أن نضيف من أجل الدقة أنه في هذه الحالة يكون الفاعلون هم الهدف ولا يكون هناك تساؤل حول من بادر إلى الارهاب وربما يضاعف العدد الملائم من الموتى بمعامل ما أخذاً بالاعتبار الحجم النسبي للسكان. "الارهابيون، وأولئك الذين يدعمونهم، يجب أن يحاسبوا وسيتم ذلك"، أعلن الرئيس ريغان،(١٨) مؤخراً بذلك الأساس الأخلاقي لأي عمل انتقامي كهذا، بينما الأكثر تزمتاً في صحافة التيار العام يوافقونه تماماً، كما رأينا..

كان بيرس قد ميز نفسه كرجل سلام في لبنان(١٩). فبعد أن أصبح رئيساً

للحكومة، تكثفت برامج اسرائيل "المضادة للارهاب" في جنوب لبنان المحتل، ووصلت ذروة وحشيتها بعمليات القبضة الحديدية في بداية عام ١٩٨٥ التي تحمل "سمات فرق الموت في اميركا اللاتينية" كما لاحظ كيرتس ولكي، مؤكداً تقارير صحفيين آخرين من مسرح الأحداث. ففي قرية الزرارية، مثلاً، تابعت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي مهنتها في "طهارة السلاح"، وقامت بعملية بعيداً إلى الشمال من خط الجبهة أنذاك. وبعد عدة ساعات من القصف الكثيف للزرارية وثلاث قرى أخرى مجاورة، حمَّلت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي في عربات جميع الذكور من السكان، وقتلت ما بين ٣٥ ـ ٤٠ من القرويين، بعضهم في سيارات سحقتها الدبابات الاسرائيلية، وقرويون آخرون ضربوا أو قتلوا هكذا ببساطة، وقذيفة دبابة أطلقت على عاملين في الصليب الأحمر الذين أنذروا بالبقاء بعيداً، وبأعجوبة نجا الجنود الاسرائيليون من كل اصابة في عملية وصفت رسمياً على أنها معركة مع عصابات مسلحة بكثافة. وفي اليوم السابق، كان ١٢ جندياً اسرائيلياً قد قتلوا في هجوم انتحاري قرب الحدود، ولكن اسرائيل نفت أن يكون الهجوم على الزرارية عملية انتقامية. وماينفيه الاسرائيليون يطرحه المنافحون هنا على أنه الحقيقة وجوباً، ويوضحون بأن "المعلومات الاستخباراتية قد أكدت أن البلدة قد أصبحت قاعدة للإرهاب... وليس أقل من ٣٤ من رجال العصابات الشيعية قد قتلوا في معارك بالسلاح وأكثر من ١٠٠ رجل أخذوا للتحقيق ـ من قرية صغيرةً (ايريك برايندل) الأمر الذي يشير إلى حجم شبكة الارهاب الشيعية. ومن دون وعي بالخط الحزبي، رسم الجنود الاسرائيليون الشعار "انتقام جيش الدفاع الاسرائيلي" باللغة العربية على جدران البلدة، كما لاحظ مراسلون من مسرح العملية[٢٠].

رئيس وحدة الارتباط لجيش الدفاع الاسرائيلي في لبنان، الجنرال شلومو إليا، قال أن السلاح الوحيد ضد الارهاب هو الارهاب وأن لدى اسرائيل خيارات تتجاوز التي قد استعملت "بالتكلم باللغة التي يفهمها الارهابيون". والمفهوم ليس جديداً، وهكذا، فعمليات الجستابو في اوروبا المحتلة كانت أيضاً "مبررة باسم محاربة الارهاب"، وأحد ضحايا كلاوس باربي وجد مقتولاً وعلى صدره غرزت ملاحظة تقول "ارهاب ضد ارهاب" - وبالصدفة فقد جرى تبني هذا الاسم من قبل مجموعات الارهاب الاسرائيلية، وفي عنوان الغلاف في دير شبيغل حول ارهاب الولايات المتحدة ضد ليبيا في نيسان/ابريل ١٩٨٦ . وقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الداعي إلى ادانة "الممارسات الاسرائيلية والاجراءات ضد المدنيين من السكان في جنوب لبنان" تمّ نقضه من قبل الولايات المتحدة على أرضية أنه "يكيل بمكيالين"؛ "أننا لا نؤمن بأن قراراً غير متوازن سينهي عذاب لبنان"، أوضحت جين كيركباتريك[٢٢].

وعمليات الارهاب الاسرائيلية استمرت بينما قواتها اضطرت للانسحاب بفعل المقاومة.

ولنذكر حادثة واحدة فقط، حيث الجنود الاسرائيليون ومرتزقتهم في جيش لبنان الجنوبي أنهوا "عاماً من الارهاب الدولي الدموي" في ٣١ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥ "عندما اجتاحوا قرية اسلامية شيعية (كونين) في جنوب لبنان وأجبروا جميع سكانها البالغ عددهم ٢٠٠٠ على الرحيل، "ونسفوا بيوتاً وأحرقوا أخرى وجمعوا ٣٢ شاباً، شيوخاً، نساءً وأطفالاً من القرية وذكر أنهم كانوا يتدفقون على بلدة خارج "منطقة الأمن" الاسرائيلية، حيث قوات الأمم المتحدة أقامت مقر قيادة[٢٣].

وهذا التقرير، المستند إلى شهادات اقتبستها القوات اللبنانية، والى

صحفي يعمل في جريدة "النهار" البيروتية المحافظة، وحركة أمل الشيعية، ورد من بيروت. ومن القدس، قدم يرئيل غرينبرغ صيغة مختلفة، ليس على أساس أية مصادر محددة، وإنما كحقيقة بسيطة: "القرويون المذعورون من عمليات انتقام يقوم بها جيش لبنان الجنوبي هربوا من القرية الشيعية كونين بعد ذبح جنديين من جيش لبنان الجنوبي في القرية"(٢٤).

هذه المقارنة النموذجية ذات دلالة. فالدعاية الاسرائيلية تستفيد كثيراً من حقيقة أن وسائط الاعلام تعتمد بشكل مكثف على مراسلين في اسرائيل. وهكذا يعطي امتيازين حاسمين: أولاً، "الأخبار" تقدم إلى جمهور المستمعين الأميركي من خلال عيون اسرائيلية رسمية؛ وثانياً، في مناسبات نادرة عندما يقوم مراسلون أميركيون بتحقيق مستقل بدلاً من الاعتماد على مضيفيهم الكرماء، فإن جهاز الاعلام الاسرائيلي والمنتسبين الكثر له في الولايات المتحدة يشتكون بمرارة من أن الجرائم العربية تهمل بينما اسرائيل تخضع لفحص مفصل في أي خلل صغير، أخذاً بالاعتبار كثافة التقارير.

وعدم المقدرة على ضبط الأخبار بالاسلوب المعتاد يخلق أحياناً مشاكل، مثلاً، خلال حرب لبنان ١٩٨٢ ، حيث لم تكن لدى اسرائيل أية امكانية للسيطرة على تقارير شهود العيان من الصحفيين المقيمين في لبنان. وقد أثار ذلك صرخة هائلة من الاحتجاج على ما أدعي أنه ترويج للفظائع وفبركة "حرب نفسية جماعية على نطاق واسع "تشن ضد اسرائيل الصغيرة والتي تثير الشفقة، الأمر الذي هو مؤشر آخر إلى اللاسامية المتأصلة في الرأي العام العالمي؛ وأصبحت اسرائيل الضحية، وليست المعتدية. ومن السهولة بمكان اظهار أن التهم باطلة، وكثيراً ما تكون هزلية، وأن وسائط الاعلام كما هو متوقع انحنت إلى الخلف لترى الأشياء بالمنظور الاسرائيلي، وهو أمر ليس سهلاً على الصحفيين الذين يحاولون البقاء على قيد الحياة جراء القصف

الاسرائيلي الارهابي. وفي الحقيقة، فشهادات من مصادر اسرائيلية كثيراً ما كانت أشد قسوة مما ذكر في الصحافة الاميركية، وما ظهر في الصحف الاميركية كثيراً ما كان صيغاً ملطفة مما أدركه الصحفيون بالواقع[٢٥]. ولكن التهم تؤخذ بجدية كبيرة رغم سخفها الصريح، بينما نقد دقيق لوسائط الاعلام على خضوعها للمنظور الاميركي - الاسرائيلي واخفاء الحقائق غير المقبولة، فكالعادة يتم تجاهله تماماً. وبشكل نموذجي، فإن دراسة لـ "التحليلات المنشورة للتغطية الاعلامية عن الحرب في لبنان ١٩٨٢" تتضمن العديد من الادانات للصحافة على ما يُدعى بأنه موقف مناهض لاسرائيل وقليلاً من الدفاع عن وسائط الاعلام ضد هذه التهم، ولكن دون اشارة واحدة حتى إلى حقيقة وجود تحليلات نقدية واسعة، ودقيقة إلى حد كبير، للظاهرة المعاكسة تماماً[٢٦]. وفي اطار المحددات الضيقة للمناخ الفكري الايديولوجي جدّاً في الولايات المتحدة، يمكن فقط للنقد الأول أن يسمع. وهذه، بالصدفة، ظاهرة نموذجية تماماً، تظهر بسهولة فيما يتعلق بالحرب في الهند الصينية، الحرب الجارية في اميركا الوسطى إلخ، وهي تستعمل كوسيلة أخرى للسيطرة على الفكر.

إن عمليات القبضة الحديدية، التي يسعد القيادة الاسرائيلية أن تصفها "ارهابية" (انظر ملاحظات الجنرال إليا المقتبسة أعلاه)، لها هدفان. الأول كما يلاحظ جون كفنر (من لبنان)، "لتحويل السكان ضد رجال العصابات عبر جعل ثمن دعمهم عالياً جدّاً"؛ وبالاختصار احتجاز السكان رهائن للهجمات الارهابية، إلاّ إذا قبلوا بالترتيبات التي تنوي اسرائيل فرضها بالقوة.

والهدف الثاني هو تسعير الصراعات الداخلية في لبنان وإحداث تبادل سكاني عام بعد قتال طائفي، كانت غالبيته بتحريض من المحتل منذ ١٩٨٢

، بالشكل الكلاسيكي. "هناك الكثير من الدلائل"، يقول جيم ميور، المراسل المقيم في لبنان، "على أن اسرائيل ساعدت في تشجيع الصراع الدرزي - المسيحي وتزويده بالوقود" في منطقة الشوف. وفي الجنوب، قال موظف كبير في برنامج المساعدات الدولية: "أن دائرة حيلهم القذرة فعلت كل ما تستطيع لإثارة المشاكل، ولكنها لم تنجح". "إن سلوكهم شرير"، وهذا المنظور "مشترك لدى مجموعة الاغاثة الدولية ككل". "شهود عيان محليون ذكروا أن الجنود الاسرائيليين أطلقوا النار مراراً لتحريض الفلسطينيين ضد المسيحيين". وسكان قرى مسيحية ذكروا أن دوريات اسرائيلية أجبرت مسلمين ومسيحيين على لكم بعضهم بعضاً تحت تهديد السلاح ضمن وسائل أخرى من "الاذلال الشاذ"، وهذه الوسائل نجحت أخيراً. حلفاء اسرائيل من المسيحيين هاجموا المسلمين بالقرب من صيدا بطريقة ضمنت استجرار رد فعل قوى أشد بكثير، مدشنة بذلك دورة دموية من العنف أدت في نهايتها إلى هروب عشرات آلاف المسيحيين، الكثير منهم إلى المناطق الواقعة تحت الهيمنة الاسرائيلية في الجنوب، بينما عشرات الآلاف من الشيعة طردوا إلى الشمال نتيجة عمليات القبضة الحديدية(٢٧).

وكان الزعم في الولايات المتحدة بأن اسرائيل كانت دائماً تخطط للانسحاب مما دعا الارهابيين الشيعة للإنخراط بالسعادة العربية المعتادة من ممارسة العنف لأجل العنف، الامر الذي أخَّر الانسحاب المبرمج. ولكن كما لاحظ جيم ميور بشكل صحيح، "أنها حقيقة تاريخية لا يرقى إليها الشك بأن الاسرائيليين ما كانوا لينسحبوا الآن لولا الهجمات والاصابات التي تسببت بها"، ومدى الانسحاب سيقرره زخم المقاومة(٢٨).

أوضحت القيادة الاسرائيلية العليا أن ضحايا عمليات القبضة الحديدية كانوا "قرويين ارهابيين"؛ وبهذا أصبح مفهوماً لماذا ذبح ١٣ قروياً ذبحوا على

ايدي ميليشيا جيش لبنان الجنوبي في حادثة استجرت هذه الملاحظة. يوسي اولمرت، من معهد شيلواح، المعهد الاسرائيلي للدراسات الاستراتيجية، لاحظ أن "هؤلاء الارهابيين يعملون بدعم من غالبية السكان المحليين". وقائد اسرائيلي تذمر من أن "للارهابي... الكثير من العيون هنا، لأنه يعيش هنا"، بينما المراسل العسكري لصحيفة الجيروزالم بوست وصف المشاكل التي تواجه محاربة "الارهابي المرتزق"، "المتعصبين، الذين يتفانون كلهم من أجل قضيتهم بما يكفي للمجازفة بحياتهم في عمليات ضد جيش الدفاع الاسرائيلي"، الذي عليه أن "يحافظ على الأمن والنظام" رغم "الثمن الذي يتوجب على السكان دفعه"، وبما يثير "اعجابه (المراسل) من الطريقة التي يؤدون بها المهمة". ليون ويزلتير أوضح الفرق بين "الارهاب الشيعي" ضد الجيش المحتل والارهاب الفلسطيني، وكلاهما تعبير عن طبيعة العرب الشريرة: "لدى الفلسطينيين قتلة يرغبون بالقتل. ولدى الشيعة قتلة يرغبون بالموت"، ويقومون بأعمال "مستلهمة من المطلب الألفي العالمي الذي لاتمكن تلبيته بالسياسة والدبلوماسية فحسب"، ولا بشيء بسيط مثل سحب حيش الاحتلال من أراضيهم، لأن "جيشهم السري" أمل كان "مكرساً لتدمير اسرائيل" منذ تأسيسه عام ١٩٧٥ ـ الأمر الذي يكشف الترهات التي تتجاوز بكثير الخرافات التي يبتدعها أساتذته.[٢٩]

ونفس المفهوم عن الارهاب يستعمل بشكل واسع من قبل موظفين ومعلقين أميركيين. وهكذا تورد الصحافة تقارير، بدون تعليق، تفيد أن اهتمام وزير الخارجية شولتس بـ "الارهاب الدولي" أصبح "ولعه" بعد التفجير الانتحاري ضد جنود البحرية الأميركية في لبنان في تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٣ ، جنود رأى بهم الكثيرون من السكان، وبشكل طبيعي جدّاً، قوة عسكرية أجنبية أرسلت لتفرض "النظام الجديد" الذي أقامه

العدوان الاسرائيلي. باري روبين كتب أن "الفائدة الأكثر أهمية من الارهاب الذي تتبناه سوريا في لبنان هي فرض الانسحاب على الجنود الاسرائيليين وجنود البحرية الأميركية"، في حين أن كلاً من سوريا وايران قد دعم "النشاط الارهابي للمجموعات الشيعية المتطرفة" في جنوب لبنان كالهجمات على جيش لبنان الجنوبي المدعوم اسرائيلياً . فبالنسبة إلى المنافحين عن ارهاب الدولة، مقاومة جيش الاحتلال، أو مرتزقته هي ارهاب، يستحق ردّاً انتقامياً قاسياً.

يصف مراسل التايمز في اسرائيل، توماس فريدمان ، عادة، الهجمات في جنوب لبنان والموجهة ضد القوات الاسرائيلية "تفجيرات ارهابية" أو "ارهاب انتحاري"، ويطمئننا أنه نتاج "نقاط ضعف نفسية أو حماس ديني". وهو يورد أيضاً أن سكان "المنطقة الأمنية" لاسرائيل الذين يخالفون القوانين التي وضعها المحتلون "تطلق عليهم النار فوراً، وتسأل الأسئلة لاحقاً، وبعض الذين أطلق عليهم النار كانوا متفرجين أبرياء". ولكن هذه الممارسة ليست ارهاب دولة. وهو يلاحظ أن اسرائيل "قد بذلت جهوداً مضنية لضبط خروج الأخبار من المنطقة": "ولم يسمح لأي مراسل بتغطية عواقب الهجمات الانتحارية، وبالفعل لا تصدر معلومات عنها". وهذه الحقيقة لا تمنعه من كتابة تقارير بثقة كبيرة حول خلفية وحوافز من يصفهم المحتلون "ارهابيين" وهكذا في تقاريره الأخبارية أيضاً[٣٠].

وبينما ريغان وبيرس يهنئان بعضهما بعضاً على موقفهما المبدئي ضد "سوط الارهاب الشرير" أمام أعين جمهور المعجبين بهما، أوردت الصحافة أيضاً تقريراً آخر عن عمل ارهابي في جنوب لبنان: "الارهابيون يقتلون ستة أشخاص، ويدمرون محطة اذاعة مسيحية، ملكيتها اميركية ، في جنوب لبنان"، كما جاء بالعنوان في ذات اليوم[٣١] لماذا يدمر الارهابيون اللبنانيون

"صوت الأمل"، الذي يديره مبشرون مسيحيون اميركيون؟ هذا السؤال بالكاد أثير، ولكن دعنا ننظر بالأمر، من أجل توضيح مفهوم الارهاب والانتقام.

أحدالاسباب هو أن المحطة "تنطق باسم لبنان الجنوبي"،(٣٢) قوة المرتزقة التي أقامتها اسرائيل في جنوب لبنان لارهاب السكان في "المنطقة الأمنية". ومكان المحطة، بالقرب من قرية الخيام، يستحق الملاحظة. فللخيام تاريخ، غير معروف هنا. زئيف شيف ألمح إلى هذا التاريخ خلال عمليات القبضة الحديدية لبيرس، وقد لاحظ أنه عندما غزت اسرائيل لبنان في ١٩٨٢ كانت قرية الخيام "خالية من السكان"، مع أنها الآن تضم ١٠,٠٠٠ ، وأن بلدة النبطية اللبنانية كان فيها فقط ٥,٠٠٠ ، الآن فيها ٥٠,٠٠٠ . "هؤلاء وآخرون سيجبرون مرة أخرى على هجر بيوتهم إذا سمحوا للمتطرفين من جماعتهم أو لفلسطينيين بمهاجمة مستوطنات اسرائيلية" أوضح شيف(٣٣). وسيكون ذلك مصيرهم إذا قلدوا جيش الدفاع الاسرائيلي، الذي كان في حينه يهاجم القرى اللبنانية، ويقتل المدنيين بشكل عشوائي ويخرب دفاعاً ضد "الارهاب الذي لم يختف" خاصة وأن "الجنود الاسرائيليين يتعرضون للمضايقة يومياً في جنوب لبنان"(٣٤).

وبالنسبة إلى اللبنانيين الذين كان التحذير موجهاً إليهم، وكذلك إلى بعض جمهور مستمعيه الأكثر معرفة في اسرائيل على الأقل، شيف لم يكن بحاجة إلى توضيح لماذا انخفض سكان النبطية إلى ٥,٠٠٠ والخيام أخليت من سكانها في ١٩٨٢ .السكان طردوا بينما المئات قتلوا، عبر القصف الاسرائيلي الارهابي منذ بداية السبعينات، والحفنة التي تبقت في الخيام ذبحت خلال اجتياح لبنان عام ١٩٧٨ تحت بصر لواء النخبة جولاني، على يد ميليشيا حداد التابعة لاسرائيل، التي "نجحت في اقامة سلام نسبي

في المنطقة ومنعت عودة ارهابيي منظمة التحرير الفلسطينية"، أوضح رجل السلام[٣٥].

الخيام هي أيضاً موقع "سجن سرّي" تحتفظ به "اسرائيل وحليفتها الميليشيا المحلية في جنوب لبنان... حيث السجناء يحتجزون في ظروف مروّعة ويخضعون للضرب والتعذيب بالصدمات الكهربائية، كما يقول سجناء سابقون وموظفو الاغاثة الدولية في المنطقة" ، والصليب الأحمر أورد تقريراً بأن "الاسرائيليين يديرون المركز" وأن جيش الدفاع الاسرائيلي رفض السماح لهم بالدخول إليه[٣٦].

إذن قد يكون هناك الكثير مما يجب قوله حول الهجوم الارهابي الذي قام به "متعصبون" على الخيام في ١٧ تشرين اول/اكتوبر ١٩٨٥ حيث تعتبر أمور كهذه مناسبة لأن تصبح جزءاً من الذاكرة التاريخية إلى جانب أعمال ارهاب أخرى ذات خدمة ايديولوجية أعظم.

النبطية أيضاً لديها قصص أخرى ترويها، فهروب ٥٠،٠٠٠ من أصل ٦٠،٠٠٠ من سكانها "غالبيتهم خوفاً من القصف (الاسرائيلي) أورده اثنان من مراسلي الجيروزالم بوست كانا يجوبان جنوب لبنان في محاولة لاكتشاف دلائل على ارهاب منظمة التحرير الفلسطينية وفظائعها، وعثرا على القليل مع أنه كانت هناك أدلة وفيرة على الارهاب الاسرائيلي وآثاره[٣٧]. وأحد أعمال القصف هذه وقع في ٤ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٧٧ عندما "تعرضت النبطية لنيران المدفعية الثقيلة من المواقع المارونية اللبنانية (المدعومة من اسرائيل) وأيضاً من بطاريات اسرائيلية على جانبي الحدود ـ بما في ذلك حوالي ست مواقع اسرائيلية محصنة داخل لبنان". واستمرت الهجمات لليوم الثاني، حيث قتلت ثلاث نساء من ضمن ضحايا آخرين.وفي ٦ تشرين ثاني/نوفمبر، أطلق رجال العصابات من فتح

صاروخين فقتلا اسرائيليين في نهاريا، مما أشعل معركة بالمدفعية وهجوماً صاروخياً آخر قتل اسرئيلياً واحداً. "وعندها جاءت الغارات الجوية الاسرائيلية التي قتل فيها حوالي ٧٠ شخصاً كلهم تقريباً من اللبنانيين"[٣٨]. وهذا التبادل الذي بادرت إليه اسرائيل، والذي هدد بدفع الأمور نحو حرب كبيرة ذكره الرئيس المصري أنور السادات كسبب لعرضه زيارة القدس بعد بضعة أيام[٣٩].

دخلت هذه الأحداث ذاكرة التاريخ بشكل آخر، على أية حال، ليس فقط في الصحافة وإنما بالثقافة أيضاً: "ففي محاولة لعرقلة التحرك نحو مؤتمر للسلام"، كتب ادوارد هالي دون الاستناد إلى أدلة، "أطلقت منظمة التحرير الفلسطينية صواريخ كاتيوشا على القرية الاسرائيلية الشمالية، نهاريا، بتاريخ ٦ و ٨ تشرين ثاني/نوفمبر، وقتلت ثلاثة اشخاص"، وتسببت "بالرد الاسرائيلي الانتقامي الذي لا مناص منه" بتاريخ ٩ تشرين ثاني/نوفمبر، حيث قتل أكثر من ١٠٠ شخص في الهجمات على صور وجوارها وعلى بلدتين صغيرتين في الجنوب"[٤٠] وكما هو القانون، ففي تاريخ معقم كما يليق، يقوم الفلسطينيون بالارهاب، وعندها يرد الاسرائيليون ربما بقساوة زائدة. وفي العالم الحقيقي، الحقيقة غالباً ما تكون مختلفة، وهو موضوع ليس ذا أهمية قليلة لدراسة الارهاب في الشرق الأوسط.

إن عذاب النبطية نادراً ما لوحظ في الصحافة الغربية، مع أن هناك بعض الاستثناءات . وقد وقعت احدى الهجمات الاسرائيلية في ٢ كانون أول/ ديسمبر ١٩٧٥ عندما قصف سلاح الجو الاسرائيلي البلدة وقتل عدداًكبيراً من اللبنانيين والفلسطينيين المدنيين، مستعملاً أسلحة ضد الأفراد، قنابل وصواريخ[٤١] هذه الغارة غير عادية في كونها وردت في التقارير ولم تثر اهتماماً أو قلقاًفي الدوائر المتحضرة، ربما لأنها كانت كما يبدو "رداً

انتقامياً": وبالتحديد، ردّاً على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذي كان لتوه قد وافق على تكريس جلسة لبحث عرض السلام الذي تقدمت به سوريا، الأردن، ومصر، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والذي جرت مناقشته في الفصل الأول.

وتستمر القصة اليوم، بقليل من التغيير، ففي بداية عام ١٩٨٦ ، وبينما تركزت عيون العالم بفزع على الارهابيين المعتوهين في العالم العربي، أوردت الصحافة تقريراً بأن مدفعية الدبابات الاسرائيلية صبَّت حممها على قرية صريفة في جنوب لبنان، مصوبة نحو ٣٠ بيتاً ادعى جنود جيش الدفاع الاسرائيلي أنه أطلقت عليهم النيران منها على أيدي "ارهابيين مسلحين" يقاومون أعمالهم العسكرية خلال ما وصفوه بأنه البحث عن جنديين اسرائيليين كانا قد "خطفا" في "منطقة الأمن" الاسرائيلية في لبنان. وغاب عن الصحافة الاميركية إلى حد كبير تقرير قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة بأن الجنود الاسرائيليين "جنَّ جنونهم" في هذه العمليات حيث أغلقوا قرى بكاملها ومنعوا جنود الأمم المتحدة من ارسال الماء، الحليب، والبرتقال إلى القرويين الذين اخضعوا لـ "الاستجواب" ـ الذي يعني التعذيب الوحشي للرجال والنساء على أيدي القوات الاسرائيلية ومرتزقتها المحلية بينما جنود جيش الدفاع الاسرائيلي يقفون على مقربة.ثم رحل جيش الدفاع الاسرائيلي، حاملاً معه الكثيرين من القرويين بمن فيهم نساء حبالى، وبعضهم أحضر الى اسرائيل امعاناً في انتهاك القانون الدولي، بعد أن دمر البيوت ونهبها وألحق الأضرار ببعضها الآخر، بينما شمعون بيرس قال بأن البحث الاسرائيلي عن الجنديين "المختطفين" "يعبر عن سلوكنا تجاه قيمة الحياة الانسانية وكرامتها"(٤٢).

وبعد شهر، في ٢٤ آذار/مارس، اذاع راديو لبنان أن قوات اسرائيلية، اما

من جيش الدفاع الاسرائيلي أو مرتزقة جيش لبنان الجنوبي، قصفت النبطية وقتلت ثلاثة مدنيين، وجرحت ٢٢ آخرين "عندما سقطت القنابل في السوق في وسط المدينة عند الفجر حيث احتشد الجمهور للمتاجرة"، مدعية أن ذلك جاء ردّاً انتقامياً على هجوم على القوات المرتزقة التابعة لاسرائيل في جنوب لبنان. وقد أقسم أحد قادة أمل الشيعية أن "المستوطنات والمنشآت الاسرائيلية لن تكون بعيدة عن ضربات المقاومة". وفي ٢٧ آذار/مارس أصاب صاروخ كاتيوشا ساحة مدرسة في شمال اسرائيل، ملحقاً الأذى بـ ٥ أشخاص، ومستجراً هجوماً اسرائيلياً على مخيم للاجئين الفلسطينيين قرب صيدا حيث قتل ١٠ أشخاص وجرح ٢٢ ، في حين أعلن قائد المنطقة الشمالية في اسرائيل عبر اذاعة الجيش الاسرائيلي بأن جيش الدفاع الاسرائيلي لم يحدد ما إذا كان الصاروخ أطلق على ايدي رجال عصابات شيعيين أم فلسطينيين. وفي ٧ نيسان/ابريل قصفت الطائرات الاسرائيلية المخيم اياه والقرية المجاورة وقتلت شخصين وجرحت ٢٠ ، بدعوى أن ارهابيين قد انطلقوا من هناك بقصد قتل مواطنين اسرائيليين[٤٣].

من جميع هذه الأحداث، فقط الهجوم بالصواريخ على شمال اسرائيل استحق تغطية تلفزيونية مكربة وغضب عام على "سوط الارهاب الشرير"، مع أنه أسكت إلى حد ما بسبب الهستيريا الجماعية التي جرى تنسيقها على "غزو" نيكاراغوا للهندوراس، عندما مارس جيش نيكاراغوا حقه الشرعي بالمطاردة الساخنة لطرد عصابات الارهاب من أراضيه، والتي ارسلها موجهوها الاميركيون في استعراض للقوة عشية تصويت السينات على المساعدات للكونترا، مع التذكير بأن الموضوع الخطير الوحيد قيد المناقشة في دولة الارهاب هو ما إذا كان باستطاعة الجيش الوكيل انجاز الأهداف

الموكولة إليه من قبل أسياده.(٤٤)

وبالطبع، فاسرائيل لم تكن تمارس حقها الشرعي بالمطاردة الساخنة بقصفها بالمدفعية والطيران قرى ومخيمات لاجئين، ولا وقعت أعمالها من الارهاب بالجملة والعدوان الصارخ على لبنان قط في هذا المفهوم. ولكن كدولة عميلة، فاسرائيل ترث من الامبراطور حقّ الارهاب، التعذيب والعدوان اما نيكاراغوا، كونها عدواً، فهي ببساطة ينقصها الحق في الدفاع عن أراضيها ضد العدوان الدولي الاميركي، مع أن المرء يستطيع أن يجادل بأن أعمال الولايات المتحدة هناك تصل إلى مستوى العدوان، وجرائم حرب من الفئة التي شنق ناس عليها في نورمبرغ، وطوكيو. ونتيجة لذلك، فمن الطبيعي أن يتم تجاهل أعمال اسرائيل أو يصرف النظر عنها كونها **انتقاماً شرعياً** بينما الكونغرس ،عبر الطيف الضيق، شجب "الماركسية - اللينينية النيكاراغوية" التي كشفت مجدداًعن التهديد الذي تعرض له السلام والاستقرار في المنطقة .

وأيضاً غزو اسرائيل للبنان في حزيران/يونيو ١٩٨٢ يقدم عادة بشكل معقم جيداً. وكتب شمعون بيرس بأن عملية "سلام الجليل" خيضت "من أجل ضمان أن الجليل لن يتعرض بعد للقصف بصواريخ الكاتيوشا". اريك برايندل يوضح أنه "بالطبع، الهدف الرئيسي للغزو الاسرائيلي في ١٩٨٢ كان حماية منطقة الجليل... من الهجمات بصواريخ الكاتيوشا وغيرها من أعمال القصف من لبنان". وصفحات الأخبار في التايمز تعلمنا أن الغزو بدأ " بعد هجمات قامت بها عصابات منظمة التحرير الفلسطينية على مستوطنات شمال اسرائيل"، و (بدون تعليق) قال قادة اسرائيل "أنهم يريدون انهاء هجمات القصف والصواريخ على حدود اسرائيل الشمالية"، المهمة التي "كانت أنجزت خلال السنوات الثلاث التي قضاها الجيش

الاسرائيلي في لبنان". ويضيف هنري كام أنه "خلال حوالي ثلاث سنوات، لم ينم سكان كريات شمونه في الملاجئ، والآباء لم يقلقوا عندما ذهب أبناؤهم إلى المدرسة أو لعبوا. وصواريخ الكاتيوشا سوفييتية الصنع، التي خلال سنين عديدة ضربت هذه المدينة القريبة من الحدود اللبنانية عشوائياً لم تسقط منذ غزت اسرائيل لبنان في حزيران/يونيو ١٩٨٢". ولاحظ توماس فريدمان أنه "إذا عادت الصواريخ لتسقط على حدود اسرائيل الشمالية بعد كل ما بذل في لبنان، فالجمهور الاسرائيلي سيستشيط غضباً؛ ".... الآن لا تسقط صواريخ على شمال اسرائيل... وإذا بدأت هجمات جديدة على نطاق واسع على حدود اسرائيل الشمالية فإن تلك الأقلية (التي تفضل ابقاء الجيش في لبنان) قد تنمو لتصبح أكثرية مرة أخرى". "عملية سلام الجليل - الغزو الاسرائيلي للبنان - اتخذت أصلاً" لحماية السكان المدنيين من رجال المدفعية الفلسطينيين، يورد فريدمان في تقرير له ضمن عدد من القصص ذات المغزى الانساني عن ألم وعذاب الاسرائيليين. وتؤكد الشخصيات السياسية دوماًهذه العقيدة. فقد كتب زبيغنو بريجنسكي أن "التواجد العسكري السوري المتزايد واستخدام لبنان من قبل منظمة التحرير الفلسطينية للهجمات على اسرائيل تسببتا بالغزو الاسرائيلي العام الفائت، ورونالد ريغان، في عرض نموذجي من الجبن الأخلاقي، يطلب منا "أن نتذكر أنّه عندما بدأ هذا (الغزو) كله، اسرائيل، وبسبب انتهاك حدودها الشمالية على أيدي الفلسطينيين، منظمة التحرير الفلسطينية، قد قطعت كل الطريق إلى بيروت"، حيث كان "العشرة آلاف فلسطيني(!) هم الذين جلبوا الدمار على بيروت"، وليس القاذفات المجنونة التي كان يدعمها بسرور"[٤٥]. هذه وتقارير أخرى لا تحصى، الكثير منها بأوصاف تمزق القلب من عذاب سكان الجليل المعرضين لقصف عشوائي بالكاتيوشا،

ساعدت على خلق صورة مصدقة عن المتعصبين الفلسطينيين الذين يسلحهم الاتحاد السوفياتي، وهم المركب الأساسي لشبكة الارهاب الدولي التي قاعدتها روسية، والتي أجبرت اسرائيل على غزو وضرب مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وغيرها من الأهداف، كما كانت ستفعل كل دولة لحماية شعبها من هجمات ارهابية لا ترحم.

ومرة اخرى، العالم الحقيقي مختلف نوعاً ما. دافيد شيبلر كتب أنه "في السنوات الأربع بين الغزو الاسرائيلي السابق لجنوب لبنان في ١٩٧٨ وغزو حزيران/يونيو ١٩٨٢ قُتل ما مجموعه ٢٩ شخصاً في شمال اسرائيل بجميع أنواع الهجمات من جنوب لبنان، بما في ذلك القصف وعبور الحدود من قبل الارهابيين". ولكن على مدى سنة قبل غزو ١٩٨٢ "كانت الحدود هادئة"(٤٦). هذا التقرير له ميزة الاقتراب من نصف الحقيقة. فبينما امتنعت منظمة التحرير الفلسطينية من عمليات عبور الحدود على مدى سنة قبل الغزو الاسرائيلي، فالحدود كانت بعيدة عن أن تكون هادئة، لأن الارهاب الاسرائيلي استمر، وقتل العديد من المدنيين؛ الحدود كانت "هادئة" فقط بالمصطلحات العنصرية للغو الاميركي، مرة أخرى. وفوق ذلك لاشيبلر ولا زملاؤه يتذكرون أنه بينما قتل ٢٩ شخصاً في شمال اسرائيل منذ ١٩٨٧ فالآلاف قتلوا نتيجة للقصف الاسرائيلي في لبنان، الامرالذي بالكاد يلاحظ هنا، وهو ليس بأي حال "انتقامياً".

القصف منذ ١٩٧٨ كان عنصراً أساسياً من "مسار سلام" كامب ديفيد، الذي، كما كان متوقعاً تماماً، حرّر اسرائيل لبسط الحيازة والقمع في المناطق المحتلة بينما هي تهاجم جارتها الشمالية، في حين الرادع العربي الرئيسي (مصر) قد استبعد من الصراع والدعم العسكري الاميركي يتزايد بسرعة. يضيف وليام كوانت الملاحظة أن "تخطيط العملية الاسرائيلية لغزو لبنان ضد منظمة التحرير

الفلسطينية (١٩٨١ - ٢) تبدو متواكبة مع تدعيم معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية". ويجب ملاحظة أن الأهمية الواضحة لاتفاقات كامب ديفيد، مع أنها لم يعبر عنها هنا في وسائط الاعلام في حينه (عندما كانت واضحة بنفس القدر) ولا منذئذ، مفهومة للصحفيين الاميركيين المقتدرين. وهكذا، في مقابلة له في اسرائيل، يقول ديفيد شيلر "على الجانب الاسرائيلي، يبدو لي أن معاهدة السلام هيأت الأوضاع للحرب في لبنان. ولما لم تعد مصر دولة مواجهة، أحست اسرائيل أنها حرة للمبادرة إلى حرب في لبنان، الأمر الذي ربما كانت لا تجرؤ عليه قبل معاهدة السلام...ومن السخرية (هكذا) أن الحرب في لبنان ما كانت لتحدث لولا معاهدة السلام"(٤٧). لم يكتب شيئاً كهذا في التايمز خلال السنوات الخمس التي قضاها مراسلاً للصحيفة في اسرائيل، والتي انتهت عام ١٩٨٤ ، ولا فعل ذلك منذئذ. ويضيف شيلر "إنني أعتقد أنه بدون تلك المعاهدة لما كانت هناك معارضة شديدة كهذه للحرب بين الاسرائيليين". وكونه كان في اسرائيل آنذاك فهو يعرف أن "المعارضة الشديدة للحرب" هي فبركة دعائية لاحقة مصممة لاعادة بناء صورة "اسرائيل الجميلة"؛ فالمعارضة كانت بالحقيقة ضئيلة إلى ما بعد مذابح صبرا وشاتيلا التي أعقبت الحرب (عندما هجرمؤيدو الحرب في تلك اللحظة السفينة الغارقة، وبنوا تاريخاً مخادعاًمن "المعارضة المبكرة" بما يشبه إلى حد كبير الحالة في الحرب الهندية الصينية)، وخاصة بعدالكلفة المتزايدة للاحتلال(٤٨).

بالعودة إلى العالم الحقيقي، لنقوِّم أولاًالخلفية المباشرة لعملية "سلام الجليل". منظمة التحرير الفلسطينية احترمت وقف اطلاق النار الذي رتبت له الولايات المتحدة في تموز/يوليو ١٩٨١ رغم جهود اسرائيلية متكررة لإثارة بعض الأعمال التي يمكن استخدامها كذريعة للغزو المخطط، بما في ذلك القصف في نهاية نيسان/ابريل ١٩٨٢ الذي أودى بحياة دزينتين من

الأشخاص، وأغرقت قوارب صيد، إلخ. والاستثناء الوحيد كان ردّاً انتقامياً خفيفاً في شهر آيار/مايو بعد قصف اسرائيلي، والرد على قصف اسرائيلي عنيف مترافق مع هجوم أرضي على لبنان في حزيران/يونيو، الذي تسبب بالكثير من الضحايا المدنيين. الهجمات الاسرائيلية كانت ردّاً انتقامياً على محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن قام بها أبو نضال، العدو اللدود لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي لم يكن له مكتب واحد في لبنان - ومرة أخرى، القصة المعهودة "الرد الانتقامي".

لقد كانت محاولة الاغتيال هذه هي التي استعملت كذريعة للغزو المخطط منذ مدة طويلة.

وتخبرنا نيو ريببلك أن نجاحات مفاوض الأمم المتحدة برايان اوركهارت "كانت ضئيلة، يمكن بشكل ما نسيانها: مفاوضاته مع منظمة التحرير الفلسطينية على وقف اطلاق النار (هكذا) في جنوب لبنان عام ١٩٨١ ،على سبيل المثال"(٤٩) وليس مفاجئاً أن على صحف الخط الحزبي الصارم تفضيل "نسيان" الحقائق، ولكن انتشار مثل هذه الحالة المريحة من فقدان الذاكرة جدير بالملاحظة.

وفوق ذلك فإن نظرة على ما جرى في تموز/يوليو ١٩٨١ تكشف نفس النمط. ففي ٢٨ أيار/مايو، كتب زئيف شيف وايهود يعري، أن رئيس الحكومة مناحم بيغن ورئيس هيئة الأركان رفائيل ايتان "اتخذا خطوة أخرى من شأنها أن تقرب بلدهما بدرجة ملحوظة إلى حرب في لبنان بعمل كان أساساً محسوباً لهذه الغاية"؛ وبالتحديد، لقد انتهكا وقف اطلاق النار بقصف "تجمعات منظمة التحرير" (مصطلح من نيوسبيك، يشير إلى أي هدف تختار اسرائيل ضربه) في جنوب لبنان، واستمرت الهجمات من الجو والبحر حتى ٣ حزيران/يونيو، وتابع شيف ويعري، بينما "رد الفلسطينيون

بحذر شديد خوفاً من أن رد فعل عنيف قد يثير عملية أرضية اسرائيلية ساحقة"، وقد تمّ التوصل مرة اخرى إلى وقف اطلاق النار، انتهك ثانية من قبل اسرائيل في ١٠ تموز/يوليوبقصف جديد. وهذه المرة حصل رد فعل فلسطيني، بقصف صاروخي تسبب بذعر في الجليل الشمالي، تبعه قصف عنيف لبيروت وغيرها من الأهداف المدنية. وعندما أعلن وقف اطلاق النار في ٢٤ تموز/يوليو كان حوالي ٤٥٠ عربياً - تقريباًكلهم من المدنيين اللبنانيين و ٦ اسرائيليين قد قتلوا[٥٠].

من هذه القصة، كل ما يجري تذكره هو عذاب الجليل الشمالي المخضع لقصف عشوائي بالكاتيوشا على يد ارهابيي منظمة التحرير الفلسطينية، الأمر الذي أثاراسرائيل في نهاية الأمر للرد الانتقامي بغزوها لبنان في حزيران/يونيو ١٩٨٢ . وهذا يصح حتى على صحفيين جادّين ممن لا يعملون كخط أنابيب للدعاية الرسمية. ادوارد والش كتب أن "الهجمات المتكررة بالصواريخ في ١٩٨١ وضعت (كريات شمونة) مرة اخرى تحت الحصار"، واصفاً، "الآباء المذهولين" والرعب المتسبب عن "المدفعية الهادرة ورشقات الصواريخ الآتية من القواعد الفلسطينية القريبة" في ١٩٨١ ، دون كلمة أخرى عما كان حدث. كيرتس ولكي، أحد المتشككين والأكثر وعياً بين الصحفيين الاميركيين في الشرق الأوسط كتب أن كريات شمونه "وقعت تحت نار مدمرة من قوات منظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٨١؛ ففي هطل من صواريخ كاتيوشا سوفياتية الصنع كان شديداً في مرحلة حيث اضطر السكان الذين لم يهربوا لقضاء ثمانية ايام وليال متتالية في الملاجئ"، ومرة أخرى، دون أية كلمة اضافية عن أسباب "النار المدمرة" أو عن المزاج في بيروت، وغيرها من المناطق المدنية حيث قتل المئات بالقصف الاسرائيلي السفاح، ولم تثر هذه المسائل في مكان آخر[٥١].

والمثال يعطي نظرة ثاقبة أخرى في مفهوم "الارهاب" و "الردّ الانتقامي" كما يجري استيعابه في النظام الايديولوجي الاميركي، وفي الفرضيات العنصرية التي، بشكل عادي تستثني عذاب الضحايا الرئيسيين، الذين هم عرب، وبالتالي أقلّ من البشر.

والقصة الرسمية بأن "الهجمات الصاروخية والقصف على حدود اسرائيل الشمالية" قد انتهت بفضل عملية "سلام الجليل" (نيويورك تايمز؛ انظر أعلاه) زائفة بشكل مضاعف. أولاً، كانت الحدود هادئة على مدى عام قبل الغزو فيما خلا الهجمات الارهابية والتحرشات الاسرائيلية. وهجمات الصواريخ الكبيرة، في تموز/يوليو ١٩٨١ كانت ردّاً على الارهاب الاسرائيلي الذي اقتصَّ ضريبة أكبر بحوالي مائة مرة من رد منظمة التحرير الفلسطينية في هذا الحادث فقط.

وثانياً، على العكس تماماًمن الفترة السابقة، فقد بدأت الهجمات بالصواريخ بعد انتهاء الغزو بفترة قصيرة، منذ بداية ١٩٨٣ واستمرت منذئذ. ومجموعة من الصحفيين الاسرائيليين المعارضين أوردت تقريراً يفيد بأنه خلال أسبوعين من ايلول/سبتمبر ١٩٨٥ أطلق ١٤ صاروخاً على الجليل. وفوق ذلك، ازدادت "الهجمات الارهابية" بنسبة ٥٠٪ في الضفة الغربية في الأشهر اللاحقة للحرب، وفي نهاية عام ١٩٨٣ زادت بنسبة ٧٠٪ منذ الحرب في لبنان، وأصبحت تهديداً قاسياً في ١٩٨٥ ،الأمر الذي هو نتيجة غير مفاجئة للفظائع الوحشية وتدمير المجتمع المدني والنظام السياسي الفلسطيني(٥٢).

إن السبب الحقيقي لغزو ١٩٨٢ لم يكن التهديد للجليل الشمالي، كما يجعله التاريخ المعقم، وإنما على العكس، كما جرى توضيحه بشكل معقول من قبل الاختصاصي الاسرائيلي الأول بالفلسطينيين، الأستاذ بالجامعة العبرية،

يهوشوع بورات ("معتدل" باللغة الاسرائيلية، ويدعم "الحل الأردني" الذي يطرحه حزب العمل بالنسبة إلى الفلسطينيين)، خلال فترة قصيرة بعد بداية الغزو. وهو يطرح أن قرار الغزو "نجم بالذات عن حقيقة أن وقف اطلاق النار تمَّ احترامه" وكان ذلك "كارثة حقيقية" للحكومة الاسرائيلية. لأنه هدد سياسة التملص من التسوية السياسية. وتابع يقول: "إن أمل الحكومة هو أن منظمة التحرير الفلسطينية الجريحة، المفتقدة إلى قاعدة لوجستية واقليمية، ستعود إلى ارهابها السابق؛ فتقوم بعمليات تفجير في كل أنحاء العالم، وتختطف طائرات، وتقتل العديد من الاسرائيليين، وهكذا "ستفقد جزءاً من الشرعية السياسية التي اكتسبتها وتقطع الطريق على خطر" التفاوض مع فلسطينيين ممثلين، الأمر الذي يهدد السياسة - التي يشترك بها التكتلان السياسيان الأكبران - بالمحافظة على سيطرة محكمة على المناطق المحتلة[٥٣]. والافتراض المعقول لدى القيادة الاسرائيلية هو أن أولئك الذين يصوغون الرأي العام في الولايات المتحدة - البلد الوحيد الذي يؤخذ بالحسبان، بعد أن اختارت اسرائيل أن تصبح دولة مرتزقة تخدم مصالح معيلها - يمكن الاعتماد عليهم لشطب التاريخ الحقيقي واظهار الأعمال الارهابية الناجمة عن العدوان والفظائع الاسرائيلية عمليات عنف عشوائية تنسب إلى الخلل في الثقافة والشخصية العربية، إن لم يكن إلى نقص عنصري.

والتعليقات الاميركية اللاحقة على الارهاب تحقق تلك التوقعات الطبيعية بدقة إلى حد ما، وهي ضربة اعلامية ضخمة لصالح ارهاب الدولة في القدس وواشنطن.

والنقاط الأساسية مفهومة جيداً في اسرائيل: فرئيس الوزراء يتسحاق شامير أعلن عبر التلفزيون الاسرائيلي بأن اسرائيل ذهبت إلى الحرب لأنه كان هناك "خطر رهيب.. ليس عسكرياً بمقدار ما هو سياسي"، الأمر الذي

حفز الكاتب الهزلي الاسرائيلي ب.ميخائيل لكتابة أن "العذر الأعرج بوجود خطر عسكري أو خطر على الجليل قد مات، لقد أزلنا الخطر السياسي" بالضربة الأولى، وبالوقت المناسب؛ والآن "شكراً لله، ليس هناك من نتكلم معه". والمعلق آرون باشار لاحظ أنه "من السهل فهم مزاج القيادة الاسرائيلية. عرفات كان متهماًبأنه يتحرك بثبات نحو نوع ما من التكيف السياسي مع اسرائيل، وفي نظر الإدارة الاسرائيلية هذا هو أسوأ التهديدات الممكنة" ـ ويشترك بذلك العمل والليكود على حد سواء. ويلاحظ بيني موريس أن "منظمة التحرير الفلسطينية كفت نيرانيها على طول الحدود الشمالية لسنة كاملة، وفي عدد من المناسبات حذفت من حسابها بالكامل الرد على العمليات الاسرائيلية (المصممة خصيصاً لاستدارج نيران منظمة التحرير الفلسطينية على الشمال)"، ويضيف أنه بالنسبة إلى ضباط جيش الدفاع الاسرائيلي الكبار، "ارتكزت حتمية الحرب على منظمة التحرير الفلسطينية كتهديد سياسي لاسرائيل وعلى سيطرة اسرائيل على المناطق المحتلة" خاصة وأن، آمال الفلسطينيين داخل المناطق المحتلة وخارجها لإنضاج الأماني الوطنية استندت إلى، وتمحورت حول، منظمة التحرير الفلسطينية". وككل معلق عاقل، فإنه يسخر من الكلام الهستيري حول الأسلحة التي يجري الاستيلاء عليها وتهديد منظمة التحرير الفلسطينية العسكري، ويتنبأ بأن "الشيعة في بيروت الغربية، والكثير منهم لاجئون من قصف اسرائيلي سابق لجنوب لبنان في السبعينات، ربما سيتذكرون إلى فترة طويلة حصارحزيران ـ آب/ يونيو ـ أغسطس (١٩٨٢)" مع انعكاسات بعيدة المدى من "ارهاب شيعي ضد أهداف اسرائيلية"[٥٤].

وعلى الجناح اليميني، علق عضو الكنسيت ايهود اولمرت بقوله، الخطر الذي تشكله منظمة التحرير الفلسطينية لاسرائيل لا يكمن بالتطرف، وإنما بالاعتدال

الخرافي الذي نجح عرفات باظهاره دون أن يخطيء أبداً هدفه النهائي، الذي هو تدمير اسرائيل "(الأمر الذي يمكن مجادلة صحته، بالمعنى الذي لم يفقد به دافيد بن غوريون، عندما كان بالسلطة، رؤياه للهدف النهائي في توسيع "حدود التطلعات الصهوينة"، بما يضم الكثير من البلدان المجاورة وفي بعض الأحيان، "الحدود التوارتية" من النيل إلى العراق، بينما يمكن نقل السكان المحليين بطريقة ما). المدير السابق للضفة الغربية. الأستاذ مناحم ميلسون يؤكد أنه "من الخطأ التفكير بأن التهديد الذي تشكله منظمة التحرير الفلسطينية لاسرائيل هو بالأساس عسكري، فالأصح أنه سياسي وايديولوجي". ووزير الدفاع اريئيل شارون أوضح عشية الغزو "أن الهدوء في الضفة الغربية يتطلب تدمير منظمة التحرير الفلسطينيةفي لبنان"، ورفيقه اليميني المتطرف، رئيس هيئةالأركان رفائيل ايتان، علّق لاحقاً بأن الحرب كانت ناجحة، لأنها أضعفت كثيراً "الموقع السياسي" لمنظمة التحرير الفلسطينية وكذلك "نضالها من أجل دولة فلسطينية" فيما عززت قدرة اسرائيل "على قطع الطريق على مثل هكذا هدف". وتعليقاًعلى هذه التصريحات، المؤرخ العسكري الاسرائيلي ادري ميلشتاين (الذي يؤيد "الحل الأردني" لحزب العمل) لاحظ أنه من ضمن أهداف الغزو في مفهوم شارون - ايتان كانت "اقامة نظام جديد[٥٥] في لبنان والشرق الأوسط"، "دفع الساداتية إلى الأمام في عدد من الدول العربية"، "ضمان ضم يهودا والسامرة (الضفة الغربية) لدولة اسرائيل"، و "ربما حل القضية الفلسطينية". وفي الطرف الآخر من الطيف السياسي، عضو الكنسيت امنون روبنشتاين، الذي يلقى اعجاباً كبيراً هنا لمواقفه الليبرالية والحمائمية، فقد كتب أنه على الرغم من احترام وقف اطلاق النار "بهذه النسبة أو تلك" (بما يعني: احترام من قبل منظمة التحرير الفلسطينية، ولكن ليس اسرائيل) فمع ذلك كان غزو لبنان "مبرَّراً" نظراً للتهديد المحتمل وليس العسكري الفعلي: فالأسلحة

والذخائر في جنوب لبنان كانت مقصودة للاستعمال ضد اسرائيل. فاعتبر منعكاسات هذا الجدال المدهش في سياقات أخرى، وحتى وإن كنا سنأخذ بجدية الادعاء حول تهديد منظمة التحرير الفلسطينية العسكري المحتمل لاسرائيل(٥٦).

لاحظ أن روبنشتاين حدس النظرية المثيرة للاهتمام التي أفضت بها إدارة ريغان في تبرير قصفها ليبيا في نيسان/ ابريل ١٩٨٦ وذلك في "دفاع عن النفس ضد هجوم مستقبلي"، الأمر الذي سنتناوله بالفصل الثاني.

المنافحون الاميركيون عن الفظائع الاسرائيلية يعترفون أحياناً بالحقائق إياها. فعشية الغزو، محرر نيوريببلك مارتن بيرتز، مردداً صدى شارون وايتان ، حث على ضرورة أن تنزل اسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية (هزيمة عسكرية دائمة) في لبنان "بحيث توضح للفلسطينيين في الضفة الغربية بأن نضالهم في سبيل دولة مستقلة قد تلقى نكسة لسنين كثيرة"، وبحيث "يتحول الفلسطينيون إلى أمة أخرى مسحوقة، مثل الأكراد والأفغان". والديمقراطي الاشتراكي ميخائيل والتسر، الذي يرى الحل للعرب الفلسطينيين، بمن فيهم أولئك الذين في اسرائيل أيضاً، في ترانسفير (الترحيل) لأولئك "الهامشيين على الأمة" (وهو بالأساس موقف الحاخام كاهانا العنصري، انظر الفصل الأول، حاشية(٧))، أوضح في نيوريببلك بعد الحرب قائلاً: "إنني بالتأكيد أرحب بالهزيمة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأعتقد أن العملية العسكرية المحدودة التي كانت مطلوبة لإلحاق تلك الهزيمة يمكن الدفاع عنها في إطار نظرية الحرب العادلة"(٥٧).

وبالصدفة، فإنه من المثير رؤية التلاقي في هذه القضايا بين اليمين الاسرائيلي المتطرف والليبرالية اليسارية الاميركية.

وبالاختصار، فإن أهداف الحرب كانت سياسية، والمناطق المحتلة تشكل فيها

أحد الأهداف الرئيسية، بينما "النظام الجديد" في لبنان (وربما أبعد من ذلك) هدف آخر. وخرافة حماية الحدود من الارهاب هي دعاية، تبتلعها منهم وسائط الاعلام الاميركية المدجنة. وإذا كان بالامكان احياء الارهاب الفلسطيني، فذلك أفضل بكثير. وإذا لم يكن باستطاعتنا ألصاق التهمة بعرفات، فعلى الأقل يمكن وصمه بأنه "الأب المؤسس للعنف الفلسطيني المعاصر" (نيوريبلك) بحيث أن جهوده من أجل التسوية السياسية يمكن تلافيها.

إن مشكلة تلافي التسوية السياسية لم تنته بتدمير القاعدة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية كما كان مؤملاً، وعليه فعلى وسائط الاعلام أن تبقى مستنفرة لمحاربة التهديد وحماية الحقيقة العقائدية بأن الولايات المتحدة واسرائيل تسعيان إلى السلام ولكن الرفض العربي يسد عليهما الطريق. وهكذا، في نيسان - آيار /ابريل - مايو ١٩٨٤ ،أدلى عرفات بعدد من التصريحات في اوروبا وآسيا يدعو فيها إلى مفاوضات مع اسرائيل تؤدي إلى الاعتراف المتبادل. والعرض رفض على الفور من قبل اسرائيل، وتمّ تجاهله من قبل الولايات المتحدة. وتقرير اخباري من يو.بي.اي (يونايتد برس انترناشنال) حول مقترحات عرفات كان المقال الرئيسي على الصفحة الأولى في صحيفة سان فرانسيسكو اكزامنر، والحقائق أوردت دون ابراز في الصحافة المحلية. أما الصحافة الوطنية فقد كتمت التقرير بدون تحفظ، فيما خلا مجرد الذكر في واشنطن بوست بعد عدة أسابيع. نيويورك تايمز رفضت نشر كلمة واحدة وحظرت الرسائل في الموضوع، بينما استمرت (سوية مع وسائط الاعلام بشكل عام) بشجب عرفات لرفضه السير في الطريق الدبلوماسي. وعلى العموم، فبقدر أهمية الصحيفة، بقدر اصرارها على كتم الحقائق كموقف طبيعي كلية اخذاً بالاعتبار موقف الحكومة الاميركية من القضية(٥٨).

الاسرائيليون الضالعون بالمعرفة يعون بالطبع موقف عرفات. فالرئيس السابق

للاستخبارات العسكرية، يهوشفاط هاركابي، مستعرب وصقر معروف على مدى سنين كثيرة، لاحظ أن "منظمة التحرير الفلسطينية ترغب بتسوية سياسية لأنها تعلم أن البديل رهيب وأنه سيعود إلى دمار شامل". "عرفات، مثله مثل حسين والعرب في الضفة الغربية، يخشى من أنه إذا لم تحصل تسوية، فاسرائيل ستنفجر، ومعها جميع جيرانها ،بمن فيهم الفلسطينيون". ولذلك" فعرفات يتبنى مواقف معتدلة نسبياً فيما يتعلق باسرائيل".(٥٩)

هذه الملاحظات تؤكد عدداًمن النقاط:

- ١ - هناك سياق سياسي حاسم، يجب في اطاره فهم الارهاب إذا كنا جادين بهذا الشأن؛

- ٢ - إنها جرائم الآخر، وليس جرائمنا المثيلة أو الأسوأ، التي تشكل "الارهاب"، وفي هذه الحالة جرائم الفلسطينيين وليس الاسرائيليين أو الاميركيين؛

- ٣ - مفاهيم "الارهاب" و "الرد الانتقامي" تستعمل بمصطلحات الدعاية، وليس الوصف. وبشكل حاسم، فالهستيريا التي تثار حول أعمال منتقاة بدقة من الارهاب - تلك التي يقوم بها العرب، سواء الفلسطينيون، الشيعة اللبنانيون، الليبيون، السوريون وحتى الايرانيون، الذي قد يحسبون عرباًمن أجل هذا الغرض - مصممة لتحقيق بعض الأهداف السياسية المحددة. ومزيد من البحث يعزز هذه الاستنتاجات.

لنتأمل مرة أخرى قضية الرد الانتقامي. كان الهجوم الشيعي الأول بالصواريخ على كريات شمونه بالذات في كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥ ، بعد أكثر من ثلاث سنوات من الاحتلال العسكري الوحشي جداً، والذي وصل ذروته في عمليات القبضة الحديدية في ولاية شمعون بيرس في بداية عام

١٩٨٥ . ولكن التقارير الأخبارية العرضية عن وحشية المحتلين تعجز عن نقل أي شيء قريب من القصة الكاملة، لأنها تتجاهل الوقائع اليومية؛ والأمر نفسه صحيح بالنسبة إلى التقارير العرضية عن الفظائع الاسرائيلية في المناطق المحتلة، والتي تعجز عن نقل الصورة الحقيقية "للاذلال الوحشي، القمع، واستغلال اليد العاملة الرخيصة (بما في ذلك الأطفال)، السيطرة القاسية على الحياة السياسية والثقافية وكبح التطور الاقتصادي. وصورة أكثر دلالة تعطيها جولي فلنت، وهي تروي "قصة الحياة، والموت في قرية لبنانية جنوبية" شيعية قبل شهر من الهجوم الصاروخي. كفر رُمّان كانت "بلدة زراعية مزدهرة يقطنها حوالي ٨،٠٠٠ نسمة" بالقرب من النبطية خلال الفترة التي كان فيها جنوب لبنان خاضعاً لارهاب منظمة التحرير الفلسطينية، حسب التاريخ الرسمي (انظر حاشية ٣٧). وبعد ما تسمية نيويورك تايمز "تحريراً" من حكم منظمة التحرير الفلسطينية، جرى تطويقها عبر "تحصينين ضخمين أقامهما الاسرائيليون وعملاؤهم اللبنانيون من جيش لبنان الجنوبي" ومنهما يستمر القنص والقصف، "أحياناًمن الفجر إلى الغسق، واحياناً لبضع ساعات فقط"، مما تسبب باصابات كثيرة، أدت إلى هروب ٦،٠٠٠ شخص وتركت ثلاثة أرباع البلدة غير ملائمة للسكن في هذه "القرية المحتضرة" حيث لا توجد علامات لنشاطات مقاومة، أو امكانية ضئيلة لمثلها بين الفلاحين غير المسيسين المقيمين على رقعة عارية من سفح تلة منبسطة(٦٠) .

هل كان قصف كريات شمونة "ارهاباً" أو "ردّاً انتقامياً" حتى وأن وضعنا جانبَ الفظائع المميتة لعمليات القبضة الحديدية لكل من بيرس ورابين؟

إن نظرة على حياة الارهابيين ذات دلالة أيضاً. فقد أجرت واشنطن بوست مقابلة مع أحدهم، ضمن سلسلة من خمسة أجزاء عن الارهاب ،

كانت انتقائية بشكل نموذجي. وبينما كان يمضي ١٨ عاماً من السجن في معتقل اسرائيلي، فقد أختير على أنه "من نواح متعددة نموذج للارهابي السجين الآن من لندن إلى الكويت". وفي حياته مأساة شخصية (مقتل أبيه في انفجار بالقدس عام ١٩٤٦ تمتزج باكتشاف نظام من العقائد (الماركسية) لتلقى به في عالم من الاغتيال السياسي بدم بارد". والقنبلة التي قتلت والده وضعتها مجموعة الارغون الصهيونية السرية، التي كان يقودها مناحم بيغن، في مقر القيادة العسكرية البريطانية الذي هو الآن فندق الملك داود كما كان في حينه(٦١). "وقد تعرف على الماركسية، كما قال، من خلال واقع الظروف في المخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة. والواقع في المناطق المحتلة، ليس فقط في المخيمات، واقعي جداً، وهو مرير وقاس، ويقع خارج صفحات التعليقات في صحافة الأمة، حيث يمكننا أن نتعلم بأن الاحتلال كان "نموذجاً للتعاون المستقبلي" وأنه "تجربة في التعايش العربي - الاسرائيلي"(٦٢). والتوضيح ليس للتبرير، ولكن بضعة أسئلة تثور حول الاستعمال المبسط لمصطلحات مثل "الرد الانتقامي".

أو لنتأمل سليمان خاطر، الجندي المصري الذي قتل ٧ سائحين اسرائيليين على شاطئ سيناء في ٥ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٥ . لقد أوردت الصحافة المصرية تقريراً يفيد أن أمه قالت بأنها "كانت سعيدة لموت هؤلاء اليهود"، وطبيب في قريته بحر البقر وصف اطلاق النار بأنه تحذير ضد "السلم الوهمي" بين مصر واسرائيل. فلماذا رد الفعل هذا، الذي يصيب سامعه بصدمة، على جريمة لا توصف؟ القصف في تونس قبل عدة أيام قد يوحي بالسبب، ولكن قد تكون هناك أسباب أخرى. ففي ١٩٧٠ قصفت طائرات اسرائيلية بحر البقر، وقتلت ٤٧ طفلاً في مدرسة، خلال "حرب الاستنزاف"، عندما أجلى القصف الاسرائيلي الكثيف، وبعضه عميقاً داخل

مصر، مليونا ونصفا من المدنيين عن منطقة قناة السويس، وهدد بحرب شاملة عندما أسقطت طائرات ميغ، يقودها طيارون سوفيات لحماية الداخل المصري، بواسطة طائرات فانتوم اسرائيلة جرى تسليمها حديثاً، فوق الأراضي المصرية(٦٣).

إذن، هناك شيء مفقود عندما يورد مراسل التايمز في اسرائيل بشكل سطحي تقريره بأن خاطر "تصرف بدوافع وطنية ومعادية لاسرائيل" ـ الأمر الذي بالتأكيد ما كان ليجري تجاهله لو كان الوضع معكوساً.

يلاحظ ديفيد هيرست أن "مركز الارهاب الدولي الرئيسي والهام حقيقة (بالمعنى الغربي المعقم للمصطلح) هو لبنان. فهو إما أنه يولد ارهابييه الخاصين، أو يسخدم كموطن ملائم لأولئك المستوردين" الذين إما أن يكونوا فلسطينيين" ممن عرفوا القليل عدا القصف، القتل المذابح والتشويه، الكراهية المحيطة، الخوف وعدم الأمان، أو لبنانيين ممن تلقى مجتمعهم الضربة الأخيرة عبر العدوان الاسرائيلي المدعوم اميركياً وما ترتب عليه؛ "... هناك قناعة واحدة متجذرة في عقول الشباب اليوم "داخل هذه المجموعات: "أنه في ظل الرئيس ريغان، الذي أوصل انحياز بلده التقليدي لاسرائيل إلى ابعاد لم يسبق لها مثيل، فإن الولايات المتحدة هي الركيزة التي لا يمكن تقويمها لمجمل النظام القائم، والذي لا يحتمل بحيث اصبحت كل وسيلة لتدميرها مبررة. وقد تكون الحوافز الارهابية أقوى لدى الفلسطينيين، ولكنها يمكن أن تكون لبنانية، عربية، أو ـ في تعبيرها الأكثر درامية ـ شيعية". والنقطة الرئيسية عبر عنها الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، الجنرال (احتياط) يهوشفاط هاركابي، بقوله: "تقديم حل مشرف للفسلطينيين يحترم حقهم في تقرير المصير: ذلك هو الحل لمشكلة الارهاب، وعندما يختفي المستنقع لن يبقى هناك باعوض بعد"(٦٥).

إن الارهاب الاميركي ـ الاسرائيلي بالجملة وعدوانهما قد أسهما

بالتأكيد في الأوضاع التي يصفها هيرست، عن توقع مسبق، وربما عن وعي (انظر أعلاه). والدولتان الارهابيتان أكثر من سعيدتين بالنتائج، التي توفر لهما التبرير للاستمرار في سبيل الرفض والعنف. وفوق ذلك، فالارهاب بالتجزئة الذي تسهمان به بنجاعة يمكن استغلاله لاستجرار الاحساس الملائم بالخوف، وبالتالي التعبئة في أوساط السكان، كما هو مطلوب لأهداف أكثر عمومية. وكل ما يلزم هو نظام دعاوي يمكن الاعتماد عليه للصراخ في جوقة حسب الأوامر وكتم أي فهم للمبادرات الاميركية، أساليبها، مصادرها، ومحفزاتها. وعلى هذا الصعيد، فإن صانعي السياسة ليس لديهم إلاّ القليل مما يقلق.

الأعمال الارهابية توصف عادة من قبل منفذيها على أنها "ردود انتقامية" (أو- في حالة الولايات المتحدة واسرائيل، على أنها "استباقية"). وهكذا، جرى الإدعاء بأن قصف تونس كان "رداً انتقامياً" على الاغتيالات في لارنكا، كما أشير أعلاه، مع أنه بالكاد كان هناك من زعم بأن ضحايا قصف تونس كانت لهم أية علاقة في فظاعة لارنكا. وهذه الأخيرة جرى تبريرها أيضاً على أنها "رد انتقامي" على خطف اسرائيل للسفن المبحرة من قبرص إلى لبنان(٦٦). والادعاء الأول قبل في الولايات المتحدة على أنه شرعي، أما الثاني تم تجاهله والهزء به، وهو تمييز قائم على الالتزام الايديولوجي، كما هي العادة.

وإذا وضعنا جانباً التبرير المقدم للعنف الارهابي وتمسكنا بسجل الحقائق، فلا شك بأن اسرائيل كانت تقوم بعمليات الخطف في البحر منذ سنين عديدة، بقليل من الملاحظة أو عدم اكتراث هنا لهذه الجريمة، التي تثير الهياج الكبير والغضب عندما يقوم بها العرب. ولم يعتبر من الملائم حتى ايراد تقرير عن الحقيقة بأن المحكمة العليا في اسرائيل أعطت بالواقع موافقتها

على هذا الاجراء. ففي حالة عربي أستأنف الحكم عليه بالسجن على أساس أنه ألقي القبض عليه خارج المياه الاقليمية لاسرائيل، حكمت المحكمة العليا بأن "قانونية اصدار الحكم، والسجن لا تتأثر بالوسائل التي تمّ بها احضار المتهم إلى المناطق الاسرائيلية"، وبقيت (مرة أخرى) على موقفها بأن المحكمة الاسرائيلية يمكن لها اصدار الحكم على شخص لأعمال وقعت خارج اسرائيل تعتبرها اجرامية. وفي هذه الحالة، بينت المحكمة أن "أسباباً أمنية" جعلت من الضروري ابقاء المستأنف في السجن(٦٧).

وبالعودة إلى السجل التاريخي، ففي ١٩٧٦ ، وبحسب عضو الكنيست (الجنرال احتياط) متتياهو بيلد، بدأ الأسطول الاسرائيلي باحتجاز قوارب تخص مسلمين لبنانين ، وتسلمهم الى حلفاء اسرائيل من المسيحيين اللبنانيين، الذين قتلوهم، وذلك في محاولة لإحباط خطوات للتوافق جرى ترتيبها بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل. ورئيس الوزراء رابين اعترف بالحقائق لكنه قال أن القوارب قد احتجزت قبل هذه الترتيبات، بينما وزير الدفاع شمعون بيرس رفض التعليق. وبعد تبادل للسجناء في تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٣ ، ورد في تقرير على الصفحة الأولى للتايمز، في الفقرة ١٨ ، أن ٣٧ من السجناء العرب، الذين اعتقلوا في معسكر الاعتقال سيّء الصيت أنصار "قد ألقي القبض عليهم مؤخراً على يد سلاح البحرية الاسرائيلية عندما حاولوا العودة من قبرص إلى طرابلس" شمالي بيروت. ملاحظة لم تستحق أي تعليق هناك أو في مكان آخر.(٦٨)

في حزيران/يونيو ١٩٨٤ ، اختطفت اسرائيل عبّارة تعمل بين قبرص ولبنان على بعد ٥ أميال من الشاطئ اللبناني بعد وجبة من نيران الرشاشات وأجبرتها على التوجه إلى حيفا، حيث أبعد منها ٩ أشخاص واحتجزوا، ثمانية منهم لبنانيون والتاسع سوري. خمسة أطلق سراحهم بعد الاستجواب وأربعة

احتجزوا، بمن فيهم امرأة وتلميذ عائد من انجلترا لقضاء العطلة في بيروت. اثنان أطلق سراحهما بعد أسبوعين بينما مصير الآخرين يبقى مجهولاً. والمسألة اعتبرت غير ذات أهمية إلى حد أنه كان على المرء أن يبحث في المواد الصغيرة جداً وفي الصفحات الخلفية حتى يعرف هذا القليل حول مصير المسافرين المختطفين. الاوبزيرفر اللندنية أوحت بـ "حافز سياسي" لاجبار المسافرين على استخدام العبّارة العاملة من ميناء جونية الماروني بدل غرب بيروت الاسلامي، أو لإرسال اشارة إلى اللبنانيين بأنهم "عاجزون" وعليهم أن يتوصلوا إلى تفاهم مع اسرائيل. ولبنان شجب "عمل القرصنة" هذا، الذي وصفه جودفري جانسين على أنه "مادة أخرى في قائمة اسرائيل الطويلة من العربدة الدولية". "وللحفاظ على خرافة الارهاب البحري"، أضاف "عندما قصف الاسرائيليون جزيرة صغيرة بالقرب من طرابلس، قيل أنها قاعدة للعمليات البحرية التي تقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية"، وهو ادعاء نبذه على أنه "سخيف". وأورد البوليس اللبناني تقريراً بأن ١٥ شخصاً قتلوا، و ٢٠ جرحوا و ٢٠ فقدوا، كلهم لبنانيون صيادون واطفال في معسكر للكشاف السني، وهو الهدف الذي "أصيب بالشكل الأسوأ"(٦٩).

في تقريرها عن "الاعتراض" الاسرائيلي (إذا ترجمنا من نيوسبيك: اختطاف) للعبارة، لاحظت التايمز أنه قبل حرب ١٩٨٢ "البحرية الاسرائيلية اعترضت بشكل عادي السفن المتجهة إلى، أو الخارجة من، مينائي صور وصيدا في الجنوب وفتشتها بحثاً عن رجال العصابات"، وكالعادة قبلت الادعاءات الاسرائيلية على عواهنها، أما "اعتراض" سوري لسفن اسرائيلية مدنية تحت نفس الذريعة قد ينظر إليه نظرة مختلفة بعض الشيء. وكذلك، فاختطاف اسرائيل لطائرة ليبية مدنية في ٤ شباط/ فبراير ١٩٨٦ ، استقبل باتزان، وجرى انتقاده إذا حصل ذلك أبداً، على أنه غلطة

قائمة على معلومات استخباراتية خاطئة(٧٠). وفي ٢٥ نيسان/ ابريل ١٩٨٥ اختطف عدد من الفلسطينيين من قوارب مدنية تعمل بين لبنان وقبرص وأرسلوا إلى جهة سرّية في اسرائيل، الأمر الذي أصبح معروفاً للجمهور (في اسرائيل) عندما أجريت مقابلة مع أحدهم على التلفزيون، مما أدّى إلى التماس في المحكمة العدلية العليا للحصول على معلومات؛ والمفترض أنه كان هناك آخرون غير معروفين(٧١).

ولا واحدة من هذه القضايا، التي تعرف غالبيتها عبر اشارات صدفية، تثير أي اهتمام أو قلق، أكثر مما هو الحال عندما يرد تقرير بشكل عابر بأن "سجناء أمنيين" عرب أطلق سراحهم في تبادل مع سوريا كانوا بالحقيقة "سكان قرى درزية من ذلك الجزء من هضبة الجولان الاستراتيجية الذي ضمته اسرائيل"(٧٢). فاختطاف السفن والأشخاص يعتبر حقاً مقصوراً على اسرائيل حسب الإرادة، وكذلك قصف ما تسميه "أهدافاً ارهابية" بموافقة الرأي المعبر بوضوح في الولايات المتحدة، مهما كانت الحقائق.

ويمكننا أن نتوقف للحظة عند الهجوم الاسرائيلي على الجزيرة بالقرب من طرابلس إلى الشمال من بيروت، حيث قتل صيادون لبنانيون وكشاف في معسكر. وقد حظي الأمر بالقليل من الملاحظة، ولكن ذلك هو العرف في حالة فظائع ارهابية اسرائيلية مألوفة كهذه، التي يبقي هذا الحدث بعيداًعن أن يشكل الأخطر فيها.

والهجمات الفلسطينية تشق طريقها بشكل مختلف. فليس بينها ما يجري تذكره بفزع أكثر من الفظاعة في معالوت عام ١٩٧٤ ، حيث قتل ٢٢ عضواً من مجموعة شبيبية شبه عسكرية في تبادل لاطلاق النار بعد أن رفض موشيه دايان، رغم معارضة الجنرال موردخاي غور، أن يفكر بالتفاوض بناء على طلب الارهابيين من أجل اطلاق سراح معتقلين فلسطينيين(٧٣). وقد يتساءل المرء

لماذا قتل كشاف لبنانيين هو أقل فظاعة ـ وفي الحقيقة، لاشيء من ذلك أبداً، لأنه نفذ من قبل "دولة تهتم بحياة الانسان" (واشنطن بوست) ذات أهداف أخلاقية سامية" (التايم) لعلها فريدة في التاريخ(٧٤).

يومين قبل هجوم معالوت، قصفت الطائرات الاسرائيلية قرية الكفير، وقتلت أربعة مدنيين. وبحسب ادوارد سعيد، فإن هجوم معالوت قد "سبقته أسابيع من القصف الاسرائيلي المتواصل بالنابالم لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان" بحصيلة أكثر من ٢٠٠ قتيل. في ذلك الوقت، كانت اسرائيل منخرطة في عمليات واسعة النطاق من حرق الأرض في جنوب لبنان، بهجمات من الجو بالمدفعية، والزوارق الحربية وكذلك عمليات كوماندو مستعملة القذائف والقنابل والأسلحة المضادة للأفراد والنابالم، وقتلت ربما الآلاف (ولأن الغرب لم يتزعج، فليست هناك أرقام متوفرة) وهجرت مئات الآلاف إلى الشمال إلى الأحياء الفقيرة من بيروت(٧٥).

الاهتمام كان قليلاً والتقارير ضئيلة. لا شيء من هذا سجل في حوليات الارهاب؛ ولم يحدث ذلك بمدى ما يتعلق الأمر بالتاريخ المعقم، مع أن الهجمات الارهابية الفلسطينية القاتلة شجبت بشدة (وعن حق طبعاً) ولا تزال تنتصب كبرهان على أن الفلسطينيين لا يمكن أن يكونوا شركاء بالمفاوضات على مصيرهم.

هذا بينما وسائط الاعلام تشجب بانتظام على أنها تبالغ في نقدها لاسرائيل وحتى أنها "مؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية" وهذه ضربة اعلامية ذات أبعاد ضخمة.

ويمكننا ملاحظة تفسير الأحداث كما يقدمه قادة اسرائيليون يجري تشريفهم هنا على أنهم "معتدلون"، وعلى سبيل المثال يتسحاق رابين، الذي كان سفيراً في واشنطن ولاحقاً رئيساً للحكومة خلال فترة الفظائع

الاسرائيلية الأسوأ في لبنان، ما قبل كامب ديفيد: "لم يكن بإمكاننا تجاهل مشكلة السكان المدنيين في جنوب لبنان...فقد كان واجبنا الانساني أن نساعد سكان المنطقة والحؤول دون القضاء عليها من قبل الارهابيين المعادين"(٧٦). ومراجعو مذكرات رابين ، حيث تظهر هذه الكلمات، لم يجدوا شيئاً ناقصاً فيها، فباحكام شديد تمَّ بناء تاريخ يخدم الايديولوجيا، والعنصرية ضد العرب في الغرب التي بلغت عمقاً كبيراً.

ويجب أيضاً ملاحظة أن اسرائيل ليست الوحيدة التي تتمتع بحق القرصنة والاختطاف. فتقرير في تاس يشجب اختطاف اكيلي لاورو في تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٥ اتهم الولايات المتحدة بالرياء لأن رجلين اختطفا طائرة مدنية سوفياتية وقتلا مضيفة وجرحا آخرين من الطاقم، منحوا لجوءاً في الولايات المتحدة، التي رفضت تسليمهما(٧٧). وهذه القضية ليست معروفة تماماً، وتهمة الرياء تبدو وكأن لها ما يبررها.

والقضية ليست فريدة. فابراهام سوفير، المستشار القانوني في وزارة الخارجية الاميركية، يلاحظ أنه "خلال الخمسينات، ورغم معارضة الولايات المتحدة الشديدة لاختطاف الطائرات، فإن اميركا وحلفاءَها الغربيين رفضوا طلبات من تشيكوسلوفاكيا، الاتحاد السوفياتي، بولندا، يوغوسلافيا وغيرها من الأنظمة الشيوعية لإعادة أشخاص خطفوا طائرات، قطارات وسفن من أجل الهروب". ويدعي سوفير أن الولايات المتحدة "أعادت النظر في سياستها" في نهاية الستينات وبداية السبعينات "عندما وصل اختطاف الطائرات أبعاداً وبائية" وصار يطرح "مشكلة اكثر خطورة وتهديداً أكثر ضخامة لسلامة المسافرين الأبرياء مما يمكن تحمله".(٧٨) وهذا نيوسبيك لحقيقة أن الاختطاف بدأ يوجه ضد الولايات المتحدة وحلفائها، وهكذا سقط في خانة الارهاب بدلاً من المقاومة البطولية للقمع. ومرة اخرى، فإن دعم الولايات المتحدة لاختطاف

أهداف منتقاة جيداً لا يجري الكشف عنه في وسائط الاعلام، أو في انتاج النجوم الصاعدة في علم الارهاب.

وبالإمكان أيضاً ايراد ذكر اختطاف الطائرة الأولى في الشرق الأوسط وهو أيضاً ليس شأناً مألوفاً، وقد قامت به اسرائيل في كانون أول/ديسمبر ١٩٥٤، عندما تم اعتراض طائرة مدنية تابعة للخطوط الجوية السورية على يد مقاتلات اسرائيلية وأجبرت على الهبوط في مطار اللد. وكتب رئيس الوزراء موشيه شاريت في مذكراته الشخصية أن رئيس هيئة الأركان موشيه دايان قصد أن "يحتجز رهائن من أجل اطلاق سراح أسرانا في دمشق". والأسرى المعنيون كانوا جنوداً اسرائيليين ألقي القبض عليهم وهم في مهمة تجسسية داخل سوريا؛ وكما نذكر، فقد كان دايان نفسه الذي، بعد عشرين عاماً، أمر بتنفيذ محاولة الانقاذ التي أدت إلى موت الشباب الاسرائيليين في معالوت والذين احتجزوا كرهائن في محاولة لاطلاق سراح أسرى فلسطينيين في اسرائيل. وكتب شاريت بشكل شخصي "لم يكن لدينا أي تبرير لاحتجاز الطائرة" وأنه لم يكن لديه أي "سبب للتشكيك في حقيقة ما أكدته وزارة الخارجية الاميركية بالوقائع من أن عملنا لم تكن له سابقة في تاريخ الممارسات الدولية". ولكن الحادث اختفى من التاريخ، بحيث أن السفير الاسرائيلي إلى الأمم المتحدة بنيامين نتانياهو، الذي هو الآن معلق ينال الاعجاب الكبير، على الارهاب الدولي، يستطيع أن يظهر على التلفزيون الوطني ويتهم منظمة التحرير الفلسطينية بـ "اختراع" خطف الطائرات وحتى قتل الدبلوماسيين دون أن يخشى الوقوع في التناقض(٧٩).

وبالنسبة إلى قتل الدبلوماسيين، يمكننا فقط ان نذكر باغتيال وسيط الأمم المتحدة فولك بيرنادوت في عام ١٩٤٨ على يد مجموعة ارهابية يقودها رئيس نتانياهو المباشر، وزير الخارجية يتسحاق شامير، الذي كان أحد القادة

الثلاثة الذين أصدروا الأوامر بالاغتيال (الثاني، الذي مات، كان معلقاً محترماًفي الصحافة الاسرائيلية لسنين عديدة، كما كان الثالث). وصديق مقرب من دافيد بن غوريون اعترف له بشكل خاص أنه كان أحد المغتالين، لكن بن غوريون كتم السر، وقد رتبت حكومة اسرائيل هروب المسؤولين عن الاغتيال من السجن ومغادرة البلاد.

وفي عرضه كشاهد عيان، كتب المؤرخ الصهيوني جون كمخي يقول: "لم تكن هناك صرخة عامة أو تصميم لإلقاء القبض على المنفذين" كما "لم يكن هناك الكثير من الغضب الأخلاقي". "وكان موقف الغالبية أن عدواً آخر لليهود قد سقط على قارعة الطريق". والاغتيال "شُجب، أسف له واستنكر لأنه سيكون له منعكسات على اسرائيل، تجعل عمل دبلوماسييها أكثر صعوبة، وليس لأن اللجوء إلى الاغتيال كان خطأ بحد ذاته"(٨٠).

وفي ذاكراتنا الانتقائية، حسب راحتنا، فقط الأعمال العربية تبقى "سوط الارهاب الشرير".

وبعد اختطاف اكيلي لاورو كرد انتقامي على قصف تونس، أصبحت مسألة اختطاف السفن قلقاً غربياً رئيسياً، وفي دراسة قامت بها وكالة الأنباء رويتر وصلت إلى الاستنتاج بأنه "منذ ١٩٦١ كانت هناك حفنة من اختطاف السفن فقط"، وقدمت بعض الأمثلة مما قام به مسلمون؛ اما عمليات الاختطاف الاسرائيلية فلم تكن على القائمة، بكل بساطة(٨١).

الاختطاف ليس الشكل الوحيد من الارهاب الذي يفلت من هذا التصنيف عندما يقوم به أصدقاؤنا. فقد أوضحت جين كيركباتريك أن نسف سفينة السلام الأخضر للاحتجاج على الانتشار النووي راينبو وورير على أيدي عملاء فرنسيين حيث قتل شخص واحد لم يكن ارهاباً: "أود أن أقول بوضوح أن الفرنسيين، لم يقصدوا مهاجمة مدنيين أو متفرجين

ويشوهوا، يعذبوا أو يقتلوا"، وهو احتكام يستطيع ارهابيون آخرون تقديمه بسهولة. وفي تعليقها الرئيسي، بعنوان "ساعة ميتران الفضلى"، كتبت صحيفة ايشيان، وول ستريت جورنال أن "حملة السلام الأخضر هي بالأصل عنيفة وخطيرة... وكون الحكومة الفرنسية كانت على استعداد لاستعمال القوة ضد راينبو ووريو... يوحي بأن أولويات الحكومة صحيحة". وفي نيويورك تايمز، راجع ديفيد هاوسجو كتاباً عن الموضوع، منتقداً الفرنسيين على "التخبط" و "الخطأ السيء"؛ ويقول "لم تكن هناك حاجة "لنسف السفينة وكان بإمكان الفرنسيين، أن يحققوا نفس الهدف بدرجة أقل بكثير من السمعة السيئة". وليست هناك اشارة إلى إمكان أن تكون هناك حاجة لبعض الكلمات الأكثر قساوة. وانطلاقاً من هذه "التخبطات" يستخلص هاوسجو أنه "من الصعب تبرير عدم تجريم (وزير الدفاع) السيد هيرنو ومن العسير توجيه اللوم إلى النيوزيلنديين على سجنهم الضباط الفرنسيين"(٨٢). ويناقش هاوسجو المقارنة مع ووتر جيت، دون أن يصيب التناظر الرئيسي: ففي تلك القضية أيضاً كان هناك الكثير من الضوضاء حول "التخبطات" والجرائم التافهة، والكثير من التهنئة الذاتية من جانب وسائط الاعلام، بينما الكونغرس ووسائط الاعلام على حد سواء تجاهلوا الجرائم الحقيقية لإدارة نيكسون على أنها لاتمت الموضوع بصلة(٨٣). الامبراطور منزه عن تهمة الارهاب والجرائم الأخرى، وحلفاؤه غالباً ما يشاركونه هذا الامتياز. إنهم في أسوأ الحالات مذنبون بـ "التخبطات".

جورج شولتس قد يستحق بجدارة جائزة النفاق على هذا الصعيد. فبينما يحض على حملة "نشطة" ضد الارهاب، فإنه يصف بـ "المكر" الادعاء بأن "الارهابي بالنسبة لشخص ما هو محارب من أجل الحرية بالنسبة لآخر": "المحاربون من أجل الحرية والثوريون لا ينسفون باصات

تحمل أناساً غير مقاتلين. القتلة الارهابيون يفعلون ذلك. المحاربون من أجل الحرية لا يغتالون رجال أعمال أبرياء أو يخطفون رجالاً أبرياء، نساءً واطفالاً، القتلة الارهابيون يفعلون.. المقاتلون في المقاومة الأفغانية لا يدمرون القرى أو يقتلون الضعفاء. الكونترا في نيكاراغوا لا ينسفون باصات المدارس أو يقومون باعدامات جماعية للمدنيين."

في الحقيقة، فالارهابيون بإمرة شولتس في نيكاراغوا كما يعرف جيداً، يتخصصون بالضبط بالهجمات السفاحة على المدنيين، مترافقة مع التعذيب، الاغتصاب، والتشويه؛ وسجلهم النتن في الارهاب موثق جيداً، لكنه يتجاهل وينسى بسرعة، وحتى ينفي من قبل المنافحين عن الارهاب (انظر حاشية ١٧). المقاتلون في المقاومة الأفغانية كذلك قاموا بالفظائع الوحشية من النوع الذي من شأنه أن يثير الشجب المحموم في الغرب لو كانت القوى المهاجمة (التي كانت ستسمي عندها "قوات تحرير" تعمل "للدفاع عن النفس") اميركية أو اسرائيلية. وقبل أشهر قليلة فقط من كلامه، كان أصدقاء شولتس في انغولا، يونيتا، يتبجحون بأنهم اسقطوا طائرة مدنية قتل فيها ٢٦٦ شخصاً، وأطلقوا سراح ٢٦ رهينة، كانوا احتجزوا لمدة تسعة أشهر، بمن فيهم ٢١ برتغالياً، اسبانياً، ومبشراً من اميركا اللاتينية؛ وقد أعلنوا أيضاً عن "حملة جديدة من الارهاب في المدن "كما أوردت اسوشيتيدبرسن، مع الملاحظة عن قصف لواندا حيث قتل ٣٠ شخصاً وأكثر من ٧٠ آخرين جرحوا عندما انفجرت سيارة جيب محملة بالديناميت في المدينة. وقد احتجزوا معلمين اوروبيين، أطباء، وغيرهم حوالي ١٤٠ أجنبياً كما أوردت الصحافة، بمن فيهم ١٦ فنياً بريطانيا "أخذوا رهائن" كما أعلن يوناس سافيمبي "ولن يطلق سراحهم حتى تقدم رئيسة الوزراء تاتشر لمنظمته نوعاً ما من الاعتراف". ومثل هذه الأعمال

تستمر بالعادة، فقد نسف فندق في نيسان/ ابريل ١٩٨٦ حيث قتل ١٧ أجنبياً وكثيرون جرحوا. سافيمبي "هو واحد من الأبطال الحقيقيين القلة في أيامنا" قالت جين كيركباتريك في خطاب لها أمام مؤتمر العمل السياسي المحافظ، حيث "استقبل سافيمبي بتصفيق حماسي بعد أن اقسم بأنه سيهاجم منشآت النفط في بلاده"، وهي خطة لقتل اميركين، لكنها لم تحفز الولايات المتحدة لتفعيل نظرية "الدفاع عن الذات إزاء هجوم مستقبلي"، وبينما استخدمت لتبرير قصف "الكلب المسعور" القذافي، فلم تقصف جوهانسبرغ عندما ألقي القبض على مرتزقة من جنوب افريقيا في آيار /مايو ١٩٨٥ في شمال انغولا كانوا في مهمة لتدمير هذه المنشآت وقتل اميركين؛ فالدولة الارهابية يجب أن تمارس أحكاماً حاذقة(٨٤).

في العالم الحقيقي، سافيمبي، يرقى إلى مستوى المحارب من أجل الحرية في نظر شولتس، كيركياتريك وغيرهما من قادة الارهاب المتقدمين والمنافحين عنه، وأولاً وقبل كل شيء، "لأن يونيتا هي أكثر المجموعات العميلة التي تتلقى الدعم من جنوب افريقيا وتستخدم لزعزعة الاستقرار في الدول المجاورة"(٨٥).

وبالنسبة إلى جيوش شولتس من الكونترا، فعملها الرئيسي، كما ذكر أعلاه، هو احتجاز كل سكان نيكاراغوا المدنيين رهائن في ظل الارهاب السادي لإجبار الحكومة على التخلي عن أي التزام بحاجات الغالبية الفقيرة، وتفضيله على السياسة "المعتدلة" و "الديمقراطية" التي تعنى بالاحتياجات التي تتجاوز الحدود لرجال الأعمال الاميركين وحلفائهم المحليين، كما هو الحال في الدول التي تسلك بشكل لائق وتقع تحت رعاية الولايات المتحدة.

ولكن في المناخ الثقافي الفاسد والمتعفن حيث يزدهرمثل هؤلاء من قادة الارهاب والمنافحين عنه ، فإن تصريحات شولتس وغيرها من أمثالها تمر

دون أن تثير أية علامات استغراب تقريباً.

فبكل بساطة يقع احتجاز الرهائن تحت عنوان الارهاب. وعليه، فلا شك أن اسرائيل مدانة بأعمال خطيرة من الارهاب الدولي عندما نقلت ١،٢٠٠ سجين غالبيتهم من اللبنانيين الشيعة إلى اسرائل انتهاكاً للقانون الدولي أثناء انسحابها من لبنان، موضحة أنهم سيطلق سراحهم "في برنامج زمني غير محدد وسيتقرر وفقاً للأوضاع الأمنية في جنوب لبنان" ـ وبذلك فهي توضح تماماً أنهم سيحتجزون كرهائن بانتظار اظهار "السلوك الحسن" من جانب السكان المحليين الواقعين تحت مراقبة القوات الاسرائيلية ومرتزقتها في "المنطقة الأمنية" من جنوب لبنان والمناطق المحيطة. وكما لاحظت ماري مكجروري في افتراق نادر عن التوافق العام، فإن الأسرى "رهائن في السجون الاسرائيلية"؛ هم ليسوا مجرمين، ولكنهم جرفوا كضمانة ضد القيام بهجمات عندما كان الاسرائيليون ينسحبون أخيراً من لبنان" ـ في الواقع، لم تكن هناك نية للتخلي عن جنوب لبنان، حيث تحتفظ اسرائيل بـ "حزامها الأمني" ، وحتى الانسحاب الجزئي كان انجازاً للمقاومة اللبنانية. وقد نقل الـ ١٤٠ اسيراً سرّاً إلى اسرائيل في تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٨٣ انتهاكاًلاتفاق مع الصليب الأحمر لاطلاق سراحهم في تبادل للأسرى، بعد إغلاق معسكر الأسر في أنصار (الذي اتضح أنه مؤقت) ، وكان مسرحاً للفظائع الوحشية، غالباً ما يصفه اسرائيليون خدموا فيه أو زاروه وتقززوا من سلوك الآسرين البربري، بأنه "معسكر اعتقال" (نازي)؛ حيث لم يُسمح حتى للصليب الأحمر بزيارة الأسرى حتى تموز /يوليو ١٩٨٤ . وقد صرح المتحدث باسم وزارة الدفاع الاسرائيلية ناحمان شاي بأن ٤٠٠ من اصل ٧٦٦ لايزالون رهن الاحتجاز في حزيران /يونيو ١٩٨٥ ، وكان قد ألقي القبض عليهم بسبب "نشاطات ارهابية" ، بمعنى مقاومة الاحتلال

العسكري الاسرائيلي بينما "ألقي القبض على الآخرين بسبب أشكال أخرى من النشاط السياسي الأقل عنفاً أو بسبب تنظيم نشاطات موجهة لزعزعة وجود الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان، كما أشار السيد شاي(٨٦).

لقد وعدت اسرائيل باطلاق سراح ٣٤٠ من الرهائن في ١٠ حزيران/ يونيو "لكنها ألغت ذلك في اللحظة الأخيرة لأسباب أمنية لم يجرِ توضيحها أبداً"(٨٧).

وبعد أربعة أيام ، اختطف لبنانيون شيعيون، ذكر أنهم أصدقاء وأقارب الرهائن المحتجزين في اسرائيل(٨٨)، طائرة تي. دبليو. اي .في رحلتها رقم ٨٤٧ وأخذوا ركابها رهائن في محاولة لتحرير الرهائن المحتجزين في اسرائيل، فأثاروا بذلك نوبة أخرى من الهستيريا المنسقة جيداً والمنافقة تماماً في الولايات المتحدة، مترافقة بتلميحات عنصرية مكشوفة؛ والعديد من الهجمات على وسائط الاعلام التي سمحت للخاطفين بفرصة عابرة للتعبير عن موقفهم، فتدخلت بذلك بالمنهج الاستبدادي الذي يعتبر لائقاً في إطار النظام الدعاوي. الخاطفون الاسرائيليون لم يكونوا بحاجة لمدخل خاص إلى وسائط الاعلام الاميركية، التي كان يسرها أن تنقل رسالتهم بدلاً عنهم، وغالباً بصورة "أخبار".

وتُشجب وسائط الاعلام عادة لأنها "تدعم الارهاب" بسماحها للارهابيين التعبير عن موقفهم؛ والاشارة ليست إلى الظهور المنتظم لرونالد ريغان، جورج شولتس ،اليوت ابرامز وغيرهم من قادة الارهاب، الذين يقدمون رسالتهم دون أي ردٍّ أو تعليق، بما يوفر اطار المفاهيم أو الافتراضات لما يسمى "تقريراً اخبارياً".

لقد نبذت الصحافة تصريحات المختطفين بأنهم أرادوا تأمين اطلاق سراح الرهائن المحتجزين في اسرائيل ـ الذين، بالطبع، لم يكونوا رهائن في

اللغو الاميركي، لأنهم كانوا محتجزين لدى "جانبنا".

إن سخف الادعاء الشيعي قد تمَّ كشفه بسهولة، فلورا لويس أوضحت أنه "ليس من طبيعة الشيعي المقاتل، الذي يعلي الشهادة ويبدي القليل من التردد في ازهاق حياة الآخرين، أن يعنى بتوقيت اعادة الأسرى"، وهذه صيغة أخرى من المفهوم النافع بأن الطبقات الدنيا لا تشعر بالألم. ومحررو التايمز قدموا الجدل المثير للشفقة بأن "اسرائيل قد خططت الأسبوع الماضي لاسترضاء الشيعة المستائين (أي قبل بضعة أيام من اختطاف طائرة تي.دبليو. اي.) الأمر الذي تأخر بسبب اختطاف عدد من الجنود الفنلنديين التابعين للأمم المتحدة في لبنان"؛ وفي خبر من ٩٠ كلمة، لاحظت التايمز الادعاء الفنلندي أنه خلال هذا الحادث الذي لا علاقة له بالموضوع (الاختطاف)، "وقف ضباط اسرائيليون يراقبون رجال ميليشيا لبنانيين يضربون الجنود الفنلنديين المختطفين والذين يخدمون مع الأمم المتحدة في لبنان، ولم يفعلوا شيئاً لمساعدتهم" فيما هم، يضربون بقضبان حديدية، خراطيم الماء والبنادق على أيدي أفراد جيش لبنان الجنوبي". "هناك جرائم كثيرة هنا"، أرعدت التايمز، وهي تشجب خاطفي طائرة تي. دبليو. اي. السلطات اليونانية (على ميوعتها) وحتى الولايات المتحدة ـ لأنها "فشلت في معاقبة ايران على ايواء قتلة اميركيين في عملية اختطاف العام الفائت" (انظر حاشية ٧٧). ولكن احتجاز الرهائن الاسرائيلي لم يكن واحداًمن هذه الجرائم(٨٩).

ومؤرخ الشرق الأوسط في برنستن ، بيرنارد لويس، الذي تجعل شهرته العلمية الأدلة، أو النقض عبر أدلة مضادة واضحة، غير ضرورية، أكد بما لا يحتمل اللبس بأن "الخاطفين أو الذين أرسلوهم لابد أنهم كانوا يعلمون تماماً أن الاسرائيليين كانوا يخططون لاطلاق سراح الأسرى الشيعة وغيرهم من اللبنانيين، وان تحدياً علنياً من هذا النوع يمكنه فقط أن يعيق، لا أن

يسرّع في اطلاق سراحهم". يمكنهم أن يستمروا في "تحدي اميركا واذلال الاميركيين" لأنهم يعرفون أن وسائط الاعلام المنبطحة" ستوفر لهم اشهاراً غير محدود وربما شكلاً ما من الدفاع". ولنتذكر أن هذا هو صوت أستاذ محترم في صحيفة محترمة، وهذه حقيقة تقدم مرة اخرى نظرة ثاقبة في السعار الهزلي الذي يمر في الحياة الفكرية.

محررو نيوريببلك نبذوا المناشدة الشيعية لاطلاق سراح الرهائن المحتجزين في اسرائيل على أنها "هراء خالص": "الاختطاف، خطف الأشخاص، القتل والمجازر هي الطريقة التي يؤدي بها الشيعة وغيرهم من الزمر في لبنان عملهم السياسي"، "ويعلم الجميع" أن الأسرى المحتجزين في اسرائيل كان محدداً اطلاق سراحهم - عندما تكون اسرائيل مستعدة وبحالة جيدة. والرئيس ريغان رفع مستوى الهستيريا درجة أخرى، موضحاًأن "الهدف الحقيقي للارهابيين" هو "طرد اميركا من العالم" وليس أقل من ذلك، بينما نورمان بودهوريتس، إذ يلاحظ أن استعمال القوة قد يؤدي إلى موت رهائن اميركيين، شجب ريغان على فشله "بالمغامرة بالحياة نفسها (وتحديداً، حياة الآخرين) دفاعاً عن الشرف الوطني"، ورئيس بلدية نيويورك ادوارد كوتش دعا إلى قصف لبنان وايران، بينما آخرون "ضربوا بوزات" بطولية ملائمة(٩٠).

في هذه الأثناء، يستطيع القارئ المتأني أن يكتشف معلومات مدفونة في التقارير الاخبارية عن أزمة الرهائن. إن ٢٠٠٠٠ من الشيعة اللبنانيين، بمن فيهم ٧٠٠ طفل، قد هربوا من بيوتهم جرّاء قصف جيش لبنان الجنوبي التابع لاسرائيل، الذي أطلق النار ايضاً على سيارات الجيب الخاصة بقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، في حين "قوة مشتركة من جنود اسرائيليين ورجال ميليشيا بقيادة مسيحية اجتاحوا قرية لبنانية اليوم وقبضوا

على ١٩ رجلاً شيعياً"، كما أعلن المتحدث باسم الأمم المتحدة(٩١).

بعد الاختطاف، بدأت اسرائيل باطلاق رهائنها حسب توقيتها الخاص، وربما سرّعت بذلك لأن اختطاف تي. دبليو. أي .قد ركز الاهتمام الدولي على عملية اختطافها الأكثر أهمية بكثير. وعندما أطلق سراح ٣٠٠ في ٣ تموز/يوليو أوردت اسوشييتد برس تقريراً عن شهاداتهم بأنهم عذبوا وجوّعوا، بينما توماس فريدمان من التايمز سمع فقط "أننا عوملنا جيداً من قبل الاسرائيليين.." وأخيراً، كتب ريغان رسالة إلى شمعون بيرس "يقول فيها أن عملية الاختطاف في بيروت قد عززت العلاقات بين بلديهما"؛ لم يقل شيئاً عن "أزمة الرهائن الأخرى"، التي ليست جزءاً من التاريخ الرسمي.(٩٢)

وحتى بمعايير نيوسبيك الغربي، فإن أعمال اسرائيل تستحق التسمية احتجاز رهائن لولا أنها كعميل للامبراطور يزعج العالم ، معفاة من هذا الاتهام. ولكن من المهم التأكيد مرة اخرى على حدود المفاهيم الاوورولية للغو السياسي المعاصر، والذي يتضمن مصطلحات مثل "ارهاب" و "رهائن" تؤول لتستثني النماذج الأكثر تطرفاً مثل نيكاراغوا وجنوب لبنان حيث كل السكان يحتجزون كرهائن لضمان طاعة السيد الأجنبي. مثل هذا الاستعمال اجباري، أخذاً بالإعتبار الطبيعة الحقيقية للارهاب الدولي بالجملة والضرورة الواضحة لمنع أي فهم لها.

واذ حصرنا الكلام بالشرق الأوسط فقط، علينا الاعتراف بأنه عند مستوى معين تصبح المسألة مفهومة جيداً لمنظمي الارهاب الدولي. فالسبب للهجوم الوحشي على جنوب لبنان خلال السبعينات أوضحه الدبلوماسي الاسرائيلي ابا ايبان، الذي يعتبر من قادة الحمائم: "لقد كان هناك توقع عقلاني، تحقق في نهاية الأمر، بأن السكان المتأثرين سيشكلون ضغطاً لوقف الأعمال العدائية". وبالترجمة إلى اللغة البسيطة: فإن سكان جنوب لبنان

احتجزوا كرهائن، لتفعيل ضغط عليهم من أجل اجبار الفلسطينيين للقبول بالموقع المحدد لهم من قبل حكومة العمل التي يمثلها ايان، الذي أعلن أن الفلسطينيين "ليس لهم دوراً يلعبونه" في التسوية السلمية(٩٣). ورئيس هيئة الأركان موردخاي غور أوضح في ١٩٧٨ أنه "خلال ٣٠ عاماً... كنا نحارب ضد سكان يعيشون في القرى والمدن"، ملاحظاً أن حوادث مثل قصف مدينة اربد وطرد الآلاف من سكان غور الأردن بالقصف ومليون ونصف مدني من منطقة قناة السويس، ضمن أمثلة أخرى، كلها جزء من برنامج احتجاز السكان المدنيين رهائن في محاولة لكبح مقاومة التسوية السياسية التي فرضتها اسرائيل بالقوة، وراحت تعمل للحفاظ عليها بينما هي ترفض امكانية التسوية السياسية، وعلى سبيل المثال، عرض السادات معاهدة سلام شاملة على أساس الحدود المعترف بها دولياً في ١٩٧١ . وممارسة اسرائيل المعتادة من "الرد الانتقامي" ضد أهداف مدنية لا تملك الدفاعات ولا علاقة لها بمصدر أعمال الارهاب (التي هي بنفسها غالباً ما تكون رداً انتقامياً على ارهاب اسرائيلي سابق، إلخ) تعكس أيضاً نفس المفهوم، وهو افتراق منذ بداية الخمسينات، عن مقولة بن غوريون السابقة بأن" رد الفعل غير ناجع" إلاَّ إذا تركز بدقة: "فإذا كنا نعرف العائلة - (فعلينا) أن نضرب بلا رحمة بمن في ذلك النساء والأطفال"(٩٤).

ومفهوم غور لحروب اسرائيل تشاركه به القيادة العسكريةعلى نطاق واسع . وخلال عمليات القبضة الحديدية في بداية ١٩٨٥ ،حذر وزير الدفاع يتسحاق رابين من أنه إذا لزم الامر فإن اسرائيل ستدير "سياسة الأرض المحروقة كما كان الأمر في غور الأردن وخلال حرب الاستنزاف" مع مصر.،أضاف قائلاً: "إن لبنان هو مصدر أكثر خطورة للارهاب مما كان عام ١٩٨٢ ، في حين أوقع الارهاب الشيعي اوروبا الغربية في رعب (وهم

لم يفعلوا ذلك قبل الغزو الاسرائيلي في عام ١٩٨٢ لأسباب غير موضحة)، لذلك فعلى اسرائيل أن تحتفظ بمنطقة في الجنوب "يمكننا منها التدخل". وقائد المظليين المتمرس دوبك تماري، الذي أصدر الأوامر لمسح مخيم عين الحلوة الفلسطيني بالقصف المدفعي والجوي "لانقاذ حياة" المظليين تحت أمرته (ممارسة اخرى جديرة بالملاحظة من أسطورة "طهارة السلاح") برر عمله بالتعليق أن "دولة اسرائيل مازالت تقتل مدنيين منذ ١٩٤٧"، و "تقتل مدنيين عن قصد، كهدف ضمن أهداف أخرى"(٩٥).

وقد استشهد ثماري كمثال بالهجوم على قبية في عام ١٩٥٣ ، عندما قتلت وحدة شارون ١٠١ سبعين قروياًعربياً في بيوتهم ادعاءً بأن ذلك كان ردًّا انتقامياً على هجوم ارهابي لم يكن لهم أية علاقة به، وتظاهر بن غوريون في اذاعة اسرائيل بأن القرويين قُتِلوا على أيدي مدنيين اسرائيليين أثار الارهاب العربي غضبهم، "وهم في الغالب لاجئون، أناس من البلدان العربية وممن نجوا من معسكرات الاعتقال النازية"، نابذاً "الادعاء الخيالي" بأن قوات عسكرية اسرائيلية كانت لها علاقة بالأمر - كذبة وقحة. بل أكثر من ذلك، فقد وضعت المستوطنات الاسرائيلية تحت تهديد الرد الانتقامي على المذبحة بدم بارد. والحقيقة المعروفة أقل هي أنه قبل شهر من مذبحة قبية، أرسل موشيه دايان الوحدة ١٠١ لطرد أربعة آلاف بدوي من قبيلتي العزازمة والترابين إلى ما وراء الحدود المصرية، وهي خطوة أخرى في الطرد الذي ظل يتقدم منذ ١٩٥٠ ، فترة قصيرة بعد وقف اطلاق النار. وفي آذار/مارس ١٩٥٤ قتل ١١ اسرائيلياً في كمين لسيارة باص في النقب الشرقي على يد أفراد من قبيلة العزازمة ("ارهاب بدون استفزاز")، الأمر الذي استدعى غارة اسرائيلية على قرية نحالين الأردنية التي لا علاقة لها بالأمر، حيث قتل تسعة قرويين ("رد انتقامي"). وفي آب /اغسطس ١٩٥٣ قتلت وحدة شارون ١٠١ عشرين شخصاً، ثلثاهم من

الأطفال والنساء، في مخيم البريج للاجئين بقطاع غزة في "رد انتقامي" على تسلسل(٩٦). ودورة "الرد الانتقامي" (على يد اليهود) و "الارهاب" (على أيدي الفلسطينيين) يمكن اقتفاء أثرها إلى الوراء، خطوة، خطوة، لسنين طويلة، وهو تمرين يكشف بسرعة أن المصطلحات تخص مجال الدعاية، وليس الوصف الحقيقي.

وهنا أيضاً يمكننا ملاحظة مدى الأحكام الذي تمت به إعادة بناء التاريخ بشكل يخدم الايديولوجيا أكثر. وهكذا فإن توماس فريدمان، في مراجعة لاستراتيجية "اسرائيل ضد الارهاب" كتب يقول "أن الفترة الأولى من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦ يمكن وصفها بالشكل الأفضل على أنها فترة مكافحة الارهاب ـ عبر ـ الرد الانتقامي، أو التغذية الارجاعية السلبية"، مع أن " واحدة ،على الأقل، من عمليات الرد الانتقامي أصبحت موضع خلاف كبير، لأنها انطوت على ضحايا مدنيين" والاشارة كما يبدو إلى قبية. وسجل الأعمال العلمية غالباً ما لايكون مختلفاً كثيراً(٩٧).

وعمليات القبضة الحديدية للجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان في بداية الثمانينات كان تسترشد أيضاً بالمنطق الذي رسم معالمه ايبان، كما نوقش أعلاه. السكان المدنيون احتجزوا كرهائن تحت تهديد الارهاب لضمان قبولهم بالترتيبات السياسية التي أملتها اسرائيل في جنوب لبنان والمناطق المحتلة. والتحذيرات تبقى سارية المفعول، السكان يبقون رهائن، دون اهتمام من قبل القوة العظمى التي تموّل هذه العمليات وتحول دون أية تسوية سياسية ذات معنى.

وبينما الارهاب بالجملة، بما فيه احتجاز الرهائن، معفى من التقريع في نيوسبيك الغربي عندما يتم على أيدي مصدر مقبول، فالشيء نفسه صحيح بالنسبة إلى العمليات على مستوى متدن، كما جرى توضيحه. ولنذكر

بعض الحالات المميزة، ففي تشرين ثاني - كانون أول /نوفمبر ديسمبر ١٩٨٣ "أوضحت اسرائيل أنها لن تسمح لقوات عرفات بالجلاء عن مدينة (طرابلس في شمال لبنان، حيث كانت تتعرض لهجوم من قوات تدعمها سوريا) مادام مصير الأسرى الاسرائيليين غامضاً" ولذلك قصفت اسرائيل ما سمي "مواقع عصابات". ومنعت مغادرة السفن اليونانية التي كانت ستجلي أنصار عرفات. وذكر متحدثون دروز أن مستشفى قد أصيب خلال القصف والتمشيط "لما وصف بأنه قواعد فلسطينية "إلى الشرق من بيروت، بينما في طرابلس"أصيبت سفينة شحن مُحملّة اصابة مباشرة وغرقت" واشتعلت النيران في ناقلة عندما أصيبت(٩٨). ومرة أخرى ،تم احتجازالسكان، كما السفن الأجنبية كرهائن لضمان اطلاق سراح الأسرى الاسرائيليين الذين أسروا أثناء العدوان الاسرائيلي على لبنان ؛ ولم يصدر أي تعليق هنا على هذه الفظاعة الاضافية، كما هي العادة.

في لبنان والبحر الأبيض المتوسط تنفذ اسرائيل هجمات بحصانة كاملة وتحرر من كل قيد. وفي منتصف تموز/يوليو ١٩٨٥ قصفت طائرات اسرائيلية ومشطت مخيمات فلسطينية بالقرب من طرابلس، وقتلت على الأقل ٢٠ شخصاً، غالبيتهم من المدنيين، بمن فيهم ستة أطفال تحت سن ١٢ عاماً. "غيوم من الدخان والغبار غطت مخيمات اللاجئين في طرابلس، التي تؤوي أكثر من ٢٥،٠٠٠ فلسطيني، ولعدة ساعات بعد هجوم الساعة ٢:٥٥ بعد الظهر" والذي افترض أنه "رد انتقامي" على هجومين بسيارتين مفخختين قبل بضعة أيام في "المنطقة الأمنية" التابعة لاسرائيل في جنوب لبنان على يد مجموعة متحالفة مع سوريا. وبعد أسبوعين، هاجمت زوارق حربية اسرائيلية سفينة شحن مسجلة في هندوراس على بعد ميل من ميناء صيدا، كانت تنقل الأسمنت حسب أقوال قبطانها اليوناني، فاشعلت فيها

النار عبر ٣٠ قذيفة وجرحت مدنيين في قصف لاحق للشاطئ عندما رد رجال الميليشيا على النار. وصحافة التيار المركزي لا تكلف نفسها عناء ذكر أنه في اليوم التالي أغرقت الزوارق الحربية الاسرائيلية قارباًللصيد وألحقت ضرراً بثلاثة أخرى، في حين دعا عضو برلمان من صيدا الأمم المتحدة لإنهاء "القرصنة" الاسرائيلية المدعومة اميركياً. وأوردت الصحافة تقريراً عما أسمته اسرائيل عملية "جراحية" ضد"منشآت ارهابية" بالقرب من بعلبك في سهل البقاع في كانون ثاني/ يناير ١٩٨٤ ، حيث قتلت حوالي ١٠٠ شخص، غالبيتهم من المدنيين، وجرحت ٤٠٠ آخرين بمن فيهم ١٥٠ طفلاً في مدرسة دمرها القصف . "المنشآت الارهابية" ضمت أيضاً مسجداً، فندقاً، مطعماً، حوانيت وأبنية أخرى في القرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية الثلاث التي هوجمت، في حين ذكرت أخبار بيروت أن سوقاً للمواشي ومجمعاً صناعياً أصيبا أيضاً وعشرات المنازل دمرت. مراسل رويتر في القرية المقصوفة قال أن جولة أخرى من القصف بدأت بعد عشر دقائق على الأولى، "مما زاد عدد القتلى والجرحى" لأن الرجال والنساء بدأوا يسحبون القتلى والجرحى من المباني المهدمة، وقد رأى "كثيراً من الأطفال" في المستشفيات فيما أفاد شهود عيان أن رجالاًونساءً اندفعوا إلى المدارس في بحث مذعور عن أطفالهم،وزعيم الشيعة في لبنان شجب "البربرية الاسرائيلية" واصفاً الهجمات على "مدنيين أبرياء، مستشفيات وبيوت عبادة" بأنها محاولة "لارهاب الشعب اللبناني". ولكن الحادث مرَّ هنا دون تعليق. ولم يؤثر بأي شكل على موقع اسرائيل، "كبلد يهتم بحياة الانسان" (واشنطن بوست)، وعليه فإننا نستطيع الاستخلاص مرة أخرى أن ضحايا ذلك القصف الجراحي كانوا أقل من بشر، كما هم بالحقيقة، في الاجماع العنصري الغربي.(٩٩).

مرة أخرى يمكن للمرء أن يتخيل ماذا سيكون رد الفعل في الغرب، بما في ذلك وسائط الاعلام "المؤيدة للعرب"، لو نفذت سوريا أو منظمة التحرير الفلسطينية "ضربات جراحية" على "منشآت ارهابية" بالقرب من تل أبيب، وقتلت ١٠٠ مدني وجرحت آخرين، بمن فيهم ١٥٠ طفلاً في مدرسة مدمرة سوية مع أهداف مدنية أخرى.

وبينما الصيغة المألوفة في الولايات المتحدة أن العنف الاسرائيلي الذي ربما يكون مبالغاً به أحياناً، هو "رد انتقامي" على الفظائع العربية، فاسرائيل، مثلها مثل الولايات المتحدة، تدعي حقوقاًأوسع بكثير: الحق في تنفيذ هجمات ارهابية لمنع أعمال محتملة ضدها، كما في التبرير لحرب لبنان الذي قدمه عضو الكنيست الحمائمي امنون روبنشتاين، والذي جرى الاستشهاد به أعلاه. وينفذ الجنود الاسرائيليون ما يسمونه "اطلاق نار وقائيّ" عندما يقومون بالدوريات في لبنان، ويرشون الأرض بنيران الرشاشات الأمر الذي قاد قوة حفظ السلام الايرلندية إلى اغلاق الطريق احتجاجاً على ذلك. ومن العادي جداًأن الهجمات الاسرائيلية في لبنان كانت توصف على أنها "وقائية، وليس تأديبية"، على سبيل المثال قصف وتمشيط مخيمات اللاجئين الفلسطينيين والقرى المجاورة بواسطة ٣٠ طائرة اسرائيلية في ٢ كانون أول/ ديسمبر ١٩٧٥ ، فقتلت ٥٧ شخصاً، وكما يبدو في ردٍّ انتقامي على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بمناقشة مقترح عربي للسلام كانت اسرائيل تعارضه بشدة، ولذلك جرى استئصاله من التاريخ(١٠٠). وعندما هاجمت قوات محمولة جوًا وبحراً مدينة طرابلس في شمال لبنان في شباط/ فبراير ١٩٧٣ وقتلت ٣١ شخصاً (غالبيتهم من المدنيين) بحسب مصادر السلطات اللبنانية ودمرت صفوف المدارس، العيادات، وغيرها من الأبنية ، فقد بررت اسرائيل الغارة على أن

”القصد منها هو إحباط عدد من الهجمات الارهابية المخططة ضد اسرائيليين ماوراء البحار”(١٠١). والنمط عادي، والتبريرات تقبل هنا على أنها شرعية وهي تعكس مرة أخرى موقع اسرائيل كدولة عميلة مفيدة وموقع ضحاياها ما دون الانساني.

وقد وقعت القضية الأخيرة التي ذكرت في نفس اليوم الذي أسقطت به اسرائيل طائرة مدنية ليبية ضلت طريقها في عاصفة رملية على بعد دقيقتي طيران من القاهرة، التي كانت متجهة إليها، وقتلت ١١٠ اشخاص. وقد أعربت الولايات المتحدة رسمياً عن تعاطفها مع العائلات المعنية، ولكن الناطق الصحفي ”امتنع عن مناقشة شعور الإدارة حول الحادث مع الصحفيين”. اسرائيل أنحت باللوم على الطيار الفرنسي، بينما التايمز أنجرت وراءها كما هو الواجب، وقبلت الادعاء الاسرائيلي بأن الطيار كان يعرف أنه أمر بالهبوط ولكنه بدلاً من ذلك لجأ إلى عمل مراوغ ”مشبوه جداً” ـ وهو التبرير الذي قدمه الاتحاد السوفياتي لاسقاط الطائرة الكورية (كال) ٠٠٧(١٠٢) ـ وبذلك كان العمل الاسرائيلي ”في أسوأ الأحوال عملاً من قساوة القلب، بحيث أنه حتى وحشية الأعمال العربية السابقة لا توفِّر له عذراً”.

ورد الفعل الرسمي الذي قدمته رئيسة الوزراء غولدا مئير كان: ”حكومة اسرائيل تعرب عن أسفها العميق على الخسارة في الأرواح البشرية وتأسف على أن الطيار الليبي(هكذا) لم يستجب للتحذيرات التي أعطيت له وفقاً للعرف الدولي”، بينما شمعون بيرس أضاف أن ”اسرائيل تصرفت وفقاًللقانون الدولي”. وقد ادعت اسرائيل زوراًأن الطيار لم يكن مرخصاً بقيادة الطيارة النفاثة.

وقد منعت الصحف من نشر صور للطائرة المدمرة، للقتلى والجرحى، وقد لاحظ عميرام كوهين في تحليل مفصل لرد الفعل الاسرائيلي (أجري

بعد فظاعة كال ٠٠٧) بأنه "لم يسمح للصحفيين بزيارة مستشفى بئر السبع واجراء مقابلات مع الناجين"، وكل ذلك جزء من جهود "حجب المعلومات". ورد الفعل الدولي نبذ من قبل الصحافة الاسرائيلية على أنه دليل آخر بأن "روح اللاسامية تزدهر" في اوروبا، وهذا بالفعل رد تلقائي، كما هو في الولايات المتحدة أيضاً، عندما يجرؤ شخص ما على ذكر أو انتقاد فظاعة اسرائيلية. والصحافة الاسرائيلية أصرّت على أن "اسرائيل ليست مسؤولة" وأن "اللوم يقع على الطيار (الفرنسي)". لقد كانت "صحافة معبّأة" حازمة في دعمها لعدالة العمل الاسرائيلي، كما يلاحظ كوهين. وبعد العديد من الأكاذيب، أكدت اسرائيل أنه كان هناك "خطأ في التقدير" ووافقت على دفع تعويضات طوعية لعائلات الضحايا "لاعتبارات انسانية" بينما ظلت تنفي أي "ذنب" أو مسؤولية اسرائيلية(١٠٣). وقد تمّ القفز بسرعة فوق الموضوع في الولايات المتحدة، بالقليل من النقد لمنفذي الجريمة، ووصلت رئيسة الحكومة غولدا مئير بعد أربعة أيام إلى الولايات المتحدة حيث أزعجتها بضعة اسئلة محرجة من الصحافة وعادت بهدايا جديدة من الطائرات العسكرية. وكما أشير إليه أعلاه، فرد الفعل كان مختلفاًنوعاًما عندما أسقط الروس طائرة كال ٠٠٧ في أيلول/ سبتمبر ١٩٨٣(١٠٤). ولكنه كان مماثلاً عندما ادعى أصدقاؤنا في يونيتا أنهم أسقطوا طائرتين مدنيتين في نفس الوقت، ولم يكن من الصعب تبين المعايير لـ "الارهاب الدولي".

إن سجل الارهاب الاسرائيلي يذهب بعيداً إلى الوراء إلى اصول الدولة ـ وفي الحقيقة، قبل ذلك بكثير ـ بما فيه ذبح ٢٥٠ مدنياًوالطرد الوحشي لـ ٧٠،٠٠٠ آخرين من اللد والرملة في تموز/ يوليو ١٩٤٨ ، وذبح مئات آخرين في قرية الدوايمة، التي لم تمتلك دفاعات، قرب الخليل في تشرين أول/ اكتوبر

١٩٤٨ في واحدة أخرى من "عمليات تفريغ الأرض" المتعددة التي نفذت بينما جهاز الدعاية العالمي كان يعلن، كما لا يزال يفعل، بأن العرب كانوا يهربون بناءً على نداء قادتهم؛ قتل عدة مئات من الفلسطينيين على أيدي جيش الدفاع الاسرائيلي بعد احتلال قطاع غزة في ١٩٥٦ ؛ المذابح في قبية، كفر قاسم، وسلسلة القرى الأخرى المغتالة؛ طرد آلاف البدو من المناطق المنزوعة السلاح بعد فترة وجيزة من حرب ١٩٤٨ وآلاف أخرى من شمال - شرق سيناء في بداية السبعينات، وتدمير قراهم، لفتح المنطقة أمام الاستيطان اليهودي، وهكذا، وهكذا. والضحايا، بالتعريف، هم "أنصار منظمة التحرير الفلسطينية"، وعليه فهم ارهابيون. وهكذا فالمحرر المحترم لصحيفة هارتس جيرشوم شوكن، يستطيع أن يكتب بأن اريئيل شارون "صنع لنفسه اسماً منذ بداية الخمسينات كمحارب قاس ضد أنصار منظمة التحرير الفلسطينية مشيراً إلى المذابح التي نفذها بالمدنيين في البريج وقبية في ١٩٥٣ (فترة طويلة قبل قيام منظمة التحرير الفلسطينية). والضحايا في لبنان وغيره هم أيضاً "ارهابيون" كما يجب أن يكون الحال، وإلاّ فما كان ممكناً أن يقتلوا على أيدي الدولة التي نذرت نفسها لـ "طهارة السلاح" والتي تلزم بـ "قانون أعلى" من قبل الصحافة الاميركية "المؤيدة للعرب".

وقادة الارهاب يجري تكريمهم، فعندما تسلم الارهابي الاميركي الأول في عصرنا الرئاسة عام ١٩٨١ ، كان رئيس حكومة اسرائيل ووزير خارجيتها كلاهما من قادة الارهابيين سيئي الصيت بينما المنصب الأعلى في الوكالة اليهودية يحتله رجل قتل عدة دزينات من المدنيين الذين احتجزهم تحت الحراسة في مسجد بلدة لبنانية خلال عملية أخرى من تفريغ الأرض في ١٩٤٨ ، ليجري الصفح عنه سريعاً، وتشطب من السجل كل آثار الجريمة، ويمنح شهادة محام على أساس أن "لا وصمة"

يمكن أن تلصق بفعلته(١٠٥).

وحتى الارهاب ضد الاميركيين يمكن تحمله تماماً. فالهجمات الاسرائيلية على المنشآت الاميركية (وأمكنة عامة، أيضاً) في مصر عام ١٩٥٤ في محاولة لمفاقمة العلاقات المصرية ـ الاميركية واحباط مفاوضات سلام سرية كانت تجري في حينه تم تجاهلها أنذاك وهي بالكاد تذكر، بما يشبه إلى حد كبير محاولة اغراق سفينة التجسس ليبرتي في المياه الدولية عام ١٩٦٧ بواسطة قاذفات اسرائيلية وزوارق طوربيدو، أطلقت النار على زوارق النجاة في الماء في محاولة لضمان ألاّ يفلت أحد. فقتل ٣٢ من الملاحين وجرح ١٧١ في أسوأ كارثة بحرية أميركية في زمن السلم في هذا القرن، ولكنها نبذت على أنها "غلطة" ـ وهو سخف شفاف ـ وبالكاد يعرف عنها شيء(١٠٦). وبشكل شبيه فإن تعذيب أميركيين على أيدي الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية وجنوب لبنان بالكاد يلحظ في وسائط الاعلام في حين يبرز النفي الاسرائيلي ويجري تجاهل تأكيدات السفير الاميركي في اسرائيل(١٠٧). وحقيقة أن الضحايا كانوا من الاميركيين العرب تبرر ذلك، بمعايير وسائط الاعلام.

وما يلفت النظر في هذا السجل، الذي يضم ارهاباًواسعاً ضد اليهود أيضاً منذ أيامه الأولى، هو أنه لا يلطخ بشكل من الأشكال شهرة اسرائيل الاميركية فيما يتعلق بالمعايير الأخلاقية التي لا تضاهي في التاريخ، وكل عمل ارهابي جديد، إذا لوحظ أصلاً، فسريعاً ما يُنبذ ويُنسى أو يوصف بأنه انحراف مؤقت عن الكمال، ويفسر عبر الطبيعة الشنيعة للعدو التي تجبر اسرائيل على أن تحيد، ولكن فقط للحظة، عن سبيلها من الاستقامة. وفي هذه الأثناء فوسائط الاعلام تشجب بالعادة على "ازدواجية المعايير" لأنها تتجاهل الجرائم العربية في حين تلزم اسرائيل بمعايير مستحيلة. وأساتذة

محترمون - وسمعتهم لا تشوبها شائبة من سخافات كهذه - يعلموننا برصانة أن "العديد من الشخصيات العامة في الغرب، وحتى عدد من الحكومات الغربية" (وبالطبع، دون تسمية) قد شجعت منظمة التحرير الفلسطينية على تدمير اسرائيل(١٠٨). وعبر الطيف السياسي في الولايات المتحدة وفي أوساط الطبقات المثقفة بتماثل ملحوظ فيما خلا استثناءات هامشية جداً، فالعقيدة التي لا يجري تحديها هي أن ارهاب الفلسطينيين وحلفائهم من العرب، الذي يحضهم عليه الكرملين، والتزامهم الذي لا يفتر بقتل اليهود وتدمير اسرائيل ورفضهم النظر في تسوية سياسية، هي الأسباب الجذرية للصراع العربي - الاسرائيلي الذي لا ينتهي والذي ضحيته اسرائيل التي تسحق الرأفة. وفيما يتعلق بالولايات المتحدة فهي تقف عاجزة أمام "سوط الارهاب الشرير" من أميركا الوسطى إلى لبنان فما بعد.

إن الحركة الوطنية اليهودية والدولة التي نشأت عنها لم تشقا أرضاً جديدة في سجلهما المثير للاعجاب من الفظائع الارهابية، فيما عدا الحصانة التي تتمتعان بها في الرأي الغربي المستنير. وبالنسبة إلى الاميركيين، يكفي تذكر "أن ادولف هتلر اختار أن يمدح الولايات المتحدة.. على "حل مشكلة" الأجناس المحلية(١٠٩)، كما يفعل بعض أولئك الذين يعيشون وفق قانون هتلر في اميركا الوسطى اليوم، بدعم من الولايات المتحدة. ولكن التعليق الحديث العهد على "الارهاب" في "البلدان المتحضرة" يفوح بالرياء، ويمكنه فقط أن يكون موضع احتقار بين الناس المحترمين.

هوامش الفصل الثاني

- ١ - نيويورك تايمز ١٧ ١٨ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٥.

- ٢ - هارتس ٢٢ آذار/مارس ١٩٨٥ "المثلث المصيري" ٥٤ ، ٧٥ ، ٢٠٢.

- ٣ - يوسي بيلين، "ثمن الوحدة" (تل أبيب، ١٩٨٥) ١٤٧ غازيب، "العصى والجزرة" (تل أبيب - ١٩٨٥) كما اقتبس في عال همشمار، ٧ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٥ "نحو حرب باردة جديدة" ٢٦٧ - ٨.

- ٤ - عندما أشير إلى ريغان، فبالطبع أنا لا أتكلم عن الشخصية الرمزية التي تحتل المركز وإنما إلى صانعي السياسة ورجال الدعاية في الإدارة.

- ٥ - يديعوت احرونوت ١٥ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٥.

- ٦ - زئيف شيف ، هآرتس ٨ شباط/ فبراير ١٩٨٥ انظر "المثلث المصيري" لشهادات من المشاركين لم يرد ذكرها في الولايات المتحدة، ولنفي الحقائق من قبل المنافحين عن الارهاب الاسرائيلي على أرضية أن وسائط الاعلام معادية للاسامية وأنها "مؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية" بينما "العرب يبالغون" ولا "مسؤولية تقع على الكذب" في "الثقافة العربية" (مارتن بيريز، النظرة الثاقبة للأخير في نيوريبلك ٢٩ آب/ اغسطس ١٩٥٣).

- ٧ - انظر حاشية ٤٨ أدناه.

- ٨ - غودفري جانسين، ميدل ايست انترناشيونال، ١١ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٥ يقتبس لوس انجلوس تايمز، ٣٠ تشرين أول/ اكتوبر.

- ٩ - تنشر في اجينست ذي كرنت، كانون ثاني/ يناير ١٩٨٦.

- ١٠ - راجع "المثلث المصيري" ١٢٧ ١٧٦.

- ١١ - بيرنارد غفير تسمان، نيويورك تايمز، ٢ ، ٧ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٥.

- ١٢ - بيفرلي بييت، لوس أنجلوس تايمز، تقرير عن المؤتمر الدولي حول الارهاب، لوس

انجلوس تايمز ٩ نيسان/ ابريل ١٩٨٦.

- ١٣ - ادوارد شوماخر، نيويورك تايمز، ٢٢ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٥.

- ١٤ - نيوريببلك ٢١ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٥ ٢٠ كانون ثاني/ يناير ١٩٨٦ اسوسييتد برس، ٤ نيسان/ ابريل ١٩٨٦.

- ١٥ - روبرت ماكفادين، "الارهاب في ١٩٨٥ ، هجمات وحشية، ردود قاسية"، نيويورك تايمز ٣٠ كانون أول/ ديسبمر ١٩٨٥.

- ١٦ - يونايتد برس انترناشيونال، لوس انجلوس تايمز، ٢٨ كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٥ ماكفادين، المصدر السابق ذكره؛ ديرشوفيتز، نيويورك تايمز ١٧ تشرين أول / اكتوبر ١٩٨٥؛ الكسندر كوكيرن ، نيشن ٢ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٥؛ الملاحظة الوحيدة عن الرياء المخجل.

- ١٧ - روس جيلبسبان، بوسطن غلوب ١٦ كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٥ ، وعن فظائع الكونترا، انظر التقارير العادية في "اميركاز واتشن" والعديد من التحقيقات الدقيقة والمفصلة، بينها، تقرير دونالد ت. فوكس، أستاذ وفارس، مايكل ج. غلينون لمجموعة حقوق الانسان القانونية الدولية ولمكتب واشنطن لشؤون اميركا اللاتينية، نيسان/ ابريل ١٩٨٥ وهما يستشهدان بأقوال موظف رفيع المستوى في وزارة الخارجية يصف موقف الولايات المتحدة على أنه "جهل متعمد". والسجل الطويل والمرعب يجري اهماله عامة في وسائط الاعلام وغيرها وحتى ينفى بشكل صريح (دون أي تظاهر بوجود دلائل) من قبل بعض المنافحين المتطرفين عن الفظائع الغربية، مثل، روبرت كونكوست، "صبُّ الدعاية بكثافة"، ديلي تلغراف (لندن) ١٩ نيسان/ ابريل ١٩٨٦ ، الذي يؤكد لنا أن اتهامات اوكسفام وغيرها ليست زائفة فحسب وإنما "سخيفة". انظر كذلك جاري مور، "ناشنال انترست" صيف ١٩٨٦ برسالة مماثلة؛ أو جين كيركباتريك (بوسطن غلوب، ١٦ آذار/ مارس ١٩٨٦)، التي تخبرنا أن "للكونترا سجل من العمل الشاق لتحاشي إيذاء المدنيين. لم يفعلوا شيئاً يمكن مقارنته مع الوحشية المنتظمة التي تصبها حكومة السندينستا على معارضيها وخصومها؛ وأكاذيب مماثلة ومنافحات عن الفظائع السوفياتية لم يمكن تحملها للحظة في وسائط الاعلام. انظر كذلك حاشية ٤٤ والاجراء العادي ليس نفي بل تجاهل الفظائع التي يقترفها وكلاء الغرب أو عملاؤه. ومن أجل

ترويج هزلي يمكن التحول إلى ما تنتجه صناعة كبيرة مكرسة لفبركة الادعاءات بأن منتقدي العنف الاميركي يرفضون أو يتجاهلون تقارير عن فظائع الاعداء الرسميين، ومن أجل بعض الأمثلة بما فيها أكاذيب صارخة انظر "الاقتصاد السياسي لحقوق الانسان"، مجلد ٢ مقالتي "عقد من ابادة الجنس في مراجعة" انسايد ايشيا، (لندن) شباط - آذار/ فبراير - مارس ١٩٨٥ و "رؤى الاستقامة" كلتشرال كريتيك، ربيع ١٩٨٦ ؛ كرستوفر هيتشنز، "الكورس وكاساندرا"، غراند ستريت، خريف ١٩٨٥.

- ١٨ - نيويورك تايمز، ٢٩ حزيران/ يونيو ١٩٨٥.

- ١٩ - وفي اسرائيل، بعد تسلمه السلطة، ازداد استعمال التعذيب في السجون، التوقيف الإداري، الطرد انتهاكاً للقانون الدولي، اخلاء المنازل وختمها بالشمع الأحمر، وهي ممارسات كانت شائعة في ظل حكومة العمل السابقة التي كانت تحظى باطراء كبير من قبل الرأي العام اليساري الليبرالي في اميركا، ولكنها قلصت أو علقت تحت حكومة بيغن. داني روبنشتاين، دافار، ٤ شباط/ فبراير ١٩٨٦؛ ايتاي رونيل، عال همشمار، ١١ حزيران/يونيو ١٩٨٦ . وعن التعذيب انظر هآرتس ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٨٦ ، وغادة أبو جابر، ١٩٨٥ - سياسة التعذيب تتجدد، مركز المعلومات البديلة، القدس، شباط/ فبراير ١٩٨٦؛ كوتيرت راشيت ٧ آيار/ ١٩٨٦ . انظر أيضاً منظمة العفو الدولية "أوامر اعتقال المدن في اسرائيل والمناطق المحتلة" ٢ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٤.

- ٢٠ - كيرتس ويلكي، بوسطن غلوب ١٠ آذار/ مارس؛ جولي فلنت، الغارديان (لندن) ١٣ آذار/ مارس؛ جيم ميور، ميدل ايست انترناشنال، ٢٢ آذار/ مارس، برايندل، نيويورك تايمز (افتتاحية) ٢٨ آذار/ مارس؛ نورا بستاني، واشنطن بوست ١٢ آذار/ مارس ١٩٨٥ . صورة عن رسوم الحائط تظهر في كتاب جوزيف شيخيا، "القبضة الحديدية" (أي دي سي. واشنطن، ١٩٨٥).

- ٢١ - الغارديان (لندن) ٢؛ ٦ آذار/مارس ١٩٨٥.

- ٢٢ - ايليا، جيروزالم بوست، ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٨٥؛ ماغنوس لنكليتر، ايزابيل هيلتون ونيل اشرسون، "الرايخ الرابع" (هودر اندستوتون، لندن، ١٩٨٤ ١١١)، دير شبيغل ٢١ نيسان/ ابريل ١٩٨٦ (انظر فصل ٣)؛ نيويورك تايمز، ١٣ آذار/ مارس ١٩٨٥ .

ـ ٢٣ ـ احسان حجازي، نيويورك تايمز، ١ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٦ ، ويلاحظ حجازي أن التقارير الواردة من اسرائيل مختلفة.

ـ ٢٤ ـ كريستشان ساينس مونيتور، ٣٠ كانون ثاني/ يناير ١٩٨٦ .

ـ ٢٥ ـ لفحص دقيق لهذه المسألة، انظر "المثلث المصيري" اوقارن، على سبيل المثال، ما ورد في نيوزويك مع ما يصفه رئيس الإدارة توني كلفتون في كتابه "صرخ الله" (كلفتون وكاثرين ليروي، رباعية ١٩٨٣)، نشر في لندن. أو راجع "مذكراتي من الحرب" للعقيد دوف يرميا، أحد مؤسسي الجيش الاسرائيلي، نشر انتهاكاً للرقابة في اسرائيل (انظر "المثلث المصيري" لمقتطفات كثيرة) ولاحقاً بترجمة انجليزية (سوث اند، ١٩٨٣)، لكنه تمَّ تجاهله بالمرة من قبل وسائط الاعلام، مع أنه من الواضح أنه عمل ذو أهمية كبيرة، وهناك أمثلة متعددة أخرى.

ـ ٢٦ ـ لاندروم بولنغ، محرر "مراسلون تحت النار" (وستفيو ١٩٨٥) ويتضمن على سبيل المثال، نقداً لوسائط الاعلام من قبل عصبة الدفاع ضد التشهير، بني بريت واتهامات أخرى بالكاد ترقى إلى مستوى السخافة (انظر "المثلث المصيري" من أجل تحليل لهذه الوثائق) ولكن ليس الدراسة التي أعدتها الجمعية العربية ـ الاميركية ضد التمييز والتي تقدم أدلة على "انحياز دائم لاسرائيل" في التغطية الصحفية للحرب.

ـ ٢٧ ـ كيفنر، نيويورك تايمز، ١٠ آذار/ مارس ، ميور، ميدل ايست انترناشنال ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٨٥؛ ماري كيرتس، كريستشان ساينس مونيتور، ٢٢ آذار/ مارس؛ جيم يامين، كريستشان ساينس مونيتور ٢٥ نيسان/ابريل، يامين مقابلة مع تقرير ميريب حزيران/ يونيو ١٩٨٥ ، ديفيد هيرست ، الغارديان (لندن)، ٢ نِيسان /ابريل ، روبرت فيسك، التايمز (لندن)٢٦ ٢٧ نيسان/ ابريل، فيلادلفيا انكوايرر، ٢٨ نيسان/ ابريل ١٩٨٥ . وعن محاولات اسرائيل لاذكاء الصراع في منطقة الشوف منذ أواسط ١٩٨٢ انظر "المثلث المصيري"، ٤١٨ فما بعد.

ـ ٢٨ ـ ميدل ايست انترناشنال ٢٢ آذار/ مارس ١٩٨٥ .

ـ ٢٩ ـ يونايتد برس انترناشنال، بوسطن غلوب، ٢٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٤ . اولمرت، مقابلة عال همشمار، ٢٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٤؛ هيرش غودمان، جيروزالم بوست، ١٠ شباط/ فبراير ١٩٨٤؛ ويزلتاير، نيوريبيلك ٨ نيسان/ابريل ١٩٨٥ .

ـ ٣٠ ـ دون اوبردورفير، "عقل جورج شولتس" دبليو بي ويكلي، ١٧ شباط/ فبراير ١٩٨٦؛ روبين نيوريببلك، ٢ حزيران/ يونيو ١٩٨٦؛ توماس فريدمان، نيويورك تايمز، ١٦ شباط/ فبراير ١٩٨٦ ، ضمن تقارير أخرى كثيرة. ومثل ويزلتاير، روبن يؤكد أن هذا "الارهاب" الذي ترعاه سوريا "ليس صرخة من الغضب ضد فشل الغرب في متابعة السلام وإنما محاولة لقطع الطريق على الدبلوماسية بالمرة"، لأن "أي حل يمكن تصوره تقريباً هو بمثابة لعنة بالنسبة إلى الحكومة السورية: يعرف روبين أن سوريا دعمت الحلول الدبلوماسية القريبة من الاجماع الدولي، ولكونها بعيدة عن الرفض الاميركي، فهذه الحلول لا يمكن "تصورها" وهي لا تحسب "خيارات دبلوماسية"، انظر الفصل الأول.

ـ ٣١ ـ لوس انجلس تايمز، ١٨ تشرين اول/ اكتوبر ١٩٨٥ .

ـ ٣٢ نيويورك تايمز، ١٨ تشرين أول اكتوبر ١٩٨٥ .

ـ ٣٣ ـ رئيف شيف "ارهاب رابين ويبري" ، هآرتس ، ٨ آذار/ مارس ١٩٨٥ ، وكذلك الجنرال اوري اور، قائد المنطقة الشمالية في جيش الدفاع الاسرائيلي، اذاعه الجيش الاسرائيلي؛ ف بي اي سي، ١٥ نيسان/ ابريل ١٩٨٥.

ـ ٣٤ ـ غيرشوم شوكن، محرر هآرتس، فورن افيرز، خريف ١٩٨٤.

ـ ٣٥ ـ شمعون بيرس، نيويورك تايمز، ٨ تموز/ يوليو ١٩٨٣ ، حول فظائع الخيام، انظر "نحو حرب باردة جديدة"، ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ، "المثلث المصيري"، ١٩١؛ يورام همزراحي، دافار، ٧ حزيران/ يونيو ١٩٨٤ ، وتقارير صحفية اقتبست في نشرة الجبهة الديمقراطية "محاولة لاغتيال شعب في لبنان" : ١٩٨٢ (تل أبيب، ١٩٨٣). وحول النبطية، انظر "المثلث المصيري"، ٧٠ ، ١٨٧ .

ـ ٣٦ ـ جيم ميور، سنداي تايمز (لندن)، ١٤ نيسان/ابريل ١٩٨٥ ؛ كريستشان سانس مونيتور، ١٥ نيسان/ابريل ١٩٨٥ ؛ يوئيل غرينبرغ، كريستشان ساينس مونيتور، ٣٠ كانون ثاني/ يناير ١٩٨٦ ؛ سونيا دايان، بول كيسلر وجيرود دي براديللي، لاموند دبلوماتيك، نيسان ابريل ١٩٨٦ ؛ مناحم هوروفتس، هارتس، ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٨٦ ، يلحظ استثناء الصليب الأحمر، التعذيب الخ، ويلاحظ أن اسرائيل قد تعلمت "درس انصار"، معسكر الاعتقال (انظر أدناه) الذي أداره جيش الدفاع الاسرائيلي، والان يسمح لمرتزقته من جيش لبنان الجنوبي بادارة غرفة التعذيب في الخيام لتغيير وجهة

الانتقاد. تقارير واسعة عن التعذيب من سجناء سابقين، يجري تجاهلها في الغرب تظهر في انفورميشن بوليتن، ٢١ ، ١٩٨٥ ، المركز الدولي للمعلومات عن السجناء الفلسطينيين واللبنانيين، المبعدين، والأشخاص المفقودين، باريس. ويستشهد بهذه الأدلة، بول كيسلر (من كوليج دي فرانس، المؤسس المشارك لجمعية الأطباء الفرنسيين من أجل اليهود السوفييت) يلاحظ أن غالبية السجناء" قد أخذوا كمشبوهين خلال عمليات التفتيش أو كانوا قرويين جرى اعتقالهم لرفضهم التعاون مع قوة الاحتلال، وبشكل خاص، لأنهم رفضوا الالتحاق بـ "ميليشيا جيش لبنان الجنوبي" الذي تقوده اسرائيل؛ لا أحد منهم حوكم وأدين، ولذلك فبعضهم قد اعتقل لأكثر من سنة. الخيام هو المركز الرئيسي، ولكن ليس الوحيد. وهو يورد تقارير عن تعذيب منتظم على أيدي حراس جيش لبنان الجنوبي، الذين يعملون في السجن "بتوجيه من ضباط اسرائيليين" (اسرائيل وفلسطين (باريس) تموز/ يوليو ١٩٨٦).

- ٣٧ - بيني موريس وديفيد بيرنشتاين، جيروزالم بوست، ٣٢ تموز/ يوليو ١٩٨٢ ؛ ولمقارنة قام بها صحفيون اسرائيليون بين الحياة تحت سلطة منظمة التحرير الفلسطينية وحلفاء اسرائيل المسيحيين في لبنان، صورة تختلف تماماً عن العقيدة المصدق عليها هنا، انظر "المثلث المصيري"، ١٨٦ فما بعد. ومن الأهمية بشكل خاص التقرير من لبنان الذي يقدمه الصحفي الاسرائيلي عطا الله منصور، الذي هو من أصل ماروني.

- ٣٨ - الايكونومست، ١٩ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٧٧ .

- ٣٩ - جون كولي، في كتاب ادوارد هالي ولويس سنايدر (محررين)، "لبنان في أزمة" (سيراكيوز، ١٩٧٩). وانظر "نحو حرب باردة جديدة" ٣٢١ ؛ "المثلث المصيري"، ٧٠ ، ٨٤ .

- ٤٠ - ادوارد هالي، "القذافي والولايات المتحدة منذ ١٩٦٩" (بريغر، ١٩٨٤)، ٧٤ .

- ٤١ - جيمس مرخام، نيويورك تايمز، ٤ كانون أول/ ديسمبر ١٩٧٥ .

- ٤٢ - اسوشييتد برس، نيويورك تايمز، ٢١ شباط/فبراير، جولي فلنت، الغارديان (لندن) ٢٤ شباط/ فبراير؛ احسان حجازي، نيويورك تايمز، ٢٨ شباط/ فبراير؛ اسوشيتيد برس، ٢٠ شباط/فبراير ١٩٨٦ . والتقرير المفصل الوحيد في الولايات المتحدة، حسب معرفتي، هو تقرير نورا بستاني، واشنطن بوست، ١ آذار/ مارس مع أن دور جيش الدفاع

الاسرائيلي قد حذف بشكل كبير، ربما على أيدي المحررين، لأن المراسلين على الساحة كانوا يعرفون جيداً ماذا كان يجري - بما في ذلك قتل القرويين الهاربين بواسطة طائرات هيلوكبتر مقاتلة، بالضرب أو التعذيب بحضور ضباط اسرائيليين، الخ، كما أشار بعضهم بشكل خاص. هناك قليل من الشك في أن التقارير اعيدت كتابتها في المكاتب المركزية من أجل حذف أي ذكر لجيش الدفاع الاسرائيلي.

- ٤٣ - احسان حجازي، نيويورك تايمز، ٢٥ آذار/ مارس؛ دان فيشر، لوس انجلس تايمز، ٢٨ آذار/ مارس؛ اسوشيتيد برس، ٧ نيسان/ ابريل؛ حجازي، نيويورك تايمز، ٨ نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

- ٤٤ - انظر، على سبيل المثال، روبرت س. لايكن، "من يقول أن الكونترا لا تستطيع تحقيق النجاح؟"، واشنطن بوست، ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٨٦ - الذي ينبذ دون جدال السجل الطويل للفظائع التي قام بها الارهابيون الذين يدعمهم بالاسلوب المنافح المعتاد (انظر حاشية ١٧)، وبالثرثرة الماوية حول جيوش الفلاحين والصراع الأميركي - السوفياتي المعروفة في كتاباته، انظر مقالتي في والكر، مصدر سابق، ومورلي وبتراس، مصدر سابق، والفصل الثالث، حاشية ٣ .

- ٤٥ - بيرس، نيويورك تايمز، ٨ تموز/ يوليو ١٩٨٣ ؛ برايندل، مصدر سابق؛ نيويورك تايمز، ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٨٣ ، ٣حزيران/يونيو ١٩٨٥ ؛ كام، نيويورك تايمز، ٢٦ نيسان/ابريل ١٩٨٥ ؛ فريدمان، نيويورك تايمز، ٩ كانون ثاني/ يناير، ٢٠ شباط/ فبراير، ١٨ شباط/ فبراير ١٩٨٥ ؛ بريجنسكي، نيويورك تايمز، ٩ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٣ ؛ ريغان، مؤتمران صحفيان، نيويورك تايمز، ٢٩ آذار/ مارس ١٩٨٤ ، ٢٨ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٣ . انظر أيضاً ملاحظات الحاخام الكسندر شندلر، رئيس اتحاد الطوائف العبرية الأميركية (تجديدي): منظمة التحرير "هددت بتدمير ما تبقى من بيروت بدلاً من أن تستسلم"؛ وارسال جنود البحرية للاشراف على مغادرتهم بدلاً من السماح لاسرائيل باكمال المهمة كان "بالتأكيد المهمة الأكثر اذلالاً التي عهدت إلى جنود البحرية (يونايتد برس انترناشيال، بوسطن غلوب، ٢٨ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٤). هذه التوضيحات المثيرة للفضول من الدين في خدمة عنف الدولة حذفت من تقرير التايمز لذلك اليوم.

- ٤٦ - نيويورك تايمز، ٧ حزيران/ يوليو ١٩٨٣ .

ـ ٤٧ ـ كوانت، أميركان ـ ارب افيرز ١٩٨٥ ؛ هيلل شنكر، مقابلة مع ديفيد شبلر، نيواوت لوك (تل أبيب) أيار/ مايو ١٩٨٤ .

ـ ٤٨ ـ حزب العمل المعارض أيّد الحرب، جزئياً لأن استطلاعات الرأي أشارت إلى أن ٩٨٪ من أنصار الليكود و ٩١٪ من أنصار العمل اعتبروها مبررة. وعندما انتهت الحرب بقصف مريع لبيروت في منتصف آب/ أغسطس، وصل الدعم لبيغن وشارون إلى ذروته وسجل ٨٢٪ للأول و ٧٨٪ للثاني، ثم انخفض إلى ٧٢٪ و٦٤٪ على التوالي، بعد مجزرة صبرا وشاتيلا. انظر "المثلث المصيري" ٢٥١ ـ ٢٦٢ ، ٣٩٤ ؛ ٣٧٨ فما بعد.

ـ ٤٩ ـ فيليب وايس، نيوريببلك، ١٠ شباط/ فبراير ١٩٨٦ .

ـ ٥٠ ـ زئيف شيف وايهود يعري، "حرب اسرائيل في لبنان" (سيمون وشوستر، ١٩٨٤ ، ٣٥ ؛ جون كيفنر، نيويورك تايمز ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٨١ شيف ويعري يدعيان أنه "رغم الجهود المضنية التي بذلت لتحديد الأهداف بدقة وتحقيق اصابات مباشرة، أكثر من مائة شخص قتلوا بمن فيهم ٣٠ "ارهابياً" وكتاب شيف ويعري هو ترجمة لأجزاء من الأصل العبري، الذي بحسب يعري حذف منه حوالي ٢٠٪ على يد المراقب الاسرائيلي (كل هير ٢ شباط/ فبراير ١٩٨٤)، وحوالي ٥٠٪ بحسب الأستاذ الأميركي اوغسطوس نورتون، الذي استشهد بـ "مراسل محترم ـ لا علاقة له بالمؤلفين" (ميدل ايست جورنال، صيف ١٩٨٥). الرقابة في نيكاراغوا التي يهاجمها الجيش الوكيل للولايات المتحدة، تثير الغضب الكبير في الولايات المتحدة. والرقابة الأشد صرامة في اسرائيل، بالطبع، موجهة ضد العرب بمن فيهم مواطنواسرائيل، انظر "المثلث المصيري" ١٣٩ فما بعد "جزر المدّ" ٧٣ فما بعد، ومقالتي في والكر، مصدر سابق، كانموذج صغير.

ـ ٥١ ـ والش، واشنطن بوست ويكلي، ٤ آذار/ مارس ١٩٨٥؛ ويلكي، بوسطن غلوب، ١٨ شباط/فبراير ١٩٨٥ .

ـ ٥٢ ـ "المثلث المصيري"، ٤٤٨ ، ٤٤٠ ، يستشهد بالصحافة الاسرائيلية؛ اخبار من الداخل (تل أبيب) ١ تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٥؛ يديعوت احرونوت، ٤ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٣.

ـ ٥٣ ـ هآرتس، ٢٥ حزيران/ يونيو ١٩٨٢؛ انظر "المثلث المصيري" ٢٠٠ فما بعد، لمزيد من المقتضيات والتحليل المماثل من معلقين اسرائيليين.

- ٥٤ - ب. ميخائيل، هآرتس، ١٣ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٣؛ باشار، يديعوت احرونوت، ١١ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٣؛ موريس، جيروزالم بوست، ٥ حزيران/ تموز ١٩٨٤ .

- ٥٥ - نيوريبلك، المستنفرة على الدوام للدفاع عن اسرائيل من "رجال الصحافة الكثيرين" الذين هم مستعدون لتصديق أيٍّ شيء تقريباً ينعكس سلباً على الدولة اليهودية (وبشكل ملازم تقريباً اي شيء ينعكس ايجاباً على أعدائها) شجبت الواشنطن بوست لأنها "تواطأت في احدى الافتراءات الضخمة" عندما لاحظت أن شارون حاول اقامة ما أسماه "النظام الجديد، (تعبير هتلر)" في لبنان (مارتن بيرتس، نيوريبلك، ٨ آذار/ مارس ١٩٨٥؛ نيوريبلك ١٩ آذار/ مارس ١٩٨٤). التعبير كان لهتلر، وشارون استعمله كما تفعل ذلك التعليقات الاسرائيلية بشكل عام. وقبل شهر واحد من شجب البوست لأنها أعلنت الحقائق بدقة، كان العنوان الرئيسي في الصحيفة اليمينية واسعة الانتشار في اسرائيل يديعوت احرونوت كالتالي: "شارون أعلن مقدماً خطته من أجل "نظام جديد"؛ مستشهدة بالسفير الاميركي موريس دريبر الذي اقتطف أقوال شارون في اجتماع مغلق للاتحاد اليهودي في لوس انجيلوس (٢٣ شباط/ فبراير ١٩٨٤) . والاستعمال عرفي؛ انظر "المثلث المصيري" من أجل أمثلة أخرى، ومن أجل حالات أخرى حيث نيوريبلك تتحاشى بدقة المصادر الاسرائيلية في محاولاتها لإحتواء أي انحراف عن خط الحزب (مثل ٢١٥ فما بعد، ٢٥٨ فمابعد.

- ٥٦ - اولمرت، معاريف، ٢٢ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٣ ، ميلسون، كوتيرت راشيت، ٩ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٣؛ شارون، استشهد به زئيف شيف، هارتس ٢٣ آيار/مايو ١٩٨٢ ميلشتاين، حداشوت ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٤ روبنشتاين، هاعولام هازيه، ٨ حزيران/يونيو ١٩٨٣ وعن تطلعات بن غوريون قبل قيام الدولة وبعده، انظر "المثلث المصيري" ٥١ ، ١٦٠ فما بعد؛ شيتاي طيفت "بن غوريون والعرب الفلسطينيون" (اكسفورد، ١٩٨٥) ومراجعة بيني موريس، جيروزالم بوست، ١١ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٥ .

- ٥٧ - "المثلث المصيري" يستشهد بمقابلة في هآرتس، ٤ حزيران/ يونيو ١٩٨٢؛ "المثلث المصيري" ١١٧ ، ٢٦٣ .

ـ ٥٨ ـ نوفيل اوبزرفاتور، ٤ آيار/ مايو، الاوبزرفر (لندن) ٢٩ نيسان/ ابريل، جيروزالم بوست، ١٦ آيار/مايو، سان فرانسيسكو اكزامنر، ٥ آيار/مايو واشنطن بوست، ٨ اموز/ يوليو، ١٩٨٤ . انظر كتابي "صناعة التوافق" كانون أول/ديسمبر ١٩٨٤ ، كميونتي تشرش بوسطن، وكذلك "الولايات المتحدة والشرق الأوسط" ، اند بيبرز (المملكة المتحدة)، صيف ١٩٨٥ ، لمزيد من التفاصيل، وعن تصميم اسرائيل السابق للتملص من تسوية سياسية، بدعم اميركي منتظم. انظر "المثلث المصيري" ويلن، مصدر سابق، ومواد شيفية حرِّرت مؤخراً في اسرائيل توضح أن القصة تعود إلى ما قبل سنين كثيرة. وعن نجاحات نيويورك تايمز في خلق تاريخ ملائم، في هذه المجالات وغيرها، انظر الفصل الأول ومقالتي "كل الأخبار التي تلائم" يوتي ان اي ريدر، شباط/آذار- فبراير/ مارس ١٩٨٦ .

ـ ٥٩ ـ هآرتس ، ٢٩ أيلول/سبتمبر ١٩٥٨ (استشهاد امنون كابليوك، لاموند دبلوماتيك، تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٨٥)؛ كوتيرث راشيت، ٩ تشرين أول/ أكتوبر ١٩٨٥ .

ـ ٦٠ ـ جولي فلنت، مانشستر غارديان ويكلي، ١٩ كانون ثاني/يناير ١٩٨٦ .

ـ ٦١ ـ البوست لا تصف هذا "العمل الارهابي" الذي نفذه "القائد الارهابي" مناحم بيغن.

ـ ٦٢ ـ كريستيان وليامز، بوب وود وورد وريتشارد هاروود "من هم أولئك"؟ واشنطن بوست، ١٠ شباط/فبراير ١٩٨٤؛ افتتاحية في نيويورك تايمز، ١٩ آيار/مايو ١٩٧٦ . وعن الواقع الذي يكتم عادة هنا، انظر "نحو حرب باردة جديدة"، "المثلث المصيري" وسلوك بعض منظمات "حقوق الانسان" بهذا الصدد جدير بالملاحظة، وهكذا ولضمان الاَّ تحصل على معلومات غير سارة، فإن العصبة الدولية لحقوق الانسان علقت عمل فرعها في اسرائيل على أرضية أن حزب العمل الحاكم قد حاول تدميره عبر اجراءات فظة أوقفتها المحاكم الاسرائيلية؛ انظر كتابي "سلام في الشرق الأوسط؟" "(بانثيون، ١٩٧٤ ، ١٩٦ ـ ١٩٧) "المثلث المصيري" ١٤٢ ، ١٧٨ ، والمراجع المذكورة. مثل هذا السلوك لأية دولة أخرى سينظر إليه بغضب كامل، ولكنه لا يؤثر على سمعة العصبة الدولية. وبشكل مثيل، مجلة المعلومات عن حقوق الانسان هيومان

رايتس انترنت، التي تقدم بدون تعليق تقارير عن الدعاوي بانتهاك حقوق الانسان، تسمح لعصبة مكافحة التشهير (أنتي ديفاميشن ليج) بالرد على اتهامات تتعلق باسرائيل، وهي ممارسة تستثني أية دولة أخرى، وهكذا فالحزب الشيوعي، الذي يملك من أوراق الاعتماد الداخلية ما يوازي عصبة مكافحة التشهير كمنظمة لحقوق الانسان لا يعطي مساحة للرد، على اتهامات ضد الاتحاد السوفياتي وبالطبع بحق.

ـ ٦٣ ـ نيواوت لوك، تل أبيب. تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٥؛ دافار ١٨ تموز/ يوليو ١٩٨٥ . المؤرخ العسكري اوري ميلشتاين يكتب أنه على العكس من التقارير المتعارفة، اسرائيل بادرت إلى الصراع الذي أدّى إلى "حرب الاستنزاف" عبر اطلاق قذائف الدبابات على المواقع المصرية، وقتلت دزينات من الجنود، مونتين آب/ اغسطس ١٩٨٤

ـ ٦٤ ـ توماس فريدمان، نيويورك تايمز، ٣١ كانون ثاني/ يناير ١٩٨٦ .

ـ ٦٥ ـ هيرست م.جي دبليو (مجلة الغارديان الأسبوعية) ٢٠ نيسان/ابريل ١٩٨٦؛ هاركابي، استشهد به امنون كابليوك ، لوموند دبلوماتيك، شباط/فبراير ١٩٨٦ .

ـ ٦٦ ـ ادعت منظمة التحرير الفلسطينية أن الاسرائيليين القتلى الثلاثة كانوا منخرطين في هذه العمليات وهو اتهام غير معقول إلى حد كبير كما يعلق الصحفي الاسرائيلي دافيد شاحام (جون بولوك، "ضحايا منظمة التحرير كانوا عملاء للموساد"، ديلي تلغراف (لندن)، ٣ تشرين اول/اكتوبر ١٩٨٥؛ شاحام، الفجر، ٢٩ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٥ .

ـ ٦٧ ـ هآرتس، ١٢ حزيران/ يونيو ١٩٨٦ . التقرير لا يشير إلى أن المحاكمة حصلت.

ـ ٦٨ ـ "المثلث المصيري"، ٧٧ ، ديفيد شيبلر، نيويورك تايمز، ٢٥ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٨٣ ، نيويورك تايمز، ٢٦ كانون ثاني/ يناير ١٩٨٤ ، الفقرة الأخيرة.

ـ ٦٩ ـ نيويورك تايمز، ٣٠ حزيران/يونيو، ١ تموز/يوليو؛ بوسطن غلوب، تموز/يوليو ١ ، ٢٤ ، ١٢؛ ميدل ايست ريبورت (بيروت)، ٣٠ حزيران/يونيو؛ اوبزيرفر (لندن)، ١ تموز/يوليو، جانس ، ميدل ايست انترناشنال، ١٣ تموز/يوليو ١٩٨٤ .

ـ ٧٠ ـ توماس فريدمان، نيويورك تايمز، ٥ شباط/فبراير؛ الولايات المتحدة "امتنعت عن اصدار حكم عن العمل الاسرائيلي" (نيويورك تايمز، ٥ شباط/فبراير)؛ وكذلك نورمان

كمبستر، لوس انجلس تايمز، ٥ شباط/فبراير ١٩٨٦ .

- ٧١ - أنباء من الداخل (القدس). ١ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٨٥ .

- ٧٢ - لوس انجلس تايمز - بوسطن غلوب، ٢٩ حزيران/يونيو ١٩٨٤ . وعن القمع القاسي في الجولان، انظر "المثلث المصيري" ١٣٢ فما بعد.

- ٧٣ - انظر اوري ميلشتاين، مونيتين آب/اغسطس ١٩٨٤ ، من أجل تقرير حديث.

- ٧٤ - انظر المقدمة، ص ٣ .

- ٧٥ - "المثلث المصيري"، ١٨٨ فما بعد .

- ٧٦ - مذكرات رابين، ٢٨٠ - ١ .

- ٧٧ - نيويورك تايمز، ١٢ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٥ . في هذه الأثناء التايمز تشجب ايران "التي لم تطرد إلى الآن أو تعاقب أولئك الذين اختطفوا الطائرة الكويتية وقتلوا اميركيين في كانون أول/ديسمبر ١٩٨٤"، وتطالب بأن يقاطع الغرب ليبيا إذا استمر القذافي "بإيواء المختطفين"، افتتاحية نيويورك تايمز، ١٤ آيار/مايو ١٩٨٦ وإلى الآن لم تقل شيئاً مثيلاً، أو اي شيء، عن أولئك الذين يؤوون خاطفي الطيارة السوفياتية، أو عن السجل الطويل من الاختطاف والقرصنة اللذين ينفذهما عملاؤنا الاسرائيليون.

- ٧٨ - ابراهام سوفير، فورين افيرز، صيف ١٩٨٦.

- ٧٩ - ليفيا روكاح، "الارهاب الاسرائيلي المقدس"، دراسة قائمة على مذكرات موشيه شاريت الشخصية (جمعية الخريجين الجامعيين العرب الاميركيين (اي. اي. يو. جي.) ١٩٨٠؛ ٢٠ فما بعد؛ ستون دقيقة سي. بي. اس، السابعة مساءً ١٩ كانون ثاني/يناير ١٩٨٦ .

- ٨٠ - سوني بيرسون، "الوساطة والاغتيال" (لندن، ١٩٧٩)؛ ميخائيل بار - زوهار، "بن غوريون: سيرة شخصية (ديلاكورث ١٩٧٨) ١٨٠ - ١؛ ستيفن غرين، "الانحياز" (مورو ١٩٨٤)، ٣٨ فما بعد؛ كمخي، "سبعة أعمدة ساقطة" (سيكر اندواربرغ ١٩٥٣)، ٢٧٢ - ٣ .

- ٨١ - غلوب اند ميل (تورنتو) ٩ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٥ .

- ٨٢ - نيويورك تايمز، ٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٥ . صورة بدون رواية، اي دبليو اس جي،

٢٢ آب/اغسطس ١٩٨٥ ،استشهاد الكسندر كوكبرن، نيشن، ٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٥؛ هاوسغو، نيويورك تايمز بوك ريفيو، ٢٠ تموز/يوليو ١٩٨٦ ، في فرنسا، التي هي أيضاً دولة ارهابية لم يكن هناك أي احتجاج قطعاً على الفظائع أو الأعمال التأديبية التي اتخذت ضد نيوزيلندا في "رد انتقامي" على محاكمة الارهابيين الذي ألقي القبض عليهم، وإنما، كما يلاحظ تقرير من بارس بعد التسوية مع نيوزيلندا، "العمل لم يستدع النقد الذاتي، وإنما الوطنية. وفي نظر فرنسا، نيوزيلندا ورئيس وزرائها ديفيد لانغ، أصبحا سريعاًوغاداً لإحتجاز العميلين، اللذين سجنا، بالمنظور السائد هنا، لجريمة خدمة المصالح الوطنية. وفي فرنسا قيل القليل جدًا في الصحافة على موت أحد افراد طاقم السفينة غرينبيس، أو على حقيقة أن سيادة نيوزيلندا قد انتهكت" ورغم وعود الحكومة الاشتراكية لإتخاذ "عمل قانوني" إذا كان قد اقترفت "أعمال اجرامية"، "فإن العمل القانوني الوحيد الذي اتخذ كان ضد عدد من أعضاء الحكومة الفرنسية على كشف معلومات للصحافة"، "ولم يجرِ تحقيق عام" (نيويورك تايمز، ٣٠ تموز/يوليو ١٩٨٦) وقد نظمت مظاهرة في باريس بعد اغراق السفينة حشدت ١٥٠ شخصاً ومثقفاً واحداًمعروفاً: رينيه دومونت. ومع أن حضور وسائط الاعلام كان كبيراً لكن الحدث لم يحظ بتغطية تلفزيونية وصحفية بما في ذلك الصحافة اليسارية والليبرالية. كما حجبت اللوموند اعلانها المكون من أربعة اسطر عن المظاهرة إلى ما بعد حصولها. وكان الفرنسيون الخضر ومجموعات السلام "مترددين في تحدي الشوفينية الشعبية التي ظهرت في فرنسا من خلال قضية غرينبيس" بينما مؤتمر الحزب الاشتراكي استقبل الوزير هيرنو استقبال الأبطال" وهو المسؤول رسمياً عن الفظاعة (ديانا جونستون واليزابيت شيلنغ، إن ذيس تايمز، ٢٣٢ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٥).

الارهاب الفرنسي ضد غرينبيس بدأ مع احتجاجها الأول ضد التجارب النووية الفرنسية في مستعمراتها في المحيط الهادي عام ١٩٧٤ عندما صدمت يختها كاسحة ألغام فرنسية وأغرقته تقريباً، ورجال كوماندوس "انثالوا على ظهره، وضربوا بوحشية وكادوا يعمون، (مدير غرينبيس) ديفيد مكتاغرت وأحد رجال الطاقم الذكور بهراوات المطاط (جميس ريدجواي، فيلج فويس، ٨ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٥ ولاحظ أيضاً مضايقة السوفييت لغرينبيس).

ـ ٨٣ ـ انظر مقالتي "ووترجيت، منظور متشكك"، نيويورك ريفيو ٢٠ أيلول/سبتمبر ١٩٧٣ ، افتتاحية مور، كانون أول/ديسمبر ١٩٧٥ ومقدمة لكتاب بلاكستوك،

(محرر) كوينتلبرو (فانتاج ١٩٧٦).

ـ ٨٤ ـ شولتس، بوسطن غلوب، ٢٥ حزيران/يونيو ١٩٨٤؛ نيويورك تايمز ٢٥ حزيران/يونيو ١٩٨٤ ٣٠ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٣؛ اسوشييتد برس، بوسطن، غلوب ٢٣ نيسان/ابريل ١٩٨٤؛ نيويورك تايمز، ١ نيسان/ابريل ١٩٨٤؛ انترناشنال هيرالد تريبيون ٥ آيار/مايو ١٩٨٦؛ كولن نيكرسون، بوسطن غلوب ٣ شباط/فبراير ١٩٨٦ حول المؤتمر افريكا آسيا، تموز/يوليو ١٩٨٥ لتفاصيل حول إلقاء القبض على كوماندوس من جنوب افريقيا وهي حادثة جرى تجاهلها إلى حد كبير هنا وعن الطائرات المدنية، انظر بوسطن غلوب، نيويورك تايمز، واشنطن بوست، ١١ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٣؛ بوسطن غلوب، ٢١ شباط/فبراير ١٩٨٤ . هذه الحوادث التي بالكاد لوحظت قد وقعت في وسط الهستيريا الجماعية على اسقاط طائرة كال ٠٠٧ على أيدي الاتحاد السوفياتي والذي استحق ٧ صفحات كاملة في فهرست التايمز كثيف الطباعة في أيلول/ سبتمبر ١٩٨٣ فقط.

ـ ٨٥ ـ باري منسلو وفيل اوكيفي، ثيرد وورلد كووترلي، كانون ثاني/يناير ١٩٨٤ .

ـ ٨٦ ـ دان فيشر، لوس انجلس تايمز، ٢١ حزيران/يونيو، مكغروري، بوسطن غلوب، ٢١ حزيران/يونيو، ديفيد ادامز، نيوستيتسمان، ١٩ نيسان/ابريل نيويورك تايمز، ٢١ حزيران/يونيو ١٩٨٥ . وعن أنصار، انظر "المثلث المصيري"، ٢٣١ فما بعد، مقابلة حوتام، ١١ نيسان/ابريل ١٩٨٦ . انظر أيضاً منظمة العفو الدولية، "اعتقال الفلسطينيين واللبنانيين في السجن العسكري في عتليت" (في اسرائيل) ٨ نيسان/ابريل ١٩٨٤ ، حول اعتقال الفلسطينيين واللبنانيين الذين نقلوا من جنوب لبنان واحتجزوا على انفراد دون وسيلة للاتصال مع عائلاتهم أو الصليب الأحمر وحرموا من محامي الدفاع أو أية أدلة فيما يتعلق باعتقالهم ونقلهم إلى اسرائيل انتهاكاً للقانون الدولي.

ـ ٨٧ ـ لوس انجلس تايمز، ١ تموز/يوليو ١٩٨٥ .

ـ ٨٨ ـ ديفيد اجناتيوس، وول ستريت جورنال، ١٨ حزيران/يونيو ١٩٨٥ .

ـ ٨٩ ـ نيويورك تايمز، ٢١ حزيران/يونيو، ١٨ حزيران/يونيو، ١ تموز/يوليو ١٩٨٥ .

ـ ٩٠ ـ بيرنارد لويس، نيويورك ريفيو ١٥ آب/اغسطس؛ نيوريببلك، ٨ تموز/يوليو؛ ريغان، خطاب أمام اتحاد المحامين الاميركيين، ٨ تموز/يوليو (بوسطن غلوب، ٩ تموز/

يوليو)؛ بودهوريتز، لوس انجلس تايمز، ٢٦ حزيران/يونيو؛ نيويورك تايمز، ٢ تموز/يوليو ١٩٨٥ .

- ٩١ - توماس فريدمان، نيويورك تايمز، ٢٣ حزيران/يونيو؛ نيويورك تايمز، ١٩ حزيران/يونيو ١٩٨٥ .

- ٩٢ - اسوشييتد برس، بوسطن غلوب، ٤ تموز/يوليو، فريدمان، نيويورك تايمز، ٤ تموز/يوليو؛ بوسطن غلوب، ٤ تموز/يوليو ١٩٨٥ .

- ٩٣ - جون كولي، "الزحف الأخضر، ايلول الأسود" (فرانك كاس، لندن، ١٩٧٣)، ١٩٧؛ انظر "المثلث المصيري" وبيلين، مصدر سابق، من أجل تصريحات كثيرة كهذه.

- ٩٤ - "المثلث المصيري" ٢٨١ - ٢ .

- ٩٥ - رابين يتحدث إلى الكنيست ٢٧ آذار/مارس ١٩٨٥؛ تماري، مقابلة مونيتين، تشرين اول/اكتوبر ١٩٨٥ . وحول مفهوم الجنود، انظر مقتطفات من الصحف الاسرائيلية ترجمت في "المثلث المصيري" والتي تختلف عن المادة المقدمة في تمارين هَشبَرا هنا (انظر المقدمة، حاشية ١٢). أو ملاحظات المظلي آري شايط حول غزو لبنان ١٩٧٨ كما ظهرت في كوتيرت راشيت (١٣ آيار/مايو ١٩٨٦) كرد على نقاش القيادة العسكرية للعملية، مذكراً بذلك "النمط من النشوة" التي صبت بها الوحدات المدججة بالسلاح النار على القرى، أو على أي مكان، بعد أن "اصبح واضحاً إنه لم تبقَ هنا حرب" وإنما شيء "أشبه بالنزهة". ولا شك أن الحقيقة في الجيوش الأخرى مماثلة ولكنها لا تنعم في الخرافة حول "طهارة السلاح".

- ٩٦ - روكاخ، مصدر سابق، اوري ميلشتاين، عال همشمار ٢١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٣ ، كينيست لوف "السويس" (مكغروهيل ١٩٦٩) ١٠ فما بعد ٦١ - ٢ .

- ٩٧ - نيويورك تايمز، ٤ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٤ . وعن السجل العلمي، انظر، مثلاً، "نحو حرب بادرة جديدة"، ٣٣١ ، يناقش ناداف سفران، "اسرائيل؛ الحليف المنشغل بالقتال" (هارفارد ١٩٧٨).

- ٩٨ - لوس انجلس تايمز، ٢٤ تشرين ثاني/نوفمبر؛ بوسطن غلوب، ١٩ كانون اول/ديسمبر ، نيويورك تايمز، ٢٠ كانون اول/ ديسمبر ؛ بوسطن غلوب ، ٢٠ كانون اول/

ديسمبر ١٩٨٣ .

ـ ٩٩ ـ غلوب اندميل (تورنتو) ١١ تموز/يوليو، بوسطن غلوب ٢٤ تموز/يوليو؛ نيويورك تايمز، ٢٤ تموز/يوليو ، بوسطن هيرالد، ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٨٥ ؛ نيويورك تايمز، ٥ ،٦ كانون ثاني/يناير ، بوسطن غلوب ، ٥ ، ٦ كانون ثاني/يناير ١٩٨٤ .

ـ ١٠٠ ـ جيمس مارخام، نيويورك تايمز، ٣ كانون أول/ديسمبر ١٩٧٥ . معطياً تقديرات للاصابات من مصادر فلسطينية ولبنانية. نيويورك تايمز، ٢٣ آذار/مارس ١٩٨٥ نيويورك تايمز، ٣ ، ٤ كانون أول/ديسمبر ١٩٧٥ .

ـ ١٠١ ـ تايم، ٥ آذار/مارس ١٩٧٣؛ نيويورك تايمز، ٢٢ شباط/فبراير ١٩٧٣ ، يعطي الرقم ١٥ لعدد القتلى.

ـ ١٠٢ ـ لم يكن هناك دلالة داعمة في حالة الطائرة الليبية، ولكن الادعاء السوفياتي قد يكون صحيحاً، مع أنه من الواضح أنه لا يبرر الفظاعة، انظر ر.دبليو. جونسون، "الاسقاط" (فايكنغ، ١٩٨٦) ، وهي دراسة ذات أهمية خاصة لأنها تشرح أكاذيب الحكومة الاميريكية. والمراجعات الاميركية النابذة تكشف الكثير. كتب يوئيل برنكلي أن الكتاب "أخطأ" بسبب "نبرته الحادة من الازدراء الذي يقترب من الاحتقار "لشخصيات رئيسية في إدارة ريغان، ويصرح زيفاً أنه يستقي في الغالب من الصحافة الاميركية (نيويورك تايمز بوك ديفيو، ٢٠ تموز/يوليو ١٩٨٦). دوغلاس فيفر يدعي أن جونسون، "يضعف الثقة في اطروحته بمعلومات مضللة من عنده حول نقاط يمكن التحقق منها بسهولة"، ملاحظاً أنه على صفحة ٢ يقتطف من تقرير منظمة الطيران المدني الدولية جزئياً فقط (بوك وورلد، واشنطن بوست ويكلي، ٧ تموز/يوليو ١٩٨٦). كما أنه أيضاً يمكن التحقق بسهولة، من أن جونسون يقتطف الجملة التي يستشهد بها فيفر بالكامل على الصفحة ٢٣٤ ، حيث تمت بصلة للموضوع، مقتطفاً من صفحة ٢ فقط تلك الأجزاء التي تمت بصلة هناك.

ـ ١٠٣ ـ نيويورك تايمز، ٢٢ ، ٢٣ شباط/فبراير، افتتاحية ٢٣ فبراير/شباط ٢٥ ٢٦ فبراير/شباط ١٩٧٣ . محميرام كوهين، حوتام، ١٠ شباط/فبراير ١٩٨٤ . والحادث ذكر باختصار اثناء قضية كال ٠٠٧ مثيراً ادعاءات زائفة من المنافحين عن فظائع اسرائيل ، التي بالذات "قبلت المسؤولة عنها مباشرة" و "دفعت تعويضات"؛ مايكل

كيرتس، رسالة، نيويورك تايمز، ٢ تشلاين اول/اكتوبر؛ مارتن بيرتز، نيوريببلك، ٢٤ تشرين اول/اكتوبر ١٩٨٣ .

- ١٠٤ - انظر حاشية٨٥ . ولمقارنة رد الفعل على الحادثين، انظر روبرت شير، مانشستر غارديان ويكلي ٢٥ ايلول/سمبتمبر ١٩٨٣؛ ولمناقشة حوادث أخرى مماثلة، وجرى المرور بها مرور الكرام هنا أخذا بالاعتبار العميل الذي قام بالفظاعة، انظر مقالتي "١٩٨٤ خاصة اورويل وخاصتنا" ، ثورو كورترلي، شتاء/ربيع ١٩٨٤ و"ملاحظات حول مشكلة اورويل" في معرفة اللغة" (بريغر، ١٩٨٦) .

- ١٠٥ - عن طرد سكان اللد والرملة، انظر بيني موريس، ميدل ايست جورنال، شتاء ١٩٨٦؛ وعن القضايا الأخرى، انظر "المثلث المصيري" و "جزر المدّ"، والمصادر المقتطفة؛ شوكن، فورن افيرز. خريف ١٩٨٤ وعن الجهود لاغتيال القيادة العسكرية الفلسطينية في عام ١٩٤٨ والتي نظمها موشيه دايان، انظر اوري ميلشتاين، عال همشمار، ٢١ ايلول/ سبتمبر ١٩٨٣؛ حدشوت ١١ كانون ثاني/يناير ١٩٨٥ . وتقرير استخباري اسرائيلي بتاريخ ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٤٨ اكتشف حديثاً يستخلص أنه من بين ٣٩١،٠٠٠ لاجئ عربي (١٥٢،٠٠٠ منهم من خارج المنطقة المحددة لاسرائيل في توصيات الأمم المتحدة للتقسيم) على الأقل ٧٠٪ هربوا نتيجة للعمليات العسكرية اليهودية، (وأساساً الهاغاناه/ جيش الدفاع الاسرائيلي) بما في ذلك الطرد المباشر، والواضح أنه تقدير بخس، يلاحظ بيني موريس في تحليله والتقرير يلحظ أيضاً أن ذلك تمّ في مواجهة محاولات مكثفة من قبل القيادة العربية لوقف هذا المدّ وهو يلحظ ايضاً أن "الأوضاع في النصف الثاني من الخروج" من تموز/يوليو إلى تشرين أول/اكتوبر "هي قصة مختلفة"؛ فبعد حزيران/يونيو ١٩٤٨ كان هناك العديد من حالات الطرد المبرمجة" (ميدل ايسترن ستدز(لندن) كانون ثاني/يناير ١٩٨٦؛ مقابلة مع حاميم برعام، كول هاعير ٩ آيار/مايو ١٩٨٦) .

- ١٠٦ - الصيغ الاسرائيلية المختلفة عن هذا الحادث تشكل مادة لقراءة مثيرة للاهتمام، ولمراجعة لعدد منها (بما فيها الرواية الوحيدة التي ظهرت في صحيفة اميركية رئيسية تغطية مخزية لكل من زئيف شيف وهيرش غودمان في اتلانتك منثلي)، انظر جميس اينس "السفينة الاميركية ليبرتي: مرة اخرى في الأخبار"، اميركان اراب افيرز، شتاء ١٩٨٥ - ٦ وربما الأكثر إثارة هي رواية يتسحاق رابين رئيس هيئة الأركان آنذاك، الذي يصف الهجوم على السفينة بأنه "التطور الأكثر ازعاجاً في الحملة كلها"، والتي خلالها

أحس، بالرعب التام، وبعد ذلك يتقدم ليضعها بدقة في ٧ حزيران/يونيو (كان ذلك في ٨ حزيران/يونيو) غلطة لا يمكن فهمها والتي يمكن فهمها فقط كمحاولة لاخفاء السبب الظاهر للهجوم: اخفاء خطة غزو سوريا بعد وقف اطلاق النار عن الولايات المتحدة. رابين، مذكرات، ١٠٨ فما بعد.

- ١٠٧ - حول قضية جنوب لبنان، انظر مارك بروزونسكي، ميدل ايست انترناشنال، ١٦ آيار/مايو ١٩٨٦ . وكذلك بوسطن غلوب ١٥ نيسان/ابريل، ديفيد شيبلر نيويورك تايمز ١٦ نيسان/ابريل ١٩٨٦ . وانظر هيوستن كرونكل (اسوشييتد برس) ١٨ آيار/مايو، (يونايتد برس انترناشيال) ٢١ آيار/مايو، ١٩٨٤ ، عن قضية رجل الأعمال من نيومكسيكو مايك منصور، الذي سجن ٢٢ يوماً والذي يدعي أنه عذب واجبر على التوقيع على اعتراف هو ينفيه.

- ١٠٨ - روبرت تكر، كومنتري، اكتوبر ١٩٨٢.

- ١٠٩ - داريو فيرنانديز موريرا، تاريخ الأفكار الاوروبية، المجلد ٦ ، رقم ٤ ، ١٩٨٥ .

ليبيا وصناعة العفاريت الأميركية

في النظام العقائدي الأميركي، لأحد يلخص "سوط الإرهاب الشرير" مثل معمر القذافي، (ربما حيث) بمنظوره أصبحت ليبيا تحت قيادة القذافي نموذجاً للدولة الإرهابية.

إن تقرير منظمة العفو الدولية الأخير يسجل قتل ١٤ مواطناً ليبياً على يد "دولة الإرهاب"، أربعة في الخارج، خلال العام ١٩٨٥، وهذه هي الأعمال الإرهابية الرئيسية التي يمكن أن تنسب الى ليبيا(١). وفي مسار الهستيريا المنسق لخدمة هذا الهدف، وجهت أشكال مختلفة من الاتهامات الى ليبيا. وفي نيسان/ ابريل ١٩٨٦ صدر تصريح عن موظف كبير في الاستخبارات الأميركية يفيد بأنه حتى "أسابيع قليلة مضت" القذافي "استعمل رجاله لاغتيال منشقين ليبيين أساساً"(٢). "وقبل بضعة أسابيع"، مضى هذا الموظف بالاستخبارات يقول: "اتخذ القذافي قراراً واضحاً باستهداف أميركيين". وهذا القرار المدَّعى، الذي اكتسب هالة الحقيقة التي لايرقى إليها الشك في نظام التعبئة العقائدية مع أنه لم تتوفر الى الآن أدلة موثوقة تدعم ذلك (كما سنرى)، جاء في أعقاب حادث خليج سرت، عندما قام اسطول جوي وبحري بإغراق زوارق ليبية وقتل الكثيرين، الأمر الذي يعتبر شرعياً تماماً، بل في الحقيقة جاء متأخراً، في ظل العقائد الكلبية التي تعتنقها

السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة، ويصدقها معلقون محترمون، بعضهم قد ورد ذكره، أما الآخرون فسنلتفت إليهم حالاً.

تقول منظمة العفو الدولية في تقريرها بأن القتل الإرهابي الليبي بدأ في أول الثمانينات، عندما طرح جيمي كارتر الحرب الإرهابية في السلفادور مع خوزي نابليون دوارتي متطوعاً للخدمة كغطاء من أجل ضمان تدفق الأسلحة الى القتلة. وبينما كانت ليبيا تقتل ١٤ من مواطنيها، الى جانب حفنة من الآخرين، فنظام السلفادور العميل للولايات المتحدة قتل حوالي ٥٠،٠٠٠ من مواطنيه في مجرى ما وصفه الإسقف ريفيرا داماس، الذي خلف رئيس الأساقفة روميرو، في تشرين أول/ أكتوبر ١٩٨٠ ، بعد سبعة أشهر من الإرهاب، بأنه "حرب إفناء وإبادة للجنس ضد سكان مدنيين عزل"(٣). قوات الأمن التي أجبرت على القيام بالأعمال السوداء اللازمة أثنى عليها دوارتي، بعد بضعة أسابيع على "الخدمة الشجاعة الى جانب الشعب ضد التخريب" بينما اعترف بأن "الجماهير كانت مع رجال العصابات" عندما بدأت هذه الممارسة في ظل تحالف كارتر ـ دوارتي. وقد عبر الأخير عن مديحه لمرتكبي القتل الجماعي عندما أقسم اليمين كرئيس للطغمة العسكرية في مسعى لإعطائها الشرعية وضمان تدفق الأسلحة بعد قتل أربعة رجال كنيسة أميركيين، العمل الذي يعتبر هنا غير لائق عادة، مع أن جين كيركباتريك وألكسندر هيغ قدما تبريرات حتى لهذا العمل الفظيع..

في هذه الأثناء، طمأنتنا وسائط الإعلام بأنه "ليس هناك جدل حقيقي بأن غالبية من يقدّر عددهم بـ ١٠٠٠٠ قتلى سياسيين في عام ١٩٨٠ كانوا ضحايا قوات الحكومة والقوات غير النظامية المرتبطة بها" (واشنطن بوست)، مع أنه جرى الاعتراف الخافت لاحقاً بأنه في ذلك الوقت، كان موظفو إدارة كارتر يخبرون وسائط الإعلام بأن "قوات الأمن كانت مسؤولة عن ٩٠٪ من الفظائع"، وليس "عصابات يمينية لايمكن ضبطها"

كما كانت الصحافة تورد في تقاريرها(٤).

ومنذ الأيام الأولى لعمليات كارتر ـ ريغان الإرهابية في السلفادور، كان دور دوارتي الرئيسي هو ضمان ألاّ يكون هناك عائق أمام المذبحة بينما يجري نفي الفظائع الموثقة جيداً أو تبريرها على أرضية أن الضحايا كانوا "شيوعيين". وقد لعب هذا الدور أمام التصفيق المتصاعد في الولايات المتحدة، وعبر الطيف السياسي، بينما الهجوم الوحشي على السكان المدنيين حقق أثره المقصود بتدمير تهديد الديمقراطية ذات المغزى، التي برزت في السبعينات مع بروز المجموعات التي تعتمد على الذات والتي كانت قاعدتها في الكنيسة، وجمعيات الفلاحين، والاتحادات، وغيرها من "المنظمات الشعبية". والمراسل المحافظ في أميركا الوسطى لصحيفة سبكتيتر اللندنية يلاحظ أن زمر الموت "فعلت تماماً ماكان مفروضاً فيها أن تفعل: فقد قطعت رؤوس نقابات العمال والمنظمات الجماهيرية" وجعلت الناجين "إما أن يهربوا من البلد أو يلتحقوا بالعصابات"، وذلك في الوقت الذي انتقلت حرب الولايات المتحدة ضد سكان الريف الى مسار أعلى، وحجم أكبر من الإرهاب والذبح.

وعليه، فإنه من الطبيعي فقط، أن محرر نيوريببلك، الذي حثَّ ريغان على متابعة المذبحة دون الاهتمام بحقوق الإنسان ("هناك أولويات أميركية أعلى")، و"بغض النظر عن كثرة عدد القتلى"، يجب أن ينظر الآن بسعادة الى هذه الإنجازات في السلفادور، التي هي "النموذج الحقيقي لتعزيز الدفع نحو الديمقراطية في محيطنا". والإرهاب المستمر، الذي توثقه أميركان واتش، ومنظمة العفو الدولية، الأمر الذي ـ نادراً جداً، ما تفعله وسائط الإعلام ـ هو موضوع لامبالاة كاملة هنا(٥).

الذبح في السلفادور هو ليس مجرد إرهاب دولة على مستوى درامي، وإنما هو إرهاب دولي، أخذاً بالاعتبار التنظيم، التزويد، التدريب والمشاركة المباشرة

من قبل حاكم نصف الكرة. والشيء نفسه صحيح فيما يتعلق بمذبحة حوالي ٧٠،٠٠٠ غواتيمالي في نفس السنة، عندما كانت الأسلحة الأميركية تتدفق على القتلة بمعدل قريب من المستوى العادي، وذلك على العكس مما يدَّعى عادة، مع أنه كان من الضروري استدعاء عملاء الولايات المتحدة - الجنرالات النازيين الجدد في الأرجنتين، تايوان، وبشكل أساسي اسرائيل، التي قدمت خدماتها الخبيرة بحماس للقضية - من أجل تنفيذ المذبحة بنجاعة أعلى؛ وحكومة الولايات المتحدة أنشأت خطّاً للسلاح يضم بلجيكا وغيرها من المتعاونين، وذلك بتوجيه غير قانوني من قبل البنتاغون ووكالة الاستخبارات المركزية (سي آي اي)، كمصدر إضافي. وفي هذه الأثناء، وبينما بلغ الإرهاب ذروته من الوحشية، فإن ريغان ورفاقه أشادوا بالقتلة والمعذِّبين لما أدخلوه من تحسينات على حقوق الإنسان وعلى "التفاني الكامل في سبيل الديمقراطية"، بينما كانوا ينبذون سيل الوثائق عن الفظائع على أنه "كلام فارغ"(٦).

إن إرهاب الولايات المتحدة الدولي في السلفادور - يجري الترحيب به على أنه إنجاز رائع عبر الطيف السياسي المركزي في الولايات المتحدة لأنه أرسى الأساس لما يسمى "ديمقراطية" في التعبير الغربي: وتحديداً، حكم مجموعات النخبة بما يخدم احتياجات "منفذ القانون الكوني بالقوة" في حين أن الجمهور يقزم للمصادقة بين الحين والآخر على قرارات النخبة نظراً لأن المنظمات الشعبية، التي كان من شأنها أن توفر القاعدة الديمقراطية ذات المغزى، قد "قطع رأسها" وبترت أعضاؤها. ففي ١٩٨٢ و١٩٨٤ نظمت الولايات المتحدة ماأسماه ادوارد هيرمان وفرانك برودهيد "الانتخابات الاستعراضية" لإسكات الجبهة الداخلية، والتي نفذت في أجواء من "الإرهاب والقنوط، الإشاعات المروِّعة والواقع الرهيب"، حسب كلام مراقبين من مجموعة حقوق الإنسان التابعة للبرلمان البريطاني، بينما

الصحافة الأميركية مجَّدَت هذه التظاهرة من التزامنا العميق بالديمقراطية، كما كانت برافدا قد تفعل في ظروف مماثلة(٧).

وتمثل غواتيمالا أيضاً نجاحاً، لأسباب مثيلة. فعندما يساق نصف السكان عملياً الى صناديق الإقتراع بعد أن كانوا قد صدموا تماماً بالعنف المدعوم أميركياً، فإن المعلقين المتنورين هنا يطيرون فرحاً من هذه التظاهرة المتجددة لحبنا للديمقراطية، ولايزعجهم الارتفاع في عدد القتلى على أيدي سرايا الموت، أو الاعتراف الصريح للرئيس المنتخب حديثاً بأنه لايستطيع فعل شيء آخذاً بالاعتبار أن جذور القوة الحقيقية هي بالقوات العسكرية والقلة الحاكمة وأن الحكومة المدنية هي مجرد "إدارة للإفلاس والبؤس"(٨)، وحقيقة أن رد الفعل في الولايات المتحدة يساعد على قلب الانتخابات الى وسيلة للولايات المتحدة للمشاركة الأكثر كمالاً في إرهاب الدولة والقمع، كما في السلفادور. وفي الواقع، فالانتخابات في دول الإرهاب الأميركي كثيراً ما تكون مزيجاً من النعمة أو الكارثة الصريحة بالنسبة الى السكان المحليين، لهذا السبب الرئيسي.

وهذان المثالان، بالطبع، يمثلان فقط جزءاً من دور الولايات المتحدة في الإرهاب الدولي خلال الثمانينات، والسجل الرهيب يذهب بعيداً في سنين كثيرة الى الوراء.

إن "السمة البارزة للإرهاب الليبي"، كما لاحظ إثنان من المعلقين في مراجعة لدراسة منظمة العفو الدولية حول إرهاب الدولة، "هي أن الجرائم المرتكبة هي الوحيدة المحدودة العدد بحيث يمكن تعداد الحالات الخاصة"، وذلك في تضاد صارخ مع الأرجنتين، اندونيسيا، أو دول أمريكا الوسطى حيث الامبراطورهو الذي يزعج العالم(٩).

باختصار، فإن ليبيا في عالم الإرهاب الدولي هي بالكاد لاعب دور صغير.

ولكن تبقى هناك نفوس بريئة تعتقد بأنه يمكن إيجاد مستوى من السوقية والمنافحة عن المذابح الجماعية والإرهاب الذي لايمكن تجاوزه في المنشورات الغربية المحترمة. ويمكنهم التخلص من هذه الأوهام إذا فكروا في الأمثلة العديدة خلال السنوات الأكثر سوءاً من الإرهاب في أميركا الوسطى(١٠)، أو بالالتفات الى المجلة "المحافظة الجديدة" ذي ناشنال انترست، حيث يستطيعون أن يقرأوا، في نقد للواشنطن بوست على أنها لينة مع ليبيا، أنه "مامن شك في أنه لو، مثلاً، كانت حكومة خوزي نابليون دوارتي في السلفادور أو أية حكومة حديثة في تركيا قد نفذت مايقرب من عدد الإعدامات التي نفذها القذافي، لقدمت لنا البوست تفاصيل ضخمة، ولكانت أوردت تقارير عن وجود معارضة كبيرة"(١١).

وليس فقط أن "الإرهاب" يعرَّف لخدمة أغراض ايديولوجية، كما ناقشت أعلاه، ولكن المعايير للأدلة توضع أيضاً بشكل مريح لتحقيق أهداف الإمبراطور، ومن أجل إظهار ليبيا كدولة إرهاب، تكفي الأدلة المهلهلة، أو لا أدلة بالمرة. فالعنوان الرئيسي لافتتاحية في نيويورك تايمز تبرر الهجوم الإرهابي الأميركي الذي قتل حوالي ١٠٠ شخص في ليبيا (بحسب تقارير صحفية من مسرح الأحداث) كانت كالتالي: "لإنقاذ نتاشا سيمبسون التالية". وذلك في إشارة الى ابنة الأحد عشر عاماً الأميركية التي كانت إحدى ضحايا الهجمات الإرهابية في مطاري روما وفيينا في ٢٧ كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٥ ، هؤلاء الضحايا يخولوننا بقصف المدن الليبية "لتثبيط عزيمة الإرهاب الذي تدعمه الدولة"، كما أعلن محررو التايمز بوقار. إنه خلل صغير فقط إذ لم تقدم أية أدلة لتورط ليبيا في هذه الأعمال.

وبعد أربعة أشهر على ذلك، وفي رد على الإدعاء الأميركي حول الانخراط الليبي في هجوم فيينا، أعلن وزير الداخلية النمساوي أنه "لاتوجد أضعف الأدلة

على تورط ليبيا″، وأضاف أن واشنطن لم تقدم أي دليل على تواطؤ ليبيا، الأمر الذي وعدت بتقديمه الى السلطات النمساوية. وأضاف أيضاً الملاحظة الصحيحة ولكن غير المسموح بالتعبير عنها في الولايات المتحدة، من أن مشكلة الإرهاب الذي ينطلق من لبنان تكمن الى حد كبير بالفشل في حل القضية الفلسطينية، الأمر الذي قاد أشخاصاً يائسين الى التحول للعنف، وهذه بالذات هي النتيجة المقصودة من الإرهاب الأميركي ـ الإسرائيلي، كما بحث في الفصل الثاني(١٢). وبعد بضعة أشهر، كرر وزير الداخلية الإيطالي، بينما هو يوقع اتفاقاً مع الولايات المتحدة للتعاون في ″الحرب ضد الإرهاب″، الموقف الذي جرى التعبير عنه في إيطاليا ″منذ كانون الثاني/ يناير″... لكن التايمز اوردت التصريح دون الإحساس بضرورة التعليق على الضربة المبررة أخلاقياً كرد انتقامي ضد ليبيا والتي كانوا قد صفقوا لها في نيسان/ ابريل، والتي كانت إرهاباً صرفاً بلا استفزاز بحسب تقريرهم الإخباري(١٣).

إذا كان فرد متورط بعملية إرهابية قد زار ليبيا مرة، أو ادعى بأنه قد تلقى تدريباً في ليبيا، أو تسلم منها مبالغ، في الماضي، فذلك يكفي لإدانة القذافي بأنه ″كلب مسعور″ يجب اجتثاثه. ونفس المعايير يمكن أن تورط وكالة الاستخبارات المركزية (سي اي اي) في أعمال القتل التي يقوم بها المنفيون الكوبيون، ضمن آخرين كثيرين. وإذا بقينا في عام ١٩٨٥ فقط، فأحد المتهمين بتفجير طائرة الجمبو الهندية بالقرب من ايرلندا، والذي كان أسوأ عمل إرهابي في ذلك العام، حيث قتل ٣٢٩ شخصاً، قد تلقى تدريبه في مدرسة للمرتزقة ضد الشيوعية في الاباما؛ والمدعي العام الأميركي ميس، الذي كان في زيارة الى الهند بعد ٩أشهر، أدلى بتصريح بالكاد ورد ذكره بأن الولايات المتحدة كانت تتخذ خطوات ″لمنع الإرهابيين من الحصول على تدريب أو موارد من الولايات المتحدة″، مشيراً الى معسكرات التدريب العسكري الخاصة التي

اتهمتها الهند بتدريب المتطرفين السيخ؛ وتصريح ميس ليس صحيحاً، على حد علمي، مع أن الصحافة لم تول أيَّ اهتمام بتحري القضية(١٤). والعمل الإرهابي الذي خطف العدد الأكبر من الأرواح في الشرق الأوسط كان سيارة مفخخة في بيروت في شهر آذار/ مارس والتي قتلت ٨٠ شخصاً وجرحت ٢٠٠ ، نفذتها وحدة من الاستخبارات اللبنانية، دربتها ودعمتها وكالة الاستخبارات المركزية، في محاولة لقتل زعيم شيعي كان يعتقد أنه منخرط في "الهجمات الإرهابية ضد المنشآت الأميركية" في بيروت(١٥)؛ والمصطلح "إرهاب" يستعمل عادة من قبل جيوش أجنبية للإشارة الى أعمال ضدها يقوم بها السكان المحليون الذين يرون بهم قوة احتلال تحاول أن تفرض تسوية سياسية مكروهة وقائمة على الغزو الأجنبي، وفي هذه الحالة "النظام الجديد" لاسرائيل. وبالمعايير للأدلة المستعملة في حالة ليبيا، فإن الولايات المتحدة كانت مرة أخرى القوة القائدة للإرهاب بالعالم في عام ١٩٨٥ ، حتى لو استثنينا الإرهاب بالجملة الذي أعلن أنه غير جدير بهذه التسمية من قبل النظام الدعاوي.

واستمراراً في عام ١٩٨٦ ، فأعمال الإرهاب الأكثر خطورة في منطقة البحر الأبيض المتوسط الى حين كتابة هذا الموضوع، وفيما خلا الإرهاب الاسرائيلي المتواصل في لبنان، هي القصف الأميركي لليبيا والتفجيرات في سوريا، التي بحسب إذاعة الكتائب، حزب الرئيس اللبناني أمين الجميل، قتلت أكثر من ١٥٠ شخصاً في نيسان/ ابريل، والتي اتهمت سوريا عملاء اسرائيل بتنفيذها دون إيراد أدلة، ولكن ليس بأقل مصداقية من اتهامات أميركية مثيلة ضد من يتفق أن يكون الوغد في ذلك اليوم ، وبالصدفة، لايقع في خانة "سوط الإرهاب الشرير"(١٦).

وبالطبع، فالولايات المتحدة تنفي المسؤولية عن أعمال الإرهابيين الذين دربتهم: كوبيين، لبنانيين، قتلة جماعيين مثل ريوس مونت في غواتيمالا،

وآخرين عديدين في أميركا اللاتينية وغيرها. وفي حالة التفجير في لبنان، مثلاً، نفت وكالة الاستخبارات المركزية أية علاقة لها مع أن هذا النفي "فنّد من قبل موظفين في الإدارة والكونغرس الذين قالوا بأن الوكالة كانت تعمل مع تلك المجموعة في فترة التفجير"، وهو استخلاص توصل إليه تحقيق للواشنطن بوست، والذي أكد أن واشنطن ألغت العملية السرية بعد التفجير، الذي نفذ دون إجازة من وكالة الاستخبارات المركزية(١٧). وحتى لو قبلنا هذا الإدعاء بأن وكالة الاستخبارات المركزية لم تنجز التفجير ولم تكن على علاقة بالمجموعة الإرهابية التي دربتها، فإن الحجة الحكومية منبوذة فوراً بالمعايير المطبقة على الأعداء الرسميين من قبل المنافحين عن الإرهاب الاسرائيلي والأميركي، سواء داخل الحكومة أو وسائط الإعلام. ولنتذكر أن "المسؤولية الأخلاقية الأكبر للفظائع... كلها من نصيب عرفات" لأنه كان، ولايزال، الأب المؤسس للعنف الفلسطيني المعاصر"، وهكذا فالولايات المتحدة تعتبر عرفات "مسؤولاً عن أعمال الإرهاب الدولي" بشكل عام، سواء كانت له علاقة أم لا(١٨). ومن هنا "فالمسؤولية الأخلاقية الأكبر" في جميع الحالات التي ذكرت وغيرها كثير هي "كلها من نصيب واشنطن"، مهما كانت الحقائق حول العلاقة المباشرة.

وكما أشير إليه في المقدمة، فإن حملة ريغان ضد "الإرهاب الدولي" كانت خياراً طبيعياً للنظام الدعاوي في توسيع برنامج عملها الأساسي: توسيع قطاع الدولة في الاقتصاد، تحويل الموارد من الفقراء الى الأغنياء، وسياسة خارجية أكثر "نشاطاً" (أي إرهاباً وعدواناً). ومثل هذه السياسات يتطلب أن يكون الجمهور مطيعاً، رعباً من عدو رهيب يهدد بتدميرنا، إلا أنه من الضروري تحاشي المواجهة المباشرة مع الشيطان الأكبر نفسه، لأن ذلك خطير جداً. فالإرهاب الدولي عبر عملاء امبراطورية الشر هو المرشح

الواضح، واختصاصيو الإدارة في العلاقات العامة توجهوا حالاً نحو مهمة فبركة النسيج الملائم من أنصاف الحقائق والغش الصريح، وقد صدقوا بتوقعهم أن المهزلة ستؤخذ على محمل الجد من قبل معلقين عقلاء.

وكانت ليبيا ملائمة تماماً للحاجة. فمن السهل كره القذافي، خاصة على خلفية العنصرية ضد العرب المستشرية في الولايات المتحدة والالتزام العميق للطبقات المثقفة، فيما خلا استثناءات نادرة جداً، بالرفض الأميركي - الاسرائيلي وعنفهما. وهذا يجعل من ليبيا هدفاً سهلاً لنظام الدعاية الأميركي. "وقد وضع محلل اسرائيلي المسألة بصراحة فظة: لماذا نكشف مصادرنا وأساليبنا من أجل بعض الليبيين؟"(١٩) ليبيا ضعيفة وعزلاء ولذلك يزدهر العمل العسكري ضدها، وعند الحاجة، فإن اغتيال الليبيين يمكن تنفيذه بحصانة والنصر العسكري المجيد في غرينادا، كتتويج لعداء وعدوانية إدارتي كارتر- ريغان بعد أن هددت حكومة بيشوب بأخذ احتياجات الغالبية الفقيرة بالاعتبار، كان يخدم هدفاً مثيلاً. والنقطة تفهم حالاً بالخارج. الصحفي الأميركي دونالد نيف، كتب في نشرة بريطانية عن حادث خليج سرت في آذار/ مارس ١٩٨٦ ، قائلاً: "لقد كان استعراضاً لشخص متنمر على الرصيف يفتعل شجاراً أكثر مما هو عملية بأسلوب رامبو" ولقد كان نموذجياً لريغان. ففي سنواته الخمس بالمنصب، استطاع تكراراً أن يفلت من عواقب الاستبداد بأطراف صغار. وقد فعل ذلك هذه المرة أيضاً. إنها حقيقة مثيرة للاهتمام عن الثقافة الأميركية، هذا العرض المعتاد من الجبن وقطع الطريق الرخيص يلقى الاستجابة ربما (هنا)، كما يفعل ذلك أحياناً في الخارج أيضاً.

وعلى سبيل المثال، يشجب بول جونسون هذه النفخة البغيضة من الجبن الخالص في الهواء عندما "الجبناء" يثيرون الشكوك حول القصف الأميركي لـ"قواعد الإرهابيين" (أي الأهداف المدنية) في ليبيا. جونسون معجب "بقوة

راعي البقر"، الذي يبدي شجاعته بإرسال قاذفاته لقتل مدنيين عزل(٢٠).

اختصاصيو العلاقات العامة في إدارة ريغان فهموا منفعة العدو الليبي وأضاعوا القليل من الوقت في مواجهة هذا الخصم الخطر. وعلى الفور صنفت ليبيا بأنها الوكيل الرئيسي لـ"شبكة الإرهاب" التي ينفخ السوفيات الروح فيها. وفي تموز/ يوليو١٩٨١ سرِّبت الى الصحافة خطة أعدتها وكالة الاستخبارات المركزية لإسقاط، وربما قتل، القذافي عبر حملة من الإرهاب شبه عسكرية داخل ليبيا(٢١).

ويمكننا أن نلاحظ بين قوسين أنه على أساس معايير الولايات المتحدة، فإن هذه الخطة خولت القذافي تنفيذ عمليات إرهابية ضد أهداف أميركية "دفاعاً عن النفس في مواجهة هجوم مستقبلي"، بكلمات الناطق باسم البيت الأبيض لاري سبيكس في تقديمه التبرير الرسمي لقصف طرابلس وبنغازي. والتبرير اياه جرى ترديده في الأمم المتحدة من قبل فيرنون والترز وهيربرت اوكون. وبوقاحة جادلت الإدارة بأن هذا الحق، الذي حتى هتلر لم يدعيه، والذي إذا أعلنته دول عنيفة أخرى، فقد يمزق إرباً القليل المتبقي من النظام الكوني والقانون الدولي، يتطابق مع دستور الأمم المتحدة. مامن شكل من أشكال السفسطة القانونية يستطيع أن يجسر تلك الثغرة، إلا أن الإدارة افترضت وبحق أن ذلك "سيلعب دوراً حسناً في يبوريا" - كما في كيمبردج، نيويورك وواشنطن. وقد أثنى انتوني لويس على ريغان كما يجب بسبب استناده "الى حجة قانونية بأن العنف مبرر كعمل للدفاع عن النفس". والسبب في أن الولايات المتحدة بررت الهجوم "على أرضية أنه هجوم استباقي، يمكن النظر إليه كشكل من أشكال الدفاع عن النفس، [بدلاً] من عمل انتقامي" جرى توضيحه من قبل موظف في وزارة الخارجية، لاحظ أن دستور الأمم المتحدة يمنع بشكل صريح استعمال القوة

إلا في حالة الدفاع عن النفس - وفي الحقيقة، الدفاع عن النفس ضد هجوم مسلح، الى حين قيام الأمم المتحدة بالعمل بناء على طلب رسمي، يقدمه الى مجلس الأمن البلد الذي يعتبر نفسه ضحية لهجوم مسلح مفاجئ وضخم. وبينما "الحجة القانونية" استحسنت في الداخل، فقد نبذت عموماً في الخارج، حيث كانت قلة فقط قد لاتوافق سفير كندا السابق الى الأمم المتحدة جورج ايجناتييف، عضو الوفد الكندي الأول الى الأمم المتحدة، والآن هو رئيس جامعة تورنتو، الذي رفض الدعوى بحق الدفاع عن النفس القائم على دستور الأمم المتحدة على أنه بلا آهلية[٢٢].

في آب/ اغسطس ١٩٨١ ، الرسالة المضادة للقذافي "تعززت بالمصيدة التي نصبت لليبيا في خليج سرت"، مصيدة "خططت بدقة من جانب الولايات المتحدة" بقصد التسبب بمواجهة حيث يمكن إسقاط طائرات ليبية، كما حصل فعلاً، وكما يقول إدوارد هالي في دراسته للقذافي بشدة عن العلاقات بين الولايات المتحدة وليبيا. ويقدم هالي حجة جديرة بالتصديق "لهدف محدد وهو استغلال الخطر الليبي، من أجل كسب الدعم لخطوات ترغب الإدارة باتخاذها سعياً وراء "الإجماع الاستراتيجي" الذي طرحه وزير الخارجية هيغ ضد الاتحاد السوفياتي، وكعنصر في الترتيبات اللازمة لتشكيل قوة الانتشار السريع"، وهي قوات تدخل موجهة أصلاً الى الشرق الأوسط. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر، لفقت الإدارة قصة مضحكة حول قتلة ليبيين يتجولون في شوارع واشنطن بهدف اغتيال قائدنا، الأمر الذي استجرَّ تعليقات محمومة في وسائط الإعلام، وبعض الشكوك المحدودة جداً في حينه.

وعندما سئل عن المؤامرة، صرح ريغان: "لدينا الأدلة، والقذافي يعرفها"(٢٣) والقصة ذوت بعد أن أدّت الغرض منها، والصحافة كانت مؤدبة بما يكفي لكي لاتذكر ماكشفته الصحافة البريطانية من أن "القتلة"

على القائمة الأميركية الرسمية، كما سربت في انجلترا، كانوا أعضاء بارزين من حركة أمل اللبنانية (المعادية بعنف لليبيا)، بمن فيهم زعيمها نبيه بري وزعيم ديني متقدم بالسن من الطائفة الشيعية(٢٤).

وقصص أخرى انطوت على تهديد ليبي لغزو السودان عبر ٦٠٠ ميل من الصحراء (بينما سلاحا الجو المصري والأميركي عاجزان عن إعاقة هذا الانتهاك لحرمة الأعراف)، وعلى مؤامرة لإسقاط الحكومة في السودان في شباط/ فبراير ١٩٨٣ ، اكتشفت بسهولة في لحظة كانت القاعدة الرجعية للإدارة تتهمها بعدم كفاية روحها القتالية - وهي مؤامرة بارعة الى حد أن المخابرات السودانية والمصرية لم تعلم شيئاً عنها كما اكتشف ذلك بسرعة المراسلون الأميركيون الذين تجشموا عناء السفر الى الخرطوم للتحقيق بالأمر. والولايات المتحدة ردت على المؤامرة المفبركة باستعراض مفصل للقوة، مما مكن وزير الخارجية شولتس، الذي كان قد شجب على أنه ضعيف القلب، أن "يضرب بوزات" على التلفزيون وهو يعلن أن القذافي "قد عاد الى صندوقه، حيث يجب أن يكون" لأن ريغان تصرف "بسرعة وبحزم" ضد التهديد الموجّه للنظام العالمي. ومرة أخرى، نسي الحدث بعد أن أدّى الغرض منه. وكانت هناك سلسلة من الأمثلة الشبيهة. ووسائط الإعلام لعبت الدور المعين لها، بالقليل من الاعتراض من حين لآخر(٢٥).

وأحداث آذار- نيسان/ مارس - ابريل ١٩٨٦ تتطابق مع النموذج المعروف بالأحكام. فالواضح أن عملية خليج سرت في آذار/ مارس كانت بيساطة موقته لإثارة هستيريا الشوفينية قبل تصويت السينات الحاسم على تقديم الدعم للكونترا، والذي تزامن مع "غزو" نيكاراغوي مفبرك للهندوراس، وهي عملية علاقات عامة نجحت بشكل لامع كما برز في رد الفعل الغاضب لحمائم الكونغرس ووسائط الإعلام بشكل عام ، وتصويت

السينات (انظر الفصل الثاني). والمسرحية الهزلية، والتي تدعي الهندوراس رسمياً أنها لم تطلبها، والتي لاشك في أنها "ضاعت" بسهولة في معسكرات الكونترا، وهذا أسلوب آخر بواسطته تلتف عصابة واشنطن المتمردة على القانون على القيود الضعيفة التي يفرضها الكونغرس على سلوكها اللصوصي(٢٦). واستفزاز خليج سرت كان ناجحاً أيضاً لأنه مكن القوات الأميركية من إغراق عدة زوارق ليبية، وقتل أكثر من ٥٠ ليبياً، وكما كان مؤملاً، تحريض القذافي على أعمال الإرهاب ضد الأميركيين، كما جرى الإدعاء لاحقاً.

وبينما نجحت القوات الأميركية في قتل ليبيين كثيرين، فإنها تفردت في عدم قدرتها على إنقاذ الناجين. فالمهمة كما يبدو كانت مستحيلة، خاصة وأن ١٦ من الذين نجوا من الهجوم الأميركي تمَّ إنقاذهم من قارب نجاة على يد ناقلة نفط إسبانية(٢٧).

والهدف الرسمي من العملية العسكرية الأميركية كان تثبيت حق المرور في خليج سرت، الأمر الذي هو هراء خالص، خاصة وأن إرسال أسطول بحري كان بالكاد الوسيلة الضرورية أو الملائمة لتحقيق ذلك الهدف: حيث الإعلان عن ذلك كان كافياً. وإذا كانت خطوات إضافية تعتبر ضرورية لسبب ما، فالوسائل القانونية كانت متوفرة بيسر. فإذا كان لأحد خلاف مع جاره على الحق في ملكية ما، فهناك طريقتان للتقدم بشأنه: احداهما أخذ المسألة إلى المحاكم، والثانية امتشاق بندقية وقتل الجار. والخيار الأول كان بالتأكيد متوفراً في حالة خليج سرت.

ولأنه من الواضح أن المسألة لم تكن ملحة، فقد كان بالإمكان اللجوء إلى الوسائل القانونية لتثبيت حق المرور البريء، لكن دولة إرهابية عنيفة ومتمردة على القانون تلحظ بالطبع أولويات مختلفة. وعندما سئل لماذا لم

تأخذ الولايات المتحدة الموضوع إلى المحكمة الدولية، قال برايان هويل، مدير مكتب قانون المحيطات والسياسات المتعلقة به في وزارة الخارجية، أن القضية "كانت ستأخذ سنين وسنين. وأنا لاأعتقد أننا نستطيع التعايش مع ذلك" (٢٨) ـ أخذاً بالاعتبار الضرورة الواضحة لأساطيل الولايات المتحدة البحرية للعمل في خليج سرت إذا كان للولايات المتحدة أن تعيش كأمة.

وموقف الولايات المتحدة ملتبس لأسباب أكثر تحديداً. فالصحافة تتكلم عن "قانون البحار"، لكن الولايات المتحدة بالكاد تقف على أرض صلبة بالاحتكام إلى هذا المبدأ، ولو لأن إدارة ريغان قد رفضت فقط معاهدة قانون البحار. وفوق ذلك، ليبيا أطلقت النار على طائرات اميركية، وليس على سفن أميركية، و"قانون الجو" بعيد عن أن يكون مثبتاً جيداً. والدول تقوم بادعاءات مختلفة بهذا الصدد. والولايات المتحدة على سبيل المثال، تدعي ٢٠٠ ميل كمنطقة تعريف للدفاع الجوي، والتي لها الحق فيها بممارسة "الدفاع عن الذات" ضد أية طائرة مقتحمة تعتبر معادية. ومامن شك بأن الطائرات الأميركية كانت بعيداً داخل ٢٠٠ ميل من المنطقة الليبية ٤٠ ـ ميلاً، كما يدعي البنتاغون ـ وكانت معادية، وعليه بالمعايير الأميركية، كانت ليبيا ضمن حقوقها عندما اعترضتها. وقد لاحظ هذه النقطة أستاذ القانون المحافظ الفرد روبين، من كلية فلتشر في جامعة تفتس، الذي علق بقوله "بإرسالنا الطائرات ذهبنا أبعد مما هو مسموح لنا حسب قانون البحار" في "استفزاز غير ضروري".(٢٩) ولكن بالنسبة إلى دولة قطاع طرق، فإن مثل هذه القضايا لاتمت للموضوع بصلة، والممارسة كانت ناجحة، على الأقل داخليا.

إن مدى الاستفزاز في خليج سرت قد أوضحه المتحدث باسم البنتاغون روبرت سيمز، الذي قال "إن سياسة الولايات المتحدة هي إطلاق النار على أي قارب ليبي يدخل المياه الإقليمية في خليج سرت مادامت المناورات

البحرية الأميركية في المنطقة مستمرة، بغض النظر عن بعد ذلك القارب عن السفن الأميركية" "أخذا بالاعتبار النية العدائية، التي أبدتها ليبيا عندما حاولت إسقاط طائرات حربية أميركية"، قال سيمز، فأي زورق عسكري ليبي هو "تهديد لقواتنا"(٣٠). وباختصار، فالولايات المتحدة تحتفظ لنفسها بالحق بإطلاق النار "دفاعاً عن النفس" على أي قارب ليبي يقترب من الأسطول البحري الضخم بالقرب من الساحل الليبي، ولكن ليس لليبيا الحق بالدفاع عن النفس في مجال جوي مواز لذلك الذي تدعيه الولايات المتحدة.

وهناك المزيد من هذه القصة. فالمراسل البريطاني ديفيد بلندي أجرى مقابلة مع مهندسين بريطانيين في طرابلس كانوا يصلحون جهاز الرادار الذي نصبه الروس هناك. وأحدهم، الذي يقول أنه كان يرصد الحادث كله عبر شاشات االرادار "التي على عكس ادعاء البنتاغون لم تكن أخرجت من الاستعمال" أفاد أنه " رأى طائرات أميركية تعبر، ليس فقط إلى الـ١٢ ميلاً من مياه ليبيا الإقليمية، وإنما إلى مافوق الأرض الليبية أيضاً. "لقد راقبت الطائرات تطير حوالي ثمانية أميال داخل المجال الجوي الليبي"، وقال "لاأعتقد أنه كان لدى الليبيين أي خيار سوى الرد، وفي رأيي أنهم كانوا مترددين في فعل ذلك". وأضاف المهندس "إن الطائرات الأميركية اقتربت مستخدمة مسرب الطيران المدني وطارت متعقبة طائرة مدنية ليبية بحيث أن صورتها تحجب تلك الطائرات عن شاشات الرادار الليبي"(٣١).

ولم تظهر أية إشارة إلى هذه المعلومات في وسائط الإعلام الأميركية، بحسب معرفتي، فيما خلا تقرير الكسندر كوكبرن الممتاز كالعادة، حيث يلعب دوره المعتاد في تقديم ترياقه الشخصي لخضوع وسائط الإعلام وتشويهاتها. ومقالة بلندي لم تضع بشكل غامض عن الصحافة الأميركية. لقد استشهد بها جوزف ليلفلد من التايمز، ولكن مع تجاهل متعمد لمحتواها المفصلي(٣٢).

وواحدة من النتائج المحتملة لعملية خليج سرت، وبلا شك المنتظرة بشغف، كانت استجرار عمليات إرهاب ليبية كرد انتقامي. وهذا من شأنه أن يتمخض عن حالة من الذعر في الولايات المتحدة، وبضربة من الحظ، في أوروبا أيضاً، بما يهيِّئ المسرح للتصعيد التالي. وتفجير الملهى الليلي لابيل في برلين الغربية بتاريخ ٥ نيسان/أبريل، حيث قتل جندي أميركي أسود وشخص تركي، (٣٣) حمّلت ليبيا مسؤوليته فوراً، واستعمل لاحقاً كذريعة لقصف طرابلس وبنغازي في ١٤ نيسان/ أبريل، حيث قتل الكثير من الليبيين، والظاهر أن غالبيتهم من المدنيين (حوالي ١٠٠ ،حسب الصحافة الغربية، ٦٠ حسب التقرير الرسمي الليبي). والقصف كان موقتا بدقة في اليوم السابق لتصويت مجلس النواب على المساعدة للكونترا. وإذا كان جمهور المستمعين قد أخطأ فهم الرسالة، فأن كتاب خطاب ريغان قد جعلوها صريحة. وفي خطاب أمام مؤتمر رجال الأعمال الأميركين في ١٥ نيسان/ أبريل ،قال: "وأنا أود أن أذكر المصوتين في مجلس النواب هذا الأسبوع بأن هذا الإرهابي الرئيسي قد أرسل ٤٠٠ مليون دولار وشحنات كبيرة من الأسلحة والمستشارين إلى نيكاراغوا لنقل حربه إلى داخل الولايات المتحدة. لقد تباهى بأنه يساعد النيكاراغويين لأنهم يحاربون أميركا على أرضها" (٣٤) ، وفكرة أن "الكلب المسعور" ينقل حربه إلى داخل الولايات المتحدة عبر تزويده السلاح لشعب تهاجمه الولايات المتحدة عبر جيشها من الإرهابيين العملاء كانت لمسة جميلة، مرّت دون تعليق يذكر، لكن عملية العلاقات العامة لم تنجح، هذه المرة، في دفع الكونغرس، مع أن قصف ليبيا أذكى عواطف شوفينية.

هذه النتيجة ربما يمكن أن تعزى إلى حد كبير إلى العنصرية السائدة ضد العرب وإلى الغياب النسبي لأي رد فعل عاقل على أحداث سابقة من

الهستيريا المفبركة حول جرائم القذافي الحقيقية والمدّعاة.

وهجوم ١٤ نيسان/أبريل كان القصف الأول في التاريخ الذي يجري إعداده للإرسال التلفزيوني في الوقت الرئيسي. فكما يظهر السجل المنشور لاحقاً كانت غارات القصف موقته بدقة بحيث تبدأ بالضبط الساعة ٠٠: ٧ مساء حسب توقيت الساحل الشرقي -كما حصل فعلاً؛ (٣٥) أي تماما في اللحظة التي تبدأ قنوات التلفزيون الوطنية الثلاث نشر برامج أخبارها الرئيسية، والتي بالطبع جرى استباقها عندما تحول منسقو الأخبار المهتاجون إلى طرابلس وإلى تقارير شهود عيان مباشرة حول أحداث مثيرة. وحالما انتهت الغارات، أرسل البيت الأبيض لاري سبيكس ليخاطب مؤتمراً صحفياً، وتبعته شخصيات أخرى، بما يضمن هيمنة كاملة لنظام الدعاية خلال الساعات الأولى الحاسمة.

ويستطيع المرء أن يجادل بأن الإدارة قد قامرت في هذه العملية الشفافة من العلاقات العامة لأنه كان بإمكان الصحفيين طرح بعض الأسئلة الصعبة، ولكن البيت الأبيض كان واثقاً بحق أن لاشيء غير مناسب قد يحصل وأن إيمانه بعبودية وسائط الإعلام قد أثبت أنه مضمون بالكامل.

وبالتأكيد، فإن أسئلة كان يمكن أن تثار. وفي ذكر الأكثر وضوحا منها فقط، فأن سبيكس أعلن أن الولايات المتحدة علمت في ٤ نيسان/ أبريل أن "مكتب الجماهيرية" الليبي في برلين الشرقية أخبر طرابلس بإن هجوماً سيقع في برلين في اليوم التالي، وأنه عندئذ أعلم طرابلس بأن تفجير الملهى الليلي لابيل قد حصل، كما هو مخطط. وهكذا فالولايات المتحدة كانت تعلم ٤ ـ ٥ نيسان/ أبريل- بالتأكيد، كما ادعى البيت الأبيض- بأن ليبيا كانت مسؤولة مباشرة عن تفجير هذا الملهى. وعليه، يمكن للمرء أن يطرح السؤال لماذا كانت التقارير من الولايات المتحدة وألمانيا الغربية منذ ٥ نيسان/ أبريل

وحتى لحظة الهجوم تؤكد دائماً أنه كانت هناك بالحد الأقصى شبهات بانخراط ليبي. وفي الحقيقة، فكل صحفي استمع لرواية الإدارة كان في يده، أو يدها ـ إذا لم نفترض عدم الكفاءة المذهل لمكاتب الأخبار ـ تقرير الاسوشييتد برس من برلين الذي بث عبر البرقيات في الساعة ٢٨ : ٦ بعد الظهر بتوقيت الشاطئ الشرقي، نصف ساعة قبل القصف، ويعلن أن "القيادة العسكرية المشتركة [في برلين الغربية] لم تصدر أي تقرير عن تطورات في التحقيق حول تفجير الملهى الليلي" وأن "موظفين أميركيين وألمان غربيين قالوا أن ليبيا ـ ربما عبر سفارتها في ألمانيا الشرقية الواقعة تحت الحكم الشيوعي ـ مشتبه بانخراطها في تفجير الملهى الليلي لايل"(٣٦).

وعليه، فقد كان بإمكان بعض الصحفيين أن يسأل كيف جرى أنه بضع دقائق قبل الهجوم، كانت الولايات المتحدة وألمانيا الغربية لاتزالان، بالحد الأقصى، يساورهما الشك بانخراط ليبي ـ كما كان الحال خلال الفترة السابقة ـ بينما في ٤ ـ ٥ نيسان/ أبريل ،أي قبل عشرة أيام، كانت لديهما معرفة أكيدة بذلك. ولكن أسئلة محرجة لم تطرح آنئذ، ولامنذئذ، والحقائق التي تمت للموضوع بصلة تمَّ كتمها بدرجة كبيرة.

لقد أعلن ريغان مساء ١٤ نيسان/أبريل أن "أدلتنا مباشرة، وهي دقيقة، ولايمكن نقضها" ـ تماما كما "أننا نملك الأدلة، والقذافي يعلم ذلك" بالنسبة لقضية المغتالين الليبيين، ناهيك عن الانخراط في أعمال الساندنيستا وترويج المخدرات، وإعلانهم "الثورة بلا حدود" ، دعم هيلموت كول وبيتينو كراكسي للهجوم الليبي (الأمر الذي نفاه بغضب موظفون في ألمانيا وإيطاليا)(٣٧)، وغير ذلك من التلفيقات العديدة لإدارة تجاوزت كثيراً المعايير المعتادة من النفاق، ولكنها تستمر "باقتراف أية جريمة، بالكذب ، والخداع" لتحقيق أهدافها ـ حسب كلام القيادة الشكلية، إشارة إلى نماذجه الستالينية. وهي واثقة بأن

الانكشاف بين الحين والآخر، والذي يطبع بالصحف بحروف صغيرة، فترة طويلة بعد الحدث، لن يحول دون تدفق الأكاذيب المستمر من تحديد شروط الجدل، بينما يبقي الانطباع الملائم مغروساً بثبات، تماما كما يفعل الآن.

إلا أن هذا النظام لم يسد وراء الحدود. ففي ألمانيا، أسبوعاً بعد أن أعلنت واشنطن معرفتها الأكيدة قبل عشرة أيام (٤ ـ ٥ نيسان/أبريل) مسؤولية ليبيا عن تفجير الملهى، أوردت دير شبيغل تقريراً (٢١ نيسان/ أبريل) يفيد أن التقاط المحادثة التلفونية الشهير لاأساس له كما يبدو، وأن المخابرات الألمانية الغربية كانت تشك فقط بانخراط ليبي، كما أنها تشك بـ "مجموعات متنافسة من تجار المخدرات" ضمن إمكانيات أخرى (بمن فيها كلان أو مجموعات نازية جديدة، كما يشك البعض؛ حيث كان جنود سود أميركيون ومهاجرون من العالم الثالث يرتادون الملهى). وأضافت دير شبيغل بأن حرب واشنطن "هي وسيلة سياسية، مادام العدو صغيراً بحجم غرينادا وليبيا ـ والخصم مثالياً مثل القذافي، ويجب ألاّ تساور أي قائد أوروبي أوهام أن هموم أوروبا ومصالحها ستؤخذ بالحسبان إذا قررت الولايات المتحدة تصعيد العنف الدولي، حتى إلى حرب عالمية أخيرة، أضاف المحرر رودلف اوغسطين.[٣٨] وفي مقابلة بتاريخ ٢٨ نيسان/ أبريل مع مراسل صحيفة الجيش الاميركي، ستارز اند سترايبس، أعلن مانفرد جانشو، رئيس شرطة برلين والذي يترأس فريقاً من ١٠٠ رجل للتحقيق في تفجير الملهى "ليست لدي أدلة أن لليبيا علاقة بالتفجير أكثر مما كان لدي عندما اتصلت بي للمرة الأولى بعد يومين على الحدث. وهو لاشيء". وقد وافق أنها "كانت مسألة سياسية إلى درجة عالية" وألمح إلى كثير من التشكك ما يقوله "السياسيون"، وماعساهم يقولون عنها.[٣٩]

الصحافة الأميركية أخفت الشكوك التي عبرت عنها وسائط الاعلام

والفريق المحقق في ألمانيا، ولكن القاريء الفطن يستطيع اكتشافها في التقارير الواردة عن التحقيقات المستمرة، حيث يتم استجواب مشبوهين مختلفين. وادعاءات الحكومة الأميركية بـ"معرفة أكيدة" بتاريخ ٤ ـ ٥ نيسان/أبريل جرى تخفيفها بمحددات مثل "بحسب التقارير" و"حسب الادعاء" كمؤشر إلى أن وسائل الإعلام تعلم جيداً أن الإدعاءات مشكوك فيها وملفقة، ولكنها أكثر ولاء وخشية من أن تقول ذلك ـ وهكذا وبالصدفة، فهي تكشف عن تواطئها بالتفجير الإرهابي.(٤٠) فالتردد، المحدِّدات، والتراجع عن التأكيد الواثق السابق والاستشهاد غير المباشر بأدلة تنسف ادعاءات الإدارة ـ وهذه هي الأدوات التي تستعملها وسائط الإعلام للإشارة إلى أنها تعي جيداً أنه لم تكن هناك قط أية جدارة للقضية التي دعمتها بحرارة عندما دعيت للاحتشاد حول الراية.

إن عملية العلاقات العامة كانت بالتأكيد ناجحة في الداخل، على الأقل إلى المدى القريب. فهي "تلعب دورها جيداً في بيوريا"، كما تورد الصحافة في تقاريرها، مثال ناجح من "هندسة التوافق الديمقراطي" الذي يجب، كما هو المقصود منه، "أن يقوي يد الرئيس ريغن في تعامله مع الكونغرس في قضايا الميزانية العسكرية والدعم للكونترا في نيكاراغوا."(٤٢).

وللكثيرين في العالم، الولايات المتحدة قد أصبحت موضوع خوف كبير، نظراً لأن "رئيسها راعي البقر الشاذ" منشغل بأعمال "جنونية" من تنظيم "عصابة من سفاكي الدماء" لمهاجمة نيكاراغوا ويقوم بأعمال القصف الحمقاء في أمكنة أخرى، كما تقول الصحيفة الرائدة في كندا، والتي هي متحفظة على العموم ومنحازة إلى الولايات المتحدة في ميولها.[٤٣] وإدارة ريغان تلعب بنجاح على هذه المخاوف مستغلة استراتيجية "الرجل المجنون" لنيكسون. وفي قمة طوكيو للديمقراطيات الصناعية المتقدمة

في أيار/ مايو، وزعت إدارة ريغان ورقة موقف أعلنت فيها أن أحد الأسباب الموجبة لاصطفاف أوروبا وراء حملة الولايات المتحدة هو "ضرورة عمل شيء من أجل ألاً يعود الأميركيون المجانين لتولي الأمور بأيديهم مرة ثانية" والتهديد نجح بانتزاع تصريح ضد الإرهاب يذكر ليبيا فقط بالاسم(٤٤). والتهديد الصريح يجري تجاهله دوماً بينما وسائط الإعلام تحتفل ابتهاجاً بـ"نجاح" قصف ليبيا في جر الاوروبيين "الجبناء" لاتخاذ الإجراءات المطلوبة لمواجهة التهديد الليبي للحضارة الغربية.

ورد الفعل على قصف ليبيا كان مختلفاً بشكل حاد في الخارج عما هو في الداخل. وأعضاء المجموعة الاقتصادية الأوروبية الإثنا عشر دعوا الولايات المتحدة لتجنب "المزيد من تصعيد التوتر العسكري في المنطقة بكل ماينطوي عليه من أخطار". وبعد بضعة ساعات ضربت الطائرات الحربية الأميركية، بينما كان وزير خارجية ألمانيا هانس ديترش جينشر في طريقه إلى واشنطن لتوضيح موقف المجموعة الاقتصادية الأوروبية. وقال الناطق باسمه "إننا نريد أن نعمل كل شيء بمستطاعنا لتجنب التصعيد العسكري" وقد أثار القصف احتجاجاً واسعاً في غالبية دول اوروبا، بما في ذلك مظاهرات حاشدة، كما استجر تعليقات شاجبة في غالبية دول العالم. والصحيفة الإسبانية الرئيسية ،البايس المستقلة، شجبت الغارة، وكتبت أن "عمل الولايات المتحدة العسكري ليس إساءة إلى القانون الدولي وتهديداً خطيراً للسلم في البحر المتوسط فحسب، وإنما استهزاء بالحلفاء الأوروبيين، الذين لم يجدوا حوافز للعقوبات الاقتصادية ضد ليبيا في اجتماع يوم الاثنين، رغم أنهم تعرضوا سابقاً للضغط من أجل تبني فرض العقوبات ، ولكن دون نجاح". وصحيفة ساوث تشاينا مورننغ بوست المحافظة في هونغ كونغ كتبت تقول "إن علاج الرئيس ريغان 'لكلب الشرق الأوسط المسعور'

قد يثبت أنه أكثر إهلاكا من المرض" ، وعمله "قد يكون أشعال فتيل لحريق أكبر" في الشرق الأوسط. وفي مكسيكو سيتي كتبت صحيفة الـ يونيفيرسال بأن الولايات المتحدة "لاتملك الحق لتنصيب نفسها حامية للحرية بالعالم"، وحثت على العودة إلى الوسائل القانونية عبر الأمم المتحدة. وقد كانت هناك ردود فعل مثيلة عديدة.

بالمقابل، كانت الصحافة الأميركية محبذة بشكل ساحق. نيويورك تايمز كتبت أنه "حتى المواطن الأكثر توسوساً لايستطيع إلا أن يؤيد ويطري على الهجمات الأميركية على ليبيا"، ووصفت ذلك بأنه حكم عادل: "الولايات المتحدة حاكمت القذافي بدقة، بشكل مناسب ـ وبعدالة" . والدلالة على مسؤولية ليبيا عن تفجير الملهى الليلي أصبحت الآن "مطروحة بوضوح أمام الجمهور"؛ "وعندها جاءت هيئة المحلفين، من الحكومات الأوروبية، التي خرجت الولايات المتحدة عن طريقها في إرسال المبعوثين إليها لإشراكها في الدلائل وحثها على عمل منسق ضد القائد الليبي". ولايمت للموضوع بصلة، كما يبدو، أن هيئة المحلفين بالكاد اقتنعت بهذه الأدلة، وأصدرت "حكماً" يدعو الجلاد للامتناع عن القيام بأي عمل ـ كما أنه من الضروري التعليق في افتتاحية عن الحقيقة، التي أصبحت الآن معترفاً بها ضمناً بأن الأدلة كانت قليلة الجدارة، أو عديمتها.

وغالبية الحكومات شجبت العمل، وإن لم يكن كلها.

بريطانيا وكندا سايرتا العمل، مع أن رد الجمهور كان مختلفاً بشكل حاد، وكما كان هناك تأييد من قبل فرنسا بمزاجها الراهن من التطرف الريغاني. ووكالة الإذاعة التي تسيطر عليها حكومة جنوب أفريقيا قالت أن الهجوم "يؤكد التزام قائد العالم الغربي باتخاذ عمل إيجابي ضد الإرهاب"؛ الولايات المتحدة كانت محقة بمهاجمتها القذافي، "الذي اسمه مرادف

تماما للإرهاب الدولي." وفي اسرائيل، رئيس الحكومة شمعون بيرس أعلن أن عمل الولايات المتحدة كان مبرراً بوضوح كونه "دفاعاً عن النفس": "فإذا كانت الحكومة الليبية تصدر الأوامر باغتيال جنود أمريكيين بدم بارد في بيروت، في منتصف الليل، فماذا تتوقع أن تعمل الولايات المتحدة؟ أتنشد هللوليا؟ أم تقوم بعمل دفاعاً عن نفسها؟" وفكرة أن الولايات المتحدة كانت تعمل "دفاعاً عن النفس" ضد هجوم على قواتها قبل عامين ونصف في بيروت هي بدعة تلفت النظر، حتى لو وضعنا جانباً الظروف التي واكبت ذلك العمل "الإرهابي" السابق.[٤٥]

وفي الولايات المتحدة، السيناتور مارك هاتفيلد، أحد القلة من الشخصيات السياسية في هذا البلد ممن يستحق اللقب المشرف "محافظ"، شجب الغارة الأميركية "في قاعة السينات المهجورة تقريباً"، وفي رسالة إلى التايمز. عددمن قادة الطوائف المسيحية الرئيسية شجبوا القصف، ولكن القادة اليهود عموما امتدحوه، وبينهم الحاخام الكسندر شندلر، رئيس اتحاد الطوائف اليهودية الأميركية، الذي قال "أن حكومة الولايات المتحدة قد ردت بشكل ملائم ونشط على الإرهاب الأحمق "للقذافي". وأستاذ الشؤون الدولية في جامعة هارفارد، جوزف نبي، قال أنه كان على ريغان أن يرد "على المدفع الذي يتصاعد منه الدخان في حادث برلين. وماذا تستطيع غير ذلك أن تفعل بشأن الإرهاب الذي تدعمه الدولة؟" - كما هو الحال بالنسبة إلى الإرهاب المدعوم أميركيا في أميركا الوسطى وجنوب لبنان، على سبيل المثال، حيث "المدفع الذي يتصاعد منه الدخان" ظاهر أكثر بكثير للعيان. يوجين روستو أيّد القصف على أنه "لامفر منه وقد طال عليه الزمن" كجزء "من دفاع أكثر نشاطاً ضد مسار التوسع السوفياتي" - وهو تعبير نموذجي لخليط غريب من الشوفينية الحمقاء والخيال المادي الذي

حقق لنفسه الاحترام في التعليق الجاري على الشؤون الدولية.

وقد أوضح بأن "الإزاحة القسرية لنظام القذافي ستكون مبررة تماماً في ظل القوانين والأعراف الدولية القائمة"، لأن القذافي "قد انتهك هذه الأعراف بشكل متواصل وصارخ". "أما والحالة هذه، فكل دولة تضررت من أعمال ليبيا لها الحق، بمفردها أو سوية مع آخرين، باستعمال أية درجة من القوة تكون ضرورية بنسبة معقولة لوضع نهاية لسلوك ليبيا غير القانوني. ليبيا هي في الموقع القانوني لقرصان بارباري".(٤٦) وحث دول حلف شمال الأطلسي على "إصدار إعلان عن مسؤولية الدول عن الأعمال غير القانونية التي تنفذ من أراضيها".(٤٧) وعليه إذن، يجب على حلف الأطلسي أن يشجب الإمبراطور، وليس فقط القرصان، والدول من الهند الصينية إلى أميركا الوسطى والشرق الأوسط، وغيرها، يجب أن تنتظم لاستخدام أية درجة من القوة تكون ضرورية لمهاجمة الولايات المتحدة، اسرائيل وغيرهما من الدول الإرهابية.

وبالنسبة إلى مراسل اي .بي. سي .تشارلز غلاس، الذي قدم تقريراً عن القصف ونتائجه من مسرح الحدث، الذي ترمز إليه رسالة مكتوبة بخط اليد من طفلة عمرها سبع سنوات، انتشلت من بين أنقاض بيتها. وكان قد زار عائلتها التي درست في الولايات المتحدة وهذا نصها:

السيد ريغان المحترم:

لماذا قتلت أختي الوحيدة رفا وصديقتي رشا، فهي ابنة تسع سنوات فقط، ودميتي الطفلة ستروبري. هل صحيح أنك تريد قتلنا لأن أبي فلسطيني وأنك تريد قتل القذافي لأنه يريد أن يساعدنا لكي نعود إلى بيتنا وأرضنا.

اسمي كندة(٤٨)

آخرون رأوا المسألة بشكل مختلف. مايكل والتزر جادل الأوروبيين الذين انتقدوا قصف ليبيا كقضية "إرهاب دولة". وأعلن أنه لم يكن كذلك، "لأنه كان موجهاً ضد أهداف عسكرية محددة، والطيارون جازفوا في محاولاتهم لضرب تلك الأهداف دون سواها." وإذا صدف أن أصاب القصف الليلي أحياء سكنية مأهولة بكثافة من طرابلس، وقتلت مدنيين كثيرين، فهذه هي الطريقة التي تتفتت بها الكعكة[٤٩]. ربما هذا مايجب أن نتوقعه من المعلم الأخلاقي المحترم والمنظر للحرب العادلة الذي طمأننا أن الغزو الإسرائيلي للبنان يمكن الدفاع عنه بهذا المفهوم، وبأن عمليات اسرائيل العسكرية في جنوب لبنان كانت "مثالاً جيداً من الحرب المناسبة" وإذا تعرض المدنيون "للخطر" أثناء القصف الإسرائيلي لبيروت، فإن "المسؤولية عن هذا الخطر تقع على منظمة التحرير الفلسطينية"[٥٠].

إن مشاركة وسائط الإعلام في هذا العمل من إرهاب الدولة الذي جرى استعراضه الآن لم تتوقف عند السلوك الوطني الذي اتخذته في فترة القصف، الأمر الذي كان استكمالاً طبيعياً للتصديق السابق لأية قصص خرافية اختارت الإدارة تلفيقها. فلقد كانت ضرورية أيضاً لإظهار أن القصف كان ناجحاً في كبح الإرهاب الليبي، كما يثبت من غياب عمليات الإرهاب المنسوبة للقذافي بعد القصف. وبالطبع، فلتكريس الأطروحة، من الضروري كتم الحقيقة بأنه لم تكن هناك حالات موثوقة منسوبة إليه قبل القصف فيما خلا تلك التي ذكرت سابقاً، والتي من الواضح أنها لاتمت للموضوع بصلة. ووسائط الإعلام أثبتت مرة أخرى بأنها ملائمة تماما للمهمة المطلوبة.

ومحررو واشنطن بوست مجّدوا قصف ليبيا على أرضية أنه "لأعمال إرهابية جديدة تنسب إلى "العقيد القذافي" الذي أخضع "لسياسة مكبوتة".

والأكثر أهمية بعد هو الوقع على الحلفاء الغربيين الذين بغالبيتهم "كانوا بحاجة إلى الصدمة" التي تلقوها من "نموذج الحزم، دقة المعلومات الاستخباراتية التي لايمكن إنكارها، وإظهار عزلة ليبيا اللاحقة، وليس الأقل شأناً، الهبوط بمعدل السياحة" ـ وكذلك، ليس الأقل شأناً، التهديد بأن "الأميركيين المجانين" يمكن أن يتصرفوا بدون مسؤولية في مكان آخر (انظر أعلاه)، وهو تهديد جرى توكيده عبر إرسال زوارق بحرية اميركية إلى بعد بضعة أميال من الساحل السوفياتي في البحر الأسود في ذلك الوقت نفسه[٥١]؛ لاحظ أنه حتى هذا التاريخ المتأخر، لايزال المحررون يجدون من الممكن الإشارة إلى "الدقة التي لايمكن إنكارها للمعلومات الإستخباراتية"، وديفيد أغناتيوس كتب أن القصف "نجح بشكل مفاجئ ضد معمر القذافي الليبي" وحقق "بعض التغييرات المجفّلة ـ والمفيدة جدّاً في ليبيا، الشرق الأوسط وأوروبا". لقد أثبتت أن القذافي كان "ضعيفاً، معزولاً وعرضة للعطب"،"وفي الحقيقة، عرضة للعطب إلى حد أن الطائرات الأميركية كانت قادرة على العمل بحرية داخل مجاله الجوي، المحصن جيّداً" ـ وهو نصر باهر فعلاً، واكتشاف مفاجئ جدّاً عن هذه القوة العظمى. وللتدليل على "النفسية التي سمحت للقذافي بتخويف الكثير من دول العالم"، أغناتيوس لايستشهد بأية أعمال، و إنما يعلن بدلاً عن ذلك، وبشكل أعرج نوعاً ما ، أنه حتى لو "عاد الليبيون مرة أخرى للاشتغال بالإرهاب، فإن ذلك لن يكون على المستوى الذي بدا أنهم يقلعون به في بداية السنة"، عندما "علمت الاستخبارات الأميركية أن ليبيا قد أمرت "مكاتبها الشعبية" بالقيام بهجمات إرهابية في حوالي دزينة من المدن". وكصحفي قدير جدّاً، يعرف أغناتيوس أن ادعاءات حكومة الولايات المتحدة حول ما "تعلمته" الاستخبارات لاقيمة لها؛ ودلالته على "نجاح" العملية بمصطلحات خطط

مدّعاة قد أحبطت هي طريقته الحذرة في قول أن نتائج "العملية القذرة" كانت لاشيء.(٥٢)

وبشكل مثيل يلاحظ جورج موفيت أن الهجمات الإرهابية الليبية "قد شارفت على الانتهاء" - أي أنها قلصت من قريب الصفر إلى قريب الصفر- الأمر الذي هو أحد "التطورات الإيجابية" التي "يبدو أنها تبرر سياسة إدارة ريغان بالرد الإنتقامي العسكري" ؛ وزميله جون هيوز يلاحظ بنشوة النصر أنه "منذ الضربات الجوية التأديبية ضد ليبيا...لم تكن هناك هجمات إرهابية كبيرة على الأميركيين بتوجيه من العقيد معمر القذافي" كما لم يكن شيء من ذلك من قبل، بقدر ماهو معلوم.(٥٣)

والرسالة إلى إرهابيي الدولة واضحة: سنتبع إملاءاتكم عندما تلفقون سجلاً من الإرهاب الذي أرعب العالم، وعندما تنفذون أعمالاً إرهابية كبيرة لمعاقبة هذا العمل الداعي إلى السخط، وعندما تعلنون أنه نتيجة لبطولتكم، فقد أخضع المجرم. والحقائق المجردة لن تردعنا قط عن الطاعة.

ومن أجل السجل، "لقد كان هناك حوالي ١٨ حادثاً إرهابياً ضد أميركيين في أوروبا الغربية والشرق الأوسط خلال الأشهر الثلاثة منذ الغارة على ليبيا، مقارنة بحوالي ١٥ خلال ثلاثة أشهر ونصف قبلها" بينما "في العالم أجمع، فإن معدل العمل الإرهابي الموجه ضد أميركا يبدو مختلفاً قليلاً فقط عن السنة الماضية"، كما تلاحظ الايكونومست (وهي تمجد عمل ريغان الشجاع)؛ والمتخصص الأول في وكالة راند حول الإرهاب يلاحظ أن الهجمات الإرهابية بعد الغارة استمرت بنفس المستوى كما قبلها. (٥٤)

ولاستكمال السجل، ففي ٣ تموز / يوليو نشر مكتب التحقيقات الفيدرالي تقريراً من ٤١ صفحة يستعرض حوادث الإرهاب داخل الولايات المتحدة عام ١٩٨٥ . وقد سجل سبعة حوادث، قتل فيها شخصان. وفي عام ١٩٨٤ ،

كان هناك ١٣ حادثاً إرهابياً. والعدد كان يتناقص كل عام منذ ١٩٨٢ ، عندما سجل ٥١ حادثاً إرهابياً [٥٥]. وتغطية وسائط الإعلام لتقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي يثير الاهتمام. فصحيفة تورنتو غلوب أند ميل أوردت رواية اسوشييتد برس بتاريخ ٤تموز/ يوليو بعنوان: "متطرفون يهود يعتبرون مسؤولين عن مقتل شخصين". والفقرة الرئيسية تقول: "متطرفون يهود اقترفوا أربعة من أعمال الإرهاب السبعة التي قتل فيها شخصان في الولايات المتحدة عام ١٩٨٥ ، كما ورد في تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي أمس" . ويتابع التقرير في تقديم التفاصيل عن "الحوادث المعزوّة إلى متطرفين يهود" والتي "قتلت شخصين وجرحت تسعة، كما يقول التقرير" (والاثنان هما الضحيتان الوحيدتان)، ضمن حوادث أخرى. وبالمقابل، لم تورد نيويورك تايمز قصة تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي. وإشارتها الوحيدة إلى التقرير كان في الفقرة الحادية عشرة في عمود بتاريخ ١٧ تموز/ يوليو، يقول: "بحسب التقرير السنوي لمكتب التحقيقات الفيدرالي عن الإرهاب، أربعة من سبعة حوادث من الإرهاب الداخلي في ١٩٨٥ يعتقد أنها تتصل بـ جماعات يهودية إرهابية'. لم تصدر أحكام عن أي من التحقيقات". والصحيفة الوطنية الثانية، واشنطن بوست، أوردت قصة عن تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي بتاريخ ٥تموز/ يوليو عنوانها "الإرهاب الداخلي تراجع في العام الماضي، كما يظهر تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي". ولوحظ في ذلك "أن حالتي القتل وكذلك الجرحى التسعة كلها نسبت إلى الأعمال الإرهابية الأربعة التي نفذها المتطرفون اليهود" (من الأعمال السبعة الوارد ذكرها بالتقرير)؛ وقد تكرر ذلك في ١٧ تموز/ يوليو في قصة عن تحقيق مكتب التحقيقات الفيدرالي في اغتيال الكس عودة، مع الملاحظة بأنه "يشتبه بمجموعات يهودية متطرفة". (٥٦)

هذه الجمل الثلاث تشكل التغطية في الصحافة الوطنية حول نتائج تقرير

مكتب التحقيقات الفيدرالي عن مصادر الإرهاب الداخلي في ١٩٨٥ . لم ألاحظ أية افتتاحيات أو تعليقات تدعو الولايات المتحدة لقصف تل أبيب أو القدس من أجل استئصال "السرطان" وإخضاع الكلاب المسعورة التي جلبت "سوط الإرهاب الشرير" إلى شواطئنا. ويمكن للمرء أن يتساءل لماذا لا. وطبيعي، أن إسرائيل تنفي أية مسؤولية عن أعمال "المتطرفين اليهود" وتشجب الأعمال الإرهابية، كما يفعل عضو الكنيست الحاخام كاهانا الذي رفاقه السابقون من عصبة الدفاع اليهودية هم الذين يشتبه مكتب التحقيقات الفيدرالي بتنفيذهم هذه الأعمال، كما أن الولايات المتحدة تنفي أية مسؤولية عن أعمال الإرهاب التي يقترفها أولئك الذين دربتهم وشجعتهم. ولكن كما ذكرت سابقاً، فهذه الأعذار لاتساوي شيئاً بالمعايير المطبقة على معمر القذافي وياسر عرفات، اللذين يشجبان الإرهاب أيضاً، وينفيان المسؤولية عنها. ولنتذكر مرة أخرى المبدأ بأن "المسؤولية الأخلاقية الأكبر عن هذه الفظائع ... كلها من نصيب عرفات" لأنه "كان، ولايزال، الأب المؤسس للعنف الفلسطيني المعاصر"، وعليه فالولايات المتحدة تعتبر عرفات "مسؤولاً عن أعمال الإرهاب الدولي" بشكل عام، سواء كانت له علاقة أم لا(٥٧). وعليه ، "فالمسؤولية الأخلاقية الأكبر" عن أعمال المتطرفين الصهيونيين كلها من نصيب إسرائيل.

لقد نبذت الصحافة بانتظام شجب عرفات لأعمال الإرهاب الفلسطينية. ولنذكر قضية واحدة صارخة بوجه خاص، فبتاريخ ٣حزيران/ يونيو ١٩٨٢ ، حاولت المجموعة الإرهابية التي يتزعمها أبو نضال، الذي حُكِم عليه بالاعدام قبل عدة سنين من قبل منظمة التحرير الفلسطينية، حاولت اغتيال السفير الإسرائيلي شلومو ارغوف في لندن، الحدث الذي تسبب بالغزو الإسرائيلي للبنان، الأمر الذي اعتبرته الحكومة الأميركية "رداً انتقاميا" شرعياً، وكذلك فعلت وسائط الإعلام، والرأي المثقف بشكل عام. وعلقت صحيفة واشنطن

بوست بأن محاولة اغتيال ارغوف كانت "إحراجاً" لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي "تدعي أنها تمثل جميع الفلسطينيين، ولكنها ... تميل لأن تكون انتقائية في تقبل المسؤولية عن أعمال العنف الفلسطينية" (٧حزيران/يونيو ١٩٨٢) .

وإذا كان عمل إرهابي تنفذه مجموعة هي في حالة حرب مع منظمة التحرير الفلسطينية يشكل "إحراجاً" لها على هذا الأساس، فمن الواضح أن أعمالاً إرهابية يقترفها متطرفون صهيونيون في الولايات المتحدة، تقتل اثنين وتجرح تسعة، هي "إحراج" لإسرائيل، التي، حسب القانون، "هي دولة الشعب اليهودي"، بمن فيه اولئك الذين في الشتات (وليس دولة مواطنيها، الذين ١/٦ منهم غير يهود). وهكذا، ففي منطق الحكومة الأميركية، من حق الولايات المتحدة، إن لم تكن لزاماً عليها قصف تل أبيب "دفاعاً عن الذات ضد هجمات مستقبلية".

وللمرء أن يشك في أن "الإحراج" من النتائج المنطقية لمبادئها المعلنة هو الذي يفسر معالجة وسائط الإعلام الغربية لتقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي، مع أن هذا الحدس ربما لايفي الطاقة على التعامل مع التناقضات الذاتية حقها. وللمرء أن يتخيل رد فعل وسائط الإعلام لو كانت غالبية أعمال الإرهاب في الولايات المتحدة، بما فيها الإصابات القاتلة، نفذها عرب اميركيون لهم علاقة بمجموعات متطرفة من منظمة التحرير الفلسطينية، أو يشتبه بأنهم جزء من مجموعة إرهابية أسسها عضو في الحكومة الليبية.

القصف الأميركي لليبيا لاعلاقة له بـ"الإرهاب"، حتى بالمفهوم الغربي الكلبي للكلمة. وفي الحقيقة، كان واضحاً بما فيه الكفاية أن عملية خليج سرت وقصف المدن الليبية من شأنهما فقط أن يحرضا أعمالاً إرهابية بالتجزئة، الأمر الذي كان سبباً رئيسياً لمناشدة الأهداف المحتملة في أوروبا والولايات المتحدة الامتناع عن عمل كهذا.

وهذه بالكاد المرة الأولى التي نفذت فيها أعمال عنف مع التوقع بأنها

ستثير إرهاباً بالتجزئة. فالغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ، المدعوم أميركيا، هو حالة أخرى، كما جرى بحثه في الفصل الثاني. والهجوم على ليبيا قد يثير، عاجلاً أم آجلاً، أعمالاً إرهابية، تستخدم لتعبئة الرأي العام المحلي والأجنبي في دعم خطط الولايات المتحدة في الداخل والخارج. فإذا رد الأميركيون، كما قد فعلوا، بهستيريا عامة، بما فيه الخوف من السفر إلى أوروبا حيث الزائرون سيكونون ١٠٠ مرة أكثر أمناً مما في أية مدينة أميركية، فسيكون ذلك ربحاً صافياً، للأسباب ذاتها.

الأسباب الحقيقية للهجوم الأميركي على ليبيا لاعلاقة له بالدفاع عن الذات ضد "هجمات إرهابية" على القوات الأميركية في بيروت في تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٣ ، كما يرغب شمعون بيرس بذلك، أو بأية نشاطات أخرى تعزى حقاً أو خطأً إلى ليبيا، أو "الدفاع عن الذات ضد هجوم مستقبلي" انسجاما مع المبدأ المشهور الذي أعلنته إدارة ريغان بتهليل محلي كثير. إرهاب ليبيا هو إزعاج صغير، لكن القذافي وقف في وجه خطط أميركا في شمال أفريقيا، الشرق الأوسط وغيرهما: دعم البوليساريو ومجموعات مناهضة للولايات المتحدة في السودان، صاغ وحدة مع المغرب، تدخل في تشاد، وبشكل عام يتدخل في مساعي الولايات المتحدة لصياغة "إجماع استراتيجي" في المنطقة وفرض إرادتها في أمكنة أخرى. وهذه هي الجرائم الحقيقية، التي يجب معاقبته عليها.

وفوق ذلك، كان للهجوم على ليبيا هدف، وكذلك أثر، في إعداد الرأي العام في الداخل والخارج لأعمال أخرى من العنف الأميركي. ورد الفعل الفوري قد يكون سلبياً، ولكن عندما يتم امتصاصه، فإن مستوى التوقعات سيرتفع والولايات المتحدة تستطيع التقدم نحو تصعيد أكثر إذا دعت الضرورة.

هناك منطقتان رئيسيتان حيث كان هذا التصعيد بهما ممكناً. الأولى هي

أميركا الوسطى. فبينما نجح الجيش العميل للولايات المتحدة في مهمته الأساسية "إجبار الساندين على تحويل الموارد الضئيلة إلى الحرب بعيداً عن البرامج الاجتماعية". كما أوضح موظفو الادارة في لحظة من الصراحة [٥٩]، فليس من المحتمل أن يستطيع "استئصال السرطان"، إذا تبنينا الأسلوب النازي بالتعبير الذي صدر عن جورج شولتس وغيره(٦٠)؛ وعليه فسيبقى التهديد بتطورات مستقلة ناجحة بشروط قد تكون ذات مغزى بالنسبة إلى السكان الذين يعانون في دولة عميلة للولايات المتحدة. وستمنع الضغوط المحلية والدولية الولايات المتحدة من الهجوم مباشرة، كما فعلت في فيتنام عام ١٩٦٢ ولاحقاً في الهند الصينية؛ والوسائل غير المباشرة أكثر من الإرهاب، والتي نجحت إلى حد كبير في السلفادور، قد تثبت أنها لاتكفي في نيكاراغوا. وسيكون طبيعياً ،إذن، أن تتحول الولايات المتحدة إلى الحلبة التي يتوفر فيها احتمال أعلى بالانتصار: المواجهة الدولية. لقد نجحت الولايات المتحدة في ترويع حلفائها بالامتناع عن تقديم أيه مساعدة ذات مغزى لنيكاراغوا، وبذلك حققت إلى حد كبير الهدف المقصود بإجبار الساندين على الاعتماد على المعسكر السوفياتي للبقاء. ومناقشات الكونغرس حول المساعدة هي بالأساس عرض جانبي؛ فإدارة متمردة على القانون ستجد الطرق لتمويل جيشها الإرهابي بطريقة ما، بغض النظر عن تشريعات الكونغرس. والشيء المهم هو نصر مختلف: تفويض من الكونغرس لانخراط مباشر لوكالة الاستخبارات المركزية والتصعيد بوسائل أخرى.

والوسائل الواضحة هي التهديدات للنقل البحري السوفياتي والكوبي. ولن تستطيع نيكاراغوا أن ترد، لكن الإتحاد السوفياتي وكوبا قد يستطيعان. وإذا حاولا حماية نقلهما البحري، فيمكن الاعتماد على نظام الدعاية الأميركي أن يرد بسخط على هذا البرهان الجديد من العدوان الشيوعي، بما يسمح للإدارة افتعال أزمة دولية، يمكن الافتراض فيها، بأن الإتحاد السوفياتي سيتراجع، بحيث

أن نيكارغوا ستكون محاصرة بإحكام. وإذا لم يردّا، فبالإمكان تحقيق نفس النتيجة. وبالطبع، فقد يشتعل العالم باللهيب، ولكن ذلك ليس إلا اعتباراً صغيراً إذا ماقورن بضرورة استئصال السرطان. والرأي العام الأميركي والأوروبي يجب أن يكون مهيّأً لمثل هذه النهايات. وقصف ليبيا يدير لسان السقّاطة سنّاً آخر.

والمنطقة الثانية حيث الرأي العام العالمي يجب أن يكون مهيّأً لتصعيد محتمل هي الشرق الأوسط. لقد قطعت الولايات المتحدة الطريق على تسوية سياسية للصراع العربي-الإسرائيلي على الأقل منذ ١٩٧١ ، كما بحث سابقاً، وهي لاتزال تفعل ذلك. وفي حالة المواجهة العسكرية الناجمة عن الرفض الأميركي-الإسرائيلي ، فإسرائيل لاتستطيع السماح لأية تشكيلة من الدول العربية بالاقتراب من قوتها العسكرية، لأنها ستواجه خطر التدمير.

لقد نجحت اتفاقات كامب ديفيد في استبعاد الدولة العربية الرئيسية، مصر، من الصراع، بما سمح لاسرائيل بتوسيع خطواتها نحو ضم المناطق المحتلة ومهاجمة جارتها الشمالية. ولكن سوريا تبقى تهديداً متنامياً، وعاجلاً أم آجلاً، ستتحرك إسرائيل لإزالته. وهناك على الدوام كلام عن الحرب في اسرائيل، وهو على العموم يدعي عدوانية وتهديداً من جانب سوريا، بينما يخفي نية اسرائيل - وفي الحقيقة، ضرورة، أنه مادامت التسوية السياسية مجمدة العمل لإزالة هذا المنافس العسكري هوالمحتمل. ووسائط الإعلام الأمريكية، كالعادة، تقتفي الأثر بخنوع.

إن الغش والكلبية في حملة الدعاية حول "الإرهاب الدولي" قد كشفا لجمهور صغير ممن يمكن للرأي المعارض أن يصل إليه في الولايات المتحدة، ولكن الحملة ذاتها كانت إنجازاً عظيماً في العلاقات العامة. فبالتزام وسائط الإعلام خدمة احتياجات نظام الدولة الدعاوي، وبشكل منهجي استبعاد أي تعليق من شأنه أن يكشف ما يبسط أمام عيونها، أو أي مناقشة عقلانية له، فإن

احتمالات النجاح في المستقبل تبقى مثيرة للإعجاب. إن هذه الخدمة التي تقدمها الطبقات المثقفة للإرهاب الدولي بالجملة تسهم في زيادة الآلام الجماعية والوحشية، وعلى المدى البعيد، تحمل في ثناياها أخطاراً جسيمة للمواجهة بين القوى العظمى وحرب نووية نهائية. ولكن هذه الاعتبارات تعد صغيرة بالمقارنة مع ضرورة الضمان ألا يبرز خطر يهدد "الاستقرار" و"النظام"، أو تحدٍّ للامتيازات والقوة.

وفي هذا هناك القليل مما يفاجئ طالب التاريخ الصادق.

حواشي الفصل الثالث:

١) تقرير منظمة العفو الدولية -١٩٨٥ (لندن، ١٩٨٥)؛ القتل السياسي على يد الحكومات (تقرير منظمة العفو الدولية ، لندن ، ١٩٨٣).

٢) وليام بيشر، بوسطن غلوب، ١٥ نيسان/أبريل ١٩٨٦ .

٣) تدعي حكومة الولايات المتحدة أنه منذ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠ ، بدأت نيكاراغوا ترسل أسلحة إلى العصابات التي جندت بغالبيتها للحرب الإرهابية التي شنها تحالف كارتر - دوراتي ضد السكان، وهي مجرد قناة صغيرة، حتى وإن قبلنا الأدلة الوثائقية كما هي. والأدلة على تدفق الأسلحة منذ بداية ١٩٨١ هي لاشيء بالضبط (راجع "جزرالمد" وشهادة محلل وكالة الاستخبارات المركزية ديفيد مكمايكل أمام محكمة العدل الدولية (المحكمة العالمية)؛ الأمم المتحدة أ/٤٠/٩٠٧، س ١٧٦٣٩ ، ١٩ تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٨٥). وبالطبع، يفترض دون تساؤل هنا أن توفير السلاح لشعب يحاول أن يدافع عن نفسه ضد حرب إرهابية تشنها الولايات المتحدة هو جريمة، إن لم يكن برهاناً لمحاولة إخضاع نصف الكرة. والمحكمة العالمية حكمت في ٢٧حزيران/ يونيو ١٩٨٦ أن التزويد بالسلاح قد يكون استمر "حتى الأشهر الأولى من عام ١٩٨١" مع أن الادعاءات الأخرى "ليست مثبتة تماماً" وحكمت أنه حسب القانون، فإن مثل هذا التزويد بالسلاح، حتى في حال وجوده، لايشكل "هجوماً مسلحاً" يبرر ردّاً أميركياً، كما ادعت حكومة الولايات المتحدة، وعليه فقد وجدت أن أعمال الولايات المتحدة "انتهكت المبدأ [في دستور الأمم المتحدة] الذي يمنع اللجوء إلى استعمال القوة أو التهديد به" في الشؤون الدولية، سوية مع جرائم أخرى. ورد الفعل في الولايات المتحدة كان تجاهل حكم المحكمة على أنه لايمت للموضوع بصلة، بينما محامون محترمون عن "النظام في العالم" استخلصوا أن الولايات المتحدة يجب ألاّ تستسلم لحكم المحكمة، لأن أميركا "لاتزال تحتاج إلى الحرية لحماية الحرية"، كما في نيكاراغوا (توماس م .فرانك، نيويورك تايمز، ١٧ تموز/يوليو ١٩٨٦). ورجل لوبي الكونترا روبرت لايكن من مؤسسة كارنيغي اندا ومنت للسلام العالمي "أنحى باللوم على المحكمة، التي قال أنها تشكو

من "الوعي المتزايد لعلاقتها الوثيقة مع الاتحاد السوفياتي" ـ تلك العلاقات التي ظهرت فجأة منذ أن حكمت تلك المحكمة ذاتها لصالح الولايات المتحدة في حالة إيران في ١٩٨٠ (جوناثان كارب، واشنطن بوست، ٢٨ حزيران/يونيو١٩٨٦). وكل هذا،مرة أخرى، هو رد الفعل الذي يتوقعه المرء في مركز رئيسي للإرهاب الدولي.

٤) افتتاحية، واشنطن بوست (مانشستر غارديان ويكلي، ٢٢شباط/فبراير١٩٨١)؛ الان رايدنغ، نيويورك تايمز، ٢٧أيلول/سبتمبر ١٩٨١ . انظر "جزرالمد" لمراجع لم تذكر هنا أو أدناه.

٥) امبروز ايفانز ـ بريتشارد، سبكتيتر، ١٠ أيار/مايو ١٩٨٦؛ عندما أنجزت عملية قطع الرؤوس إلى حد بعيد، أضاف يقول، بأن أعداد الجثث "تقلصت وصارت الأجسام ترمي بالسر ليلاً في وسط بحيرة الوبانغو ونادراً ماكانت تجرفها المياه إلى الشاطئ لتذكر المستحمين بأن القمع لايزال مستمراً. افتتاحيات، نيوريبلك، ٢ نيسان/ابريل، ١٩٨٤ ، ٧ نيسان/ابريل ١٩٨٦ . وحول الفظائع الحديثة، انظر اميركانز واتش، الاستقرار في الروتين (أيارر/مايو١٩٨٦)، التي تقدم تقريراً يفيد بأن القتل السياسي والاختفاء ـ ٩٠٪منه على أيدي قوات دوارتي المسلحة ـ يستمر بمعدل أكثر من أربعة يومياً، وهو تحسن حقيقي في هذه الدولة الإرهابية الرائدة، سوية مع فظائع حكومية أخرى متعددة.

٦) كريس كرويغر وشيل اينجي، الأمن وأوضاع التنمية في مرتفعات غواتيمالا: (مكتب واشنطن لشؤون أميركا اللاتينية، ١٩٨٥)؛ الان نايرن، "صلة غواتيمالا"، بروغرسف، أيار/مايو، ايلول/سبتمبر ١٩٨٦ . وحول صلة اسرائيل، في أميركا الوسطى وغيرها، انظر بنيامين بيت هالحمي، من مانيلا إلى ماناغوا: حرب إسرائيل الكونية (بانثيون، سينشر قريباً).

٧) هيرمان وبرودهيد، انتخابات استعراضية (سوث اند، ١٩٨٤). وهم يعرفون ان هذا المصطلح يشير إلى وسيلة تدخل أجنبي حيث الانتخابات "تنظم وتجرى من قبل قوة أجنبية بهدف رئيس هو إسكات سكان محلين متململين"، وهو يناقش أمثلة عدة أخرى أيضاً ويبرز بالتفصيل أنها لاتقل هزلية عن الانتخابات التي تجري في ظل السلطة السوفياتية. ومصطلح "انتخابات استعراضية" استعير وأسيئ استخدامه جذريا بالنسبة إلى نيكاراغوا من قبل روبرت لايكن (نيويورك ريفيو، ٥كانون أول/ديسمبر ، ١٩٨٥)، كجزء من حملة لدعم الجيش

الإرهابي العميل. انظر رسالة برودهيد وهيرمان، التي نشرت بعد تأخير دام نصف سنة مع رسائل أخرى من مراقبي البرلمان البريطاني (٢٦حزيران/يونيو١٩٨٦)، ورد لايكن، الذي يقر ضمناً بدقة نقدهما (عبر التهرب) في حين يدعي أنهما صاغا مفهومهما "كطريقة لتركيز الانتباه على الاستعمار الغربي بينما يحولانه عن الاستعمار السوفياتي...بما ينسجم مع اعتقادهما الظاهر بأن هناك دولة عظمى شريرة واحدة"؛ وهذا هو رد الفعل العفوي العادي للمنافحين عن إرهاب الدولة عندما يكشف غشهم، وفي هذه الحالة، تطلب الأمر كتمان نقد برودهيد وهيرمان القاسي للانتخابات في بولندا وغيرها كثير. وبقية رد لايكن ومقالاته بالذات تحافظ على مستوى مواز من الاستقامة وتستحق القراءة المتأنية من قبل اولئك المهتمين بعمل النظام الإيديولوجي في الولايات المتحدة. وانظر بشكل خاص نقد الكسندر كوكبرن (ينشن، ٢٩كانون أول ديسمبر ١٩٨٥ ، ١٠ أيار/ مايو ١٩٨٦) ومحاولة لايكن المتهربة للرد (نيويورك ريفيو اوف بوكس، ٢٦حزيران/يونيو)؛ وكذلك مقدمتي لكتاب مورلي دبتراس.

٨) المجلس لشؤون نصف الكرة، تقرير واشنطن عن نصف الكرة، ١٦نيسان/ابريل ١٩٨٦ . ومنذ تنصيب سيريزو في كانون ثاني/يناير وحتى حزيران/يونيو يقدر عدد الاغتيالات بـ٧٠٠ ، ارتفاع بنسبة ١٠٪ عن السنة السابقة، اما عدد السياسيين، أو ماهو العدد الحقيقي، فليس معروفاً (ادوارد كودي، واشنطن بوست، ٦تموز/يوليو ١٩٨٦). الان نايرن وجين ماري سيمون يقدران القتلى السياسيين بأكثر من ٦٠ شهرياً، وهم ضحايا "نظام إرهاب سياسي ناجع" يديره الجيش الغواتيمالي مستخدماً وسائل مثل "ملف حاسوب عن الصحفيين، الطلاب، القادة، أناس يساريين، وسياسيين الخ" - وهو نظام أعطتهم إياه اسرائيل، مع أن هذه الحقيقة، وصلة اسرائيل بشكل عام، لايرد ذكرهما، وفي العادة لايذكران في هذه المجلة (نيوريبلك، ٣٠حزيران/يونسو ١٩٨٦). "وبيروقراطية الموت في غواتيمالا تبدو متمترسة بشكل مريح أكثر من أي وقت منذ منتصف الستينات"، كما يستخلصان، ويلاحظان أن الرئيس "سيريزو لم يشجب إلى الآن عملية قتل واحدة على يد الجيش" وأن "وزير داخليته قال بأن الاغتيالات السياسية لم تعد مشكلة" - وهو موقف مفهوم، أو أنها ستختفي أيضاً في هذه الدولة الإرهابية العميلة.

٩) جون هايمان وآنا ميغس، "القذافي: الرجل والأسطورة، أفريكا ايفنتس، شباط/ فبراير ١٩٨٦ .

١٠) انظر "جزرالمد" لمختارات واسعة: وكذلك الفصل الثاني، الحواشي ٤٤٢١٧ ،

والمراجع المذكورة أعلاه.

١١) مايكل ليدين، ناشنال انترست، ربيع ١٩٨٦. انظر حاشية ٤ والنص.

١٢) افتتاحية نيويورك تايمز، ٢٠ نيسان/ ابريل ١٩٨٥؛ واشنطن بوست، ١١ كانون ثاني/يناير ١٩٨٦ ، رايين، بوسطن غلوب، ٢٥ كانون ثاني/ يناير ١٩٨٦؛ الباييس (مدريد)، ٢٥ نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

١٣) محررو نيويورك تايمز بالتأكيد يعون أن بقية دعوى حكومة الولايات المتحدة التي صفقوا لها قد انهارت، كما سنرى مباشرة.

١٤) نيويورك تايمز، ٢٧ حزيران/يونيو ١٩٨٥ ، كريستشان ساينس مونيتور، ٢٥ آذار/ مارس ١٩٨٦ . مرتزقة كوبيون يقاتلون مع جيش اميركا العميل الذي يهاجم نيكاراغوا يدعون أنهم تدربوا في قاعدة شبه عسكرية في فلوريدا؛ ستيفن كنزر، نيويورك تايمز، ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٨٦ . غير أن حكومة الولايات المتحدة ألقت القبض على متآمرين يحاولون قلب النظام الدكتاتوري في سورينام وذلك في نيو اورليتز (التي وصفها المدعي العام الأميركي بأنها "نقطة انطلاق" المرتزقة الذين يحاولون الانخراط في اميركا الوسطى والجنوبية") متهماً إياهم بانتهاك قانون حياد الولايات المتحدة (كريستشان ساينس مونيتور، ٣٠ تموز/يوليو ١٩٨٦) تماماً كما قطعت الطريق سابقاً على محاولات قلب نظام دوفالييه السفاح، والذي كانت تدعمه في هايتي، وبذلك تظهر التزامها الحازم بحكم القانون.

١٥) بوب وودوارد وتشارلز ر.بابكوك، واشنطن بوست، ١٢ أيار/مايو.

١٦) إحسان حجازي، نيويورك تايمز، ٢٠ نيسان/ابريل ١٩٨٦ . القاريء المتأني للتايمز سيجد شجباً من قبل الرئيس السوري حافظ الأسد للإرهاب، مدفوناً في تقرير من أثينا أورده هنري كام (٢٩ أيار/مايو ١٩٨٦) وبالتحديد قتل ١٤٤ سورياً في "عملية إرهابية كبيرة"، ويفترض أنه يشير إلى تفجير الباصات السورية.

١٧) فيليب شنون، نيويورك تايمز، ١٤ أيار/مايو ١٩٨٥؛ لو كانون، بوب وودوارد وغيرهما، واشنطن بوست، ٢٨ نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

١٨) نيوريبلك، ٢٠ كانون ثاني/يناير ١٩٨٦ ، ادوين ميس، اسوشييتدبرس، ٤ نيسان/ابريل ١٩٨٦؛ انظر الفصل الثاني.

١٩) فرانك غريف، فيلادلفيا انكويرر، ١٨ أيار/مايو ١٩٨٦ .

٢٠) نيف، ميدل ايست انترناشنال (لندن)، ٤ نيسان/ابريل ١٩٨٦؛ جونسون، سنداي تلغراف (لندن)، ١حزيران/يونيو ١٩٨٦ . وملاحظات جونسون تعكس الموقف النموذجي لهذا المنافح المحترم جدّاً عن إرهاب الدولة. وهكذا في مؤتمر دعائي نظمته اسرائيل حول الإرهاب في واشنطن (انظرالمقدمة، حاشية ١٥) امتدح اسرائيل لاتخاذها "خطوات حاسمة" لمحاربة "السرطان الإرهابي" كما في غزوها لبنان عام ١٩٨٢: "الحقيقة هي، أن اسرائيل، بامتلاكها الشجاعة الأخلاقية والمادية لانتهاك مايسمى حدود السيادة، وبوضعها القانون الأخلاقي فوق الشكليات من حقوق الدول، استطاعت للمرة الأولى ضرب قلب السرطان، لكبح نموه ودحره رأساً إلى الوراء" (وولف بليتسر، جيروزالم بوست، ٢٩ حزيران/يونيو ١٩٨٤) . وهو على الضد مما قصدته اسرائيل تماما، كما جرى بحثه في الفصل الثاني.

٢١) هالي، "القذافي والولايات المتحدة"؛ ٢٧١ فمابعد.

٢٢) لاري سبيكس، التلفزيون الوطني، ٧:٣٠ مساءً، ١٤نيسان/ابريل؛ نيويورك تايمز، ١٦نيسان/ابريل؛ اسوشييتدبرس، ١٤نيسان/ابريل؛ نيويورك تايمز، ١٥نيسان/ابريل؛ لويس، نيويورك تايمز، ١٧نيسان/ابريل، بيرنارد واينروب، نيويورك تايمز، ١٥نيسان/ابريل؛ جيف سالوث، غلوب اند ميل(تورنتو)، ٢٤ نيسان/ابريل ١٩٨٦ . وكما لوحظ أعلاه، فالمحكمة العالمية رفضت الإدعاء الأميركي (فيما يتعلق بالسلفادور، وليس ،لنقل، افغانستان،انغولا، كمبوديا) بأن تدفق السلاح على العصابات يشكل "هجوماً مسلحاً". وانظر حاشية٣ .

٢٣) هالي، القذافي والولايات المتحدة، ٨ ، ٢٦٤ .

٢٤) نيوستيتمان، ١٦آب/اغسطس ١٩٨٥ .

٢٥) انظر "المثلث المصيري"، ٢١٠؛ هالي، المصدر المذكور، الذي يقوم بجهد يستحق الثناء للتعامل مع المسرحية الهزلية بجدية.

٢٦) وكالة الاستخبارات المركزية، التي منعت من تزويد ثوار نيكاراغوا بالمساعدات العسكرية، سرّبت سرّاً عدة ملايين من الدولارات إلى الثوار لمشاريع سياسية خلال العام الماضي، كما يقول موظفون في الحكومة الأميركية" بما يسمح "لوكالة الاستخبارات المركزية الاحتفاظ بتأثير قوي على حركة الثوار، حتى مع وجود حظر الكونغرس منذ تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٤ وحتى أيلول/سبتمبر ١٩٨٥ ، يمنع الوكالة من صرف أموال "من شأنها أن تدعم

مباشرة أو مداورة" عمليات عسكرية أو شبه عسكرية في نيكاراغوا، كما قال الموظفون". وأحد أهداف مايصفه الموظفون الأميركيون "برنامجاً رئيسياً" كان "خلق الانطباع بأن الكونترا هم كيان سياسي حقيقي ضمن حلفائنا في اوروبا" وعضو الكونغرس سام جيدنسين أعلن "أننا نشك في أن وكالة الاستخبارات المركزية انسحبت أبداً من المسرح، غير أن مدى انخراط الوكالة المباشر في حرب الكونترا قد يذهل حتى أكثر المراقبين تخمة". وثائق منظمة الأمم المتحدة عن الكونترا التي حصلت عليها اسوشييتدبرس، "تظهر أن مبالغ كبيرة من أموال المنظمة السياسية تذهب إلى المنظمات العسكرية المتحالفة مع مجموعة المظلة" التي أقامتها الولايات المتحدة، بينما بعض المبالغ استعمل كرشوة لموظفين من هندوراس وكوستاريكا "لتمكين الثوار من العمل من هذين البلدين". وقد سرِّب الكثير من هذه الأموال عبر بنك في البهاما مقره في لندن. اسوشييتدبرس ١٤نيسان/ابريل، بوسطن غلوب، ١٤نيسان/ابريل ١٩٨٦ . وهذا الكشف مرَّ دون ملاحظة في حينه، والقليل منها لاحقاً. وأخيراً، ميامي هيرالد أوردت تقريراً بأن أكثر من مليوني دولار من أصل ٢٧ مليون وفرها الكونغرس "للمساعدات الإنسانية" استعملا لرشوة ضباط من هندوراس "لإغماض عيونهم عن نشاطات الكونترا غير الشرعية على أرض هندوراس" (افتتاحية، بوسطن غلوب، ١٣أيار/مايو ١٩٨٦)، مع الكثير من الأدلة على الفساد الذي حظي بالقليل من الملاحظة، ولكن دون تأثير.

٢٧) اسوشييتد برس، ٢٧ آذار/مارس ١٩٨٦ ، تستشهد ب البايس (مدريد).

٢٨) ر.سي.لونغوورت. شيكاغو تريبون، ٣٠آذار/مارس ١٩٨٦ .

٢٩) ريتشارد هيغنز، بوسطن غلوب، ٢٥آذار/مارس ١٩٨٦ .

٣٠) فريد كابلان، بوسطن غلوب، ٢٦آذار/مارس ١٩٨٦ .

٣١) لندن سنداي تايمز، ٦نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

٣٢) كوكبرن، وول ستريت جورنال، ١٧نيسان/ابريل؛ وكذلك نيشن، ٢٦نيسان/ابريل ١٩٨٦ . ليليفلد، نيويورك تايمز، ١٨نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

٣٣) جندي أسود آخر مات بعد عدة أشهر.

٣٤) نيويورك تايمز، ١٦نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

٣٥) نيويورك تايمز، ١٨نيسان/ابريل ١٩٨٦؛ تقرير التايمز يعلن أنه في الساعة ٧:٠٠

مساءً، طائرات ف ـ ١١١ قصفت أهدافاً عسكرية "قرب بنغازي"، و"قرب طرابلس"، وأنها في الساعة ٧:٠٦ مساءً قصفت "مطار طرابلس العسكري، الهدف الأخير" وفي الواقع، كما يعرف المحررون، فإن طائرات ف ـ ١١١ قصفت حيّاً سكنياً في طرابلس.

٣٦) اسوشييتد برس، ١٤نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

٣٧) جيمس م. مارخام، نيويورك تايمز، ٢٥نيسان/ابريل ١٩٨٦ .

٣٨) دير شبيغل، ٢١نيسان/ابريل ١٩٨٦، الغطاء الأمامي يبرز الجملة "إرهاب ضد إرهاب"، وهو شعار معروف للجستابو، والمفترض أنه لم يختر بالصدفة. وانظر أيضاً مقالة نورمان بيرنباوم، في نفس العدد.

٣٩) نص المقابلة وفره صحفي اميركي يعمل مع ستارز اند ستراييس في ألمانيا.

٤٠) انظر على سبيل المثال، جيمس م. مارخام، نيويورك تايمز، ٣١أيار/مايو ١٩٣١ ، مستشهداً بـ "محقق من شرطة برلين الغربية" الذي قال أنه "يعتقد بأن السفارة الليبية في برلين الشرقية "وضعت التصور" للهجوم" –الأمر الذي هو أقل بكثير من "التأكيدات" التي جرى التوكيد عليها سابقاً– ويستشهد بـ مانفرد غانشو، ولكن ليس بنفيه لوجود أية دلالة؛ أو روبرت سورو، نيويورك تايمز، ٣ تموز/يوليو،...

٤٢) كريستشان ساينس مونيتور، ٢٢نيسان/الابريل ١٩٨٦؛ انظر الفصل الأول، حاشية٣ .

٤٣) تورنتو غلوب اند ميل، افتتاحيات، آذار/مارس ٥ ، ١٨، ٢٨ ،،١٩٨٦ مشيرة إلى نيكاراغوا تحديداً.

٤٤) انظر اسوشييتدبرس، انترناشنال هيرالد تريبون، ٦أيار/مايو من أجل نقاش مستفيض؛ نيويورك تايمز، ٦أيار/مايو ١٩٨٦ ، ذكر مختصر أكثر، ونص البيان ضد الإرهاب.

٤٥) اسوشييتدبرس، ١٤نيسان/ابريل، استعراض لردود فعل الصحافة العالمية، اسوشييتد برس، ١٥نيسان/ابريل؛ استعراض لردود فعل الافتتاحيات في الولايات المتحدة، ١٦نيسان/ابريل؛ افتتاحية، نيويورك تايمز، ١٥نيسان/ابريل ١٩٨٦؛بيرس، نيويورك تايمز، ١٦نيسان/ابريل.

٤٦) بعد قصف ليبيا، كانت هناك إشارات عديدة لحملة اميركا التأديبية ضد قرصان

برباري؛ وكما يبدو، فلا أحد ذهب إلى الخلف بضع خطوات في التاريخ ليصف تلك الأيام عندما "نيويورك أصبحت سوقاً للصوص [هكذا] حيث أفرغ القرصان منهوباتهم التي أخذوها في أعالي البحار"، عندما أعمال القرصنة أغنت المستعمرات الأميركية، كما فعلت للإنجليزية قبلها (ناثان ميلر، "المؤسسون المحتالون"، ديفيد مكاي، ٢٥، ١٩٧٦-٦) القرصنة لم تكن اختراعاً ليبياً، جرى كبحه بشجاعة على أيدي الأميركيين، حماة النظام.

٤٧) اسوشييتدبرس، ٢١ نيسان/ابريل؛ نيويورك تايمز، ٢٠ نيسان/ابريل؛ استعراض للردود الدينية، اسوشييتدبرس، ١٧ نيسان/أبريل، وكذلك ١٩ نيسان/ابريل، حيث تورد تقريراً عن مؤتمر صحفي عقدته ١٤مجموعة دينية وطائفية في سياتل وشجبت القصف على العكس من التأييد الذي أعلنه مجلس الحاخامات في واشنطن الغربية؛ نيي، بوسطن غلوب، ١٦ابريل/نيسان، روستو، نيويورك تايمز، ٢٧نيسان/ابريل.

٤٨) تشارلز غلاس، سبكتيتر(لندن)، ٣أيار/مايو ١٩٨٦ . صورة عن الأصل قدمت إلى الصحافة هنا مع كتاب للمحرر، ولكنهما لم ينشرا. وقد نشر الكسندر كوكبرن هذا النص (إن ذيس ديز، ٢٣تموز/يوليو ١٩٨٦)، مع الاقتراح بأنه مادام الرئيس والسيدة ريغان "مغرمين بقراءة الرسائل التي تصلهما من أطفال صغار، فقد يتفضلان بإلقاء هذه الرسالة أيضاً في المناسبة الملائمة التالية".

٤٩) ديسنت، صيف ١٩٨٦ ، رامزي كلارك، الذي يقدم ملاحظاته من مسرح العملية، استخلص من نمط القصف بأن الضاحية الميسورة حيث وقعت أسوأالإصابات المدنية كانت بلا شك هدفاً محدداً؛ نيشن، ٥ تموز/يوليو ١٩٨٦ . والسؤال لايمت بصلة إلى موضوع الإرهاب، كما يستطيع كل من هو ليس معتوهاً أخلاقياً أن يفهم فوراً (وكلارك،طبعاً، لايوحي بغير ذلك).

٥٠) نيوريبيلك، ٦أيلول/سبتمبر ١٩٨٢؛ ومن أجل نماذج أخرى من آراء شخصيات محترمة، انظر الفصلان ١ ، ٢ أعلاه و"المثلث المصيري".

٥١) واشنطن بوست، الطبعة الأسبوعية، ٤آب/اغسطس ١٩٨٦ .

٥٢) أغناتيوس، واشنطن بوست ويكلي، ٢٨تموز/يوليو ١٩٨٦ .

٥٣) كريستشان ساينس مونيتور، ٢٥حزيران/يونيو، ١٦تموز/يوليو ١٩٨٦ .

٥٤) ايكونومست (لندن) ٢٦تموز/يوليو ١٩٨٦ ، كريستشان ساينس مونيتور

٢٤تموز/يوليو ١٩٨٦ .

٥٥) على المرء ألاَّ يعتمد هذه الأرقام، آخذاً بعين الاعتبار الحسابات الإيديولوجية التي تدخل في تعريف العمل "الإرهابي". وهكذا فقصف عيادات الإجهاض استثني من فئة "الإرهاب" في فترة معينة، ولعله لايزال. وبحسب المعلق كال توماس من الغالبية الأخلاقية، كان هناك حوالي ٣٠٠ تفجير "في ممتلكات تجرى بها عمليات إجهاض" منذ ١٩٨٢ - ١٩٨٤" والتي كما يعتقد أنها "ربما لاتكون فكرة جيدة ... تكتيكياً، أوسياسياً - مع أنها كما يظهر حسنة تماماً "أخلاقياً ؛ بوسطن غلوب، ٣٠تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤ .

٥٦) اسوشييتدبرس، غلوب اندميل (تورنتو)، ٤ تموز/يوليو ١٩٨٦ . ستيفن انجلبرغ، "موظف يقول أن مكتب التحقيقات الفيدرالي لديه مشتبهين في التفجيرات المعزوة ليهود متطرفين"، نيويورك تايمز، ١٧تموز/يوليو ١٩٨٥ ، واشنطن بوست، بيمان بيجمان، تموز/يوليو٥ ، ١٧

٥٧) نيوريبلك، ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦؛ ادوين ميس، اسوشييتدبرس، ٤نيسان/ابريل ١٩٨٦؛ وانظر الفصل ٢

وتذكر أن سجل الإرهاب الصهيوني ضد المدنيين يعود إلى الوراء سنين عديدة، فترة طويلة قبل قيام اسرائيل، انظر "المثلث المصيري"، ١٦٤فما بعد.

٥٨) التدخل الليبي الأول جاء في أعقاب إرسال قوات الفرقة الفرنسية الأجنبية، ومستشارين وطائرات (هالي، مصدر ذكر سابقاً، ٩٨)، لكن التدخل الفرنسي في أفريقيا هو شرعي. وبالحقيقة يستحق الإطراء، كما علقت بيزنس ويك بحبور. فالقوات الفرنسية تساعد "على الحفاظ على غرب أفريقيا آمنة للفرنسيين، الأميركيين، وغيرهم من رجال النفط الأجانب (١٠آب/اغسطس ١٩٨١) كما تقوم بخدمات مثيلة في أمكنة أخرى.

٥٩) جوليا برستون، بوسطن غلوب، ٩شباط/فبراير ١٩٨٦ .

٦٠) في خطاب له في جامعة ولاية كانسس "تلقى شولتس تصفيقاً مستمراً عندما قال أن نيكاراغوا هي سرطان، وعلينا أن نستأصله" وأوضح أيضاً أن "النيكاراغويين هم تعبير ملطف للاستسلام عندما يطرح ظل القوة عبر طاولة المساومة" وهذه فكرة أخرى مألوفة.

فهرست

مقدمة ٥

حواشي المقدمة ١٥

١ ـ التحكم بالفكر / حالة الشرق الأوسط ١٩

حواشي الفصل الأول ٤٧

٢ ـ الارهاب الشرق أوسطي ٥١
والنظام الايديولوجي الأميركي

حواشي الفصل الثاني ١١٧

٣ ـ ليبيا وصناعة العفاريت الأمريكية ١٣٥

حواشي الفصل الثالث ١٧١

هذا الكتاب

يروي القديس اوغسطين قصة قرصان وقع في اسر الاسكندر الكبير، الذي سأله "كيف يجرؤ على ازعاج البحر". كيف تجرؤ على ازعاج العالم بأسره؟ فأجاب القرصان: "لأنني افعل ذلك بسفينة صغيرة فحسب، أُدعى لصاً، وانت، الذي يفعل ذلك بأسطول ضخم، تدعى امبراطورا".

يلتقط هذا الجواب بدقة معينة العلاقة الراهنة بين الولايات المتحدة ومختلف اللاعبين الصغار على مسرح الارهاب الدولي.

كما تلقي الضوء على معنى مفهوم الارهاب الدولي في الاستعمال الغربي المعاصر، وتصل الى قلب السعار الذي يثار حول احداث مختارة من الارهاب بشكل منسق حالياً، وبدرجة عالية من الكلبية، كغطاء للعنف الغربي.

من المقدمة